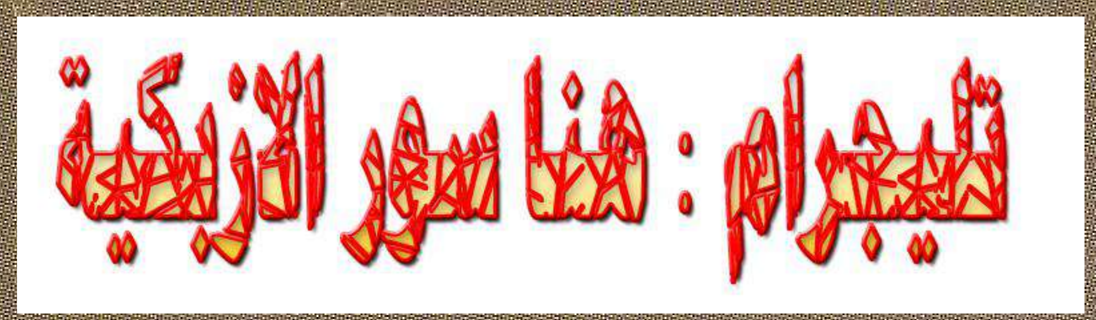






نصوص قصصية

من روائع الأدب الأفريقى

ترجمة : سمير عبد ربه

المشروع القومى للترجمة

491


أهم جروبات على تليجرام
باحثون
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

المشروع القومى للترجمة

نصوص قصصية
من
روائع الأدب الأفريقى

اختيار وترجمة : سمير عبد ربه



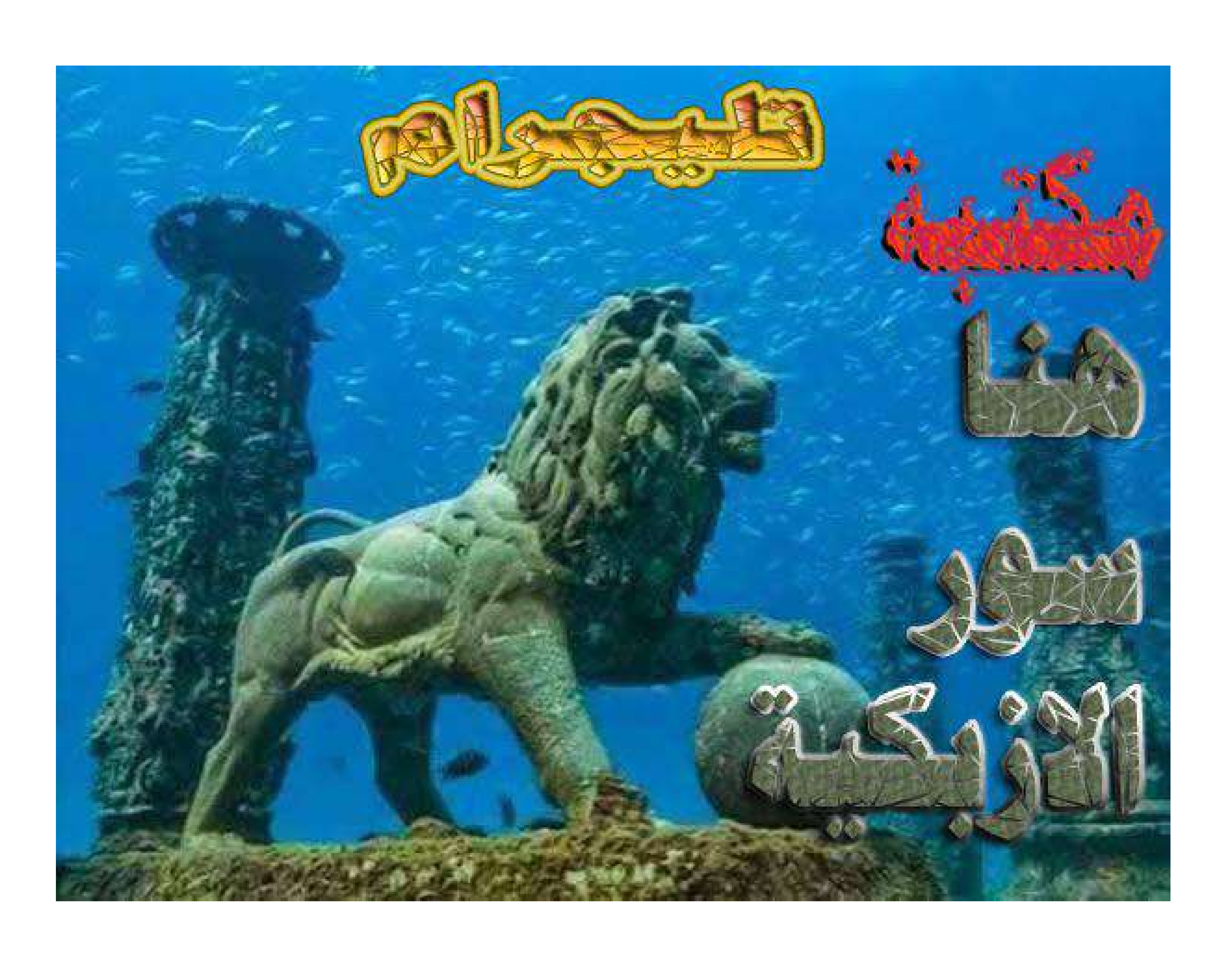
٢٠٠٤

تليجرام

مكتبة

غواص

في بحر الكتب



المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٤٩١
- نصوص قصصية (من روائع الأدب الأفريقى)
- مجموعة من المؤلفين
- سمير عبد ربه
- الطبعة الأولى ٢٠٠٤

هذا الكتاب يضم ترجمة :
مختارات قصصية من الأدب الأفريقى

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 **Fax** : 7358084


هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
باحثون

المحتويات


جروب باحثون
غواص في بحر الكتب

مقدمة المترجم

بدأت القصة فى القارة الأفريقية السوداء بتلك الحكايات الشفاهية التقليدية ذات الجذور المتعمقة فى الفولكلور وأساطير الأقدمين ، والتى ظل الناس يتناقلونها من جيل إلى آخر ، ورغم أن هذا النوع من الأدب الشفاهى مازال موجوداً حتى الآن بسبب تعدد اللغات الأفريقية الدارجة غير المكتوبة إلا أن انتشار اللغة الإنجليزية والفرنسية بعد الاستعمار وولادة جيل جديد من الأفارقة ممن يجيدون لغة المستعمر قد ساعد فى خلق القصة المكتوبة المتعارف عليها . غير أن ذلك النوع الأدبى الجديد ظل متراجعًا أمام الأشكال الأدبية الأخرى كالرواية والمسرح ، ولنأخذ مثلاً بالروائى النيجيرى "تشينوا أتشيبى" الذى ازدهرت أعماله الروائية وتراجعت أمامها الأعمال القصصية ؛ بسبب حركة الترجمة التى وجدت فى أعمال "أتشيبى" وغيره من المبدعين الذين يكتبون بالإنجليزية فرصة للترجمة إلى عدة لغات أخرى دون أن تتاح لها (أى حركة الترجمة) المقدرة على ترجمة القصة القصيرة المكتوبة باللغات الأفريقية الدارجة ، كما كان تحويل روايتين من روايات "تشينوا أتشيبى" إلى أعمال سينمائية سببًا آخر فى انتشار الرواية وتراجع القصة القصيرة ، بالإضافة إلى سبب ثالث وهو تدريس بعض الأعمال الروائية فى مدارس غرب أفريقيا .

أما عن المسرح فإن انتشاره وتراجع القصة القصيرة أمامه يرجع إلى أن المسرح يعتمد فى توصيل رسالته على الأصوات التى تردد كلمات المسرحية وعلى آذان المستمعين - بما فيهم أولئك الذين لا يجيدون القراءة - أكثر من اعتماده على الكلمة المطبوعة ، وذلك ما حدث مثلاً مع "وول سوينكا" كاتب الدراما أو عاشق المسرح كما يحب أن يطلق على نفسه ، الذى تمتع بشعبية كبيرة بين أبناء قومه عند عرض أعماله على خشبة المسرح . والجدير بالذكر أن "سوينكا" يتمتع بالشعبية الكبيرة نفسها ليس فقط بين أبناء قومه وإنما فى معظم العواصم الأوروبية والأمريكية بسبب ظهور أعماله المسرحية فوق خشبات مسارح تلك البلاد ، علاوة على ما ذكرناه من قبل وهو حركة الترجمة التى ساهمت - بشكل كبير - فى التعرف على جميع إبداعاته الروائية والمسرحية وحتى قصائده الشعرية ، ولم تكن جائزة نوبل العالمية التى حصل عليها فى العام ١٩٨٦ تعد اكتشافًا لذلك المبدع لأنه كان ذائع الصيت قبل الحصول على الجائزة ؛ مما يؤكد أهمية دور الترجمة فى الحياة الثقافية والمعرفية بشكل عام ، وهنا أجد لزامًا علىَّ أن أذكر الدكتورة ميرفت حاتم أستاذ الأدب النسائى بجامعة واشنطن ، وأتوجه لها بالشكر والتقدير لما قدمته إلىَّ من خدمة عظيمة حين تكرمت وأرسلت إلىَّ من أمريكا فى عام ١٩٨٤ رواية مع رسالة تقول : "إنها رواية مهمة وسيفه لكاتب افريقى شهير يتردد اسمه فى الأوساط الأدبية منذ عشرين عامًا ، وأخشى ألا تكونوا قد سمعتم به فى القاهرة" !!!

وكان صاحب الرواية هو "وول سوينكا" الذى – والحق يقال – لم أكن سمعت عنه من قبل ، والذى حصل على جائزة نوبل فى الآداب بعد عامين من تعرفى عليه ؛ مما جعلنى أشفق على حركة الترجمة عندنا والتى نعرف جميعًا أسباب تراجعها رغم أن فى بلدنا عددًا كبيرًا من المترجمين الأكفاء الذين يتمتعون بثقافة عالية وفى مقدروهم – لو توفر لهم التقدير المناسب – أن يساعدونا فى اللحاق بقطار المعرفة الذى يسير بسرعة فائقة .

حدث الشيء نفسه فى أفريقيا الفرانكفونية التى يكتب مبدعوها باللغة الفرنسية ، فنجد الروائى "كامارالار" من السنغال والروائى "يامبو أولوجيم" من مالى ، وقد تمتعا بشهرة كبيرة لدى قراء الفرنسية خاصة بعد حصولهما على بعض جوائز الأدب الفرنسى ؛ ومن هنا ظل كاتب القصة الأفريقى غير معروف فى معظم الأحوال للأسباب التى ذكرناها ؛ وكان ذلك بالطبع يعد خسارة كبيرة للقارئ لأن القصة الأفريقية الحديثة تنتمى إلى الأدب التقليدى الشفاهى القديم الذى يلقى الضوء على تراث وعادات تلك القارة متعددة الثقافات .

لكن تراجع القصة القصيرة لم يدم طويلاً حين تيقن مبدعوها أن كتاباتهم باللغات الدارجة لا تجاوز الحيز الضيق الذى يعيشون فيه ، ولابد لهم من الكتابة بالإنجليزية أو الفرنسية اللتين أصبحتا اللغتين الرسميتين فى معظم البلدان الأفريقية ؛ وبالتالى بدأت القصة القصيرة فى الانتشار ، وكان لصدور بعض الدوريات الخاصة بنشر إبداعات القصة القصيرة دور كبير فى ذلك الانتشار ، ونشير هنا إلى أهم تلك

الدوريات وهى مجلة Spear فى نيجيريا ثم مجلة Drum فى جنوب أفريقيا وغرب أفريقيا فى وقت واحد ، والتى صدرت أول الأمر عام ١٩٥٠ ، وكان "حزقيال مفاليلى" من جنوب أفريقيا – الذى يلقبونه بعميد الأدب الأفريقى – واحداً من الذين عملوا على النهوض بالمجلة والتركيز على نشر القصص القصيرة .

قال "مفاليلى" فى رائعته (The African Image) : "إن ظهور مجلة Deum كان إطلالة هائلة ومثيرة عن نشاط كتابة القصة القصيرة ، وقد ساهمت المجلة فى رسم صورة توضيحية عن القصة القصيرة فى أوساط المتحدثين بالإنجليزية" .

أشار "مفاليلى" أيضًا إلى قصص المجلة قائلاً : "إنها قصص قصيرة تجنح للهروب من الواقع إلى الخيال" .

أما "توم هوبكنسون" – الذى تولى رئاسة تحرير المجلة فى بداياتها – فقد علق فى أحد المقالات قائلا : "حين بدأت فى مباشرة عملى بالمجلة كان أول ما شدنى وأدهشنى هو ذلك الكم الكبير من القصص المرسلة وبخاصة حين تم الإعلان عن مسابقة القصة القصيرة ، ولأننى أميل نحو الدقة فى التقييم فقد قرأت كل القصص ووجدت أن ست قصص منها تحكى عن الحب وواحدة أو اثنتين عن الطبيعة والأسود والنمور ، أما غالبية القصص فكانت عبارة عن خيالات عن العنف والشراسة والوحشية ، وتتمركز فى معظمها حول حياة الأشقياء فى الأقسام الإدارية بالمدينة أو فى محاولة إيجاد مبرر يمنح الصفة الشرعية للعنف

كما يحث فى حلبات الملاكمة .. كان الموضوع الغالب – بشكل أو بآخر – هو الخراب والتدمير والهدم" .

وفى مجموعة مقالاته Home amd Exile على "لويس كوسى" على قصص مجلة Drum قائلاً : "بالرغم من الأكاديمية المصاحبة لمجلة Drum – على الأقل فى بداياتها – فإن أهمية المجلة لا يجوز إنكارها ويكفى أنها كانت السبب الرئيسى وراء ظهور وانتشار العديد من كتاب القصة الذين يتمتعون بموهبة كبيرة فى معظم أرجاء القارة الأفريقية وبشكل خاص فى جنوب أفريقيا .

لم تكن مجلة Spear فى نيجيريا ومجلة Drum واسعة الانتشار وحدهما فى ذلك المجال ؛ حيث ظهرت مجلات أخرى فى مختلف عواصم القارة الأفريقية كان لها الفضل أيضًا فى انتشار القصة القصيرة ، غير أن تلك الإصدارات انتهجت شكلاً مختلفًا وراحت تتوجه إلى قارئ واعٍ وعلى دراية بشئون حياته كما حدث مع مجلة Black Orpheus الصادرة من نيجيريا والتى توقفت عن الإصدار مدة طويلة ، ثم عادت للظهور مؤخراً على يد الكاتب المسرحى النيجيرى "جون بيير كلارك" ، ثم مجلة Transition فى أوغندا ، ومجلة Darlite فى تنزانيا ، وكذلك مجلة Okyeame فى غانا .

هكذا بدأت القصة فى الذيوع من خلال تلك الدوريات التى كانت السبب الرئيسى فى ظهور كوكبة رائعة من كتاب القصة فى مختلف

البلدان الأفريقية ، والتى اخترنا منها بعضًا من أولئك المبدعين فى هذه المجموعة التى بين أيدينا .

أثناء اختيارى لقصص المجموعة حاولت - قدر استطاعتى - أن يجمعها خط واحد ومشترك يتمثل فى ثلاثة محاور :

١ - الهروب الرومانتيكى من الواقع إلى عالم الخيال .

٢ - الاحتجاج .

٣ - السخرية التى هى مزيج من الاحتجاج والقبول .

لقد ابتدع الكاتب الأفريقى شكلاً جديداً فى القصة القصيرة ، ولنضرب مثالاً على ذلك بأحد قصص هذه المجموعة وهى قصة (سارزان) للكاتب السنغالى المعروف "بيراجو ديوب" ؛ حيث الاستخدام الرائع للشعر والنثر معًا ، والتى تذكرنا بالكاتب الأفروأمريكى "جين تومر" فى رائعته Cane .

تضم المجموعة ثلاث قصص من جنوب أفريقيا : الأولى بعنوان (الياقوته) للكاتبة "نادين جورديمر" ، ثم قصة (مسز بلوم) لصاحبها "حزقيال مفاليلى" ، وأخيراً قصة (مسألة تذوق) للمبدع المتميز "أليكس لاجوما" ؛ وسيجد القارئ فى بداية كل قصة ملاحظات إضافية أو نبذة متواضعة تتعلق بكل كاتب ؛ لعلها تساعد فى إلقاء بعض الضوء على شخصية الكاتب . والملاحظ فى تلك القصص الثلاث أن الاحتجاج هو القاسم المشترك بينهم ، مع أهمية الإشارة إلى أن السخرية فى قصة "مفاليلى" تشغل حيزاً أكبر .

هذه المجموعة ليست إلا محاولة للإشارة إلى ما حدث من تطور للشكل الفنى للقصة القصيرة الأفريقية ، وسنترك للقارئ اكتشاف مواطن الجمال والإبهار بنفسه ، لكننى فى النهاية لابد وأن أشير إلى أن قصص هذه المجموعة وغالبية أشكال الكتابة الأفريقية الأخرى نوع من الهجين الأدبى ؛ أى أنها ترتكز على خلفيتين ثقافيتين مختلفتين كل الاختلاف (أفريقيا والغرب) ، وهنا يمكن القول إن أفريقيا والغرب هو الموضوع الغالب على معظم قصص هذه المجموعة ، ذلك الموضوع الذى يمثل تصادم الحضارتين الموضوع الأكثر شيوعًا فى الأدب الأفريقى بمختلف أشكاله ، ونستطيع أن نرى ذلك بوضوح فى التصادم الذى يمثل الدين الغربى فى قصة "أبيوسيه نيقول" الرائعة (امرأة متزوجة حقًا) أو فى نوع آخر من التصادم يتمثل فى التعليم الغربى كما فى قصة (لقاء فى الظلام) للكاتب الكينى الشهير "جيمس نجوجى" أو "نجوجى واثيونجو" الاسم الجديد الذى اختاره لنفسه بدلاً من الاسم الغربى "جيمس" أو ذلك التصادم الذى يتعرض لإظهار أوروبا نفسها كما فى قصة (سارزان) وقصة (فتاة سوداء) ، وكذلك فى قصة (الحجرة المظلمة) .

مسز بلوم

حزقيال مفاليلى

جنوب أفريقيا

" حزقيال مفاليلى " المولود فى العام ١٩١٩ بأحقر أحياء بريتوريا هو واحد من أهم مبدعى جنوب أفريقيا ، ويطلقون عليه لقب عميد الأدب الأفريقى ، كما أنه من أكثر الكتاب الأفارقة إنتاجا ، ففى العام ١٩٥٩ كتب أول أعماله تحت عنوان : (نزولا إلى الشارع الثانى) ، وهى عبارة عن سيرة ذاتية عن حياته فى جنوب أفريقيا ، ثم تلاها فى العام ١٩٦١ بمجموعته القصصية (الأحياء والموتى) ، وفى عام ١٩٦٢ كتب مجلدا رائعا فى نقد الأدب الأفريقى عنوانه (الصورة الأفريقية) ، ثم مجموعة قصصية عام ١٩٦٧ بعنوان (In Corner B) ، وفى العام ١٩٧١ كتب روايته المهمة (الهائمون The Wanderers) ..
عمل د. " مفاليلى " أستاذاً مساعداً للأدب الإنجليزى فى جامعة دينفر .

كانت "مسز بلوم" تحب الكلاب والأفارقة ، وتؤمن بضرورة أن يلتزم كل شخص بالقانون .. تلك كانت ثلاثة أشياء كبيرة مهمة فى حياة المدام التى أعمل فى خدمتها بمنطقة جرين سايد والتى لا تبعد كثيراً عن جوهانسبرج .. كان العمل الأول لى كطباخة ومنظفة للملابس مع رجل أبيض وزوجته فى شمال بارك تاون ، لكنهما كانا يشربان كثيراً ، ولا يدفعان لى أجرى ؛ مما جعلنى أقول لنفسى : لا ، سوف أترك هذا الرجل السكير وزوجته السكيرة .

تركت العمل عندهما فعلا ، وقد كنت غاضبة بشدة فى ذلك اليوم كما يحدث حين يلامس الحديد الساخن ماء بارداً ، وفى المرة الثانية عملت طاهية بأحد البيوت فى بيلجرافيا ، وكان علىّ أن أقوم بتنظيف خمسة أطفال لم يحسنوا تربيتهم ؛ إذ كثيرا ما كانوا يدعوننى بالفتاة السوداء دون أن أجرؤ على الكلام ؛ لأن أمهم كانت تسمعهم ولا تقول شيئا .. كنت حديثة العهد فى تجربة الابتعاد عن بلدتى فوكينج القريبة من روستنبرج ، وتتملكنى رغبة شديدة فى التعلم ومعرفة شىء ما عن أولئك الناس ذوى البشرة البيضاء ، لكن الشىء الذى قادنى للجنون وجعلنى أحزم أشيائى وأرحل هو ذلك الرجل الذى اعتاد زيارتهم ، قالوا إنه ابن عم أو شىء كهذا ، وقد كان يأتى إلى المطبخ كثيرا محاولا إضحاكى وهو يربت فوق أردافى ، وحين أخبرت السيد لم يهتم . وعاود الرجل فعلته مرة أخرى ؛ وعندئذ سألت المدام أن تعطينى نقودى وتدعنى أذهب .

هكذا كانت الشهور التسعة الأولى بعد مغادرتى فوكنج لأول مرة من أجل العمل فى جوهانسبرج ، ولم أكن أنا الوحيدة التى غادرت

بلدها ، إذ إن كثيرا من الفتيات والفتية والنساء الشابات من فوكنج وزيرست وشوبنج وكوستن وأماكن أخرى عديدة قد جئن للعمل فى المدن ؛ ولذلك كانت الضواحى مليئة بالسود ، وكان معظمنا ممن تجاوزوا المستوى السادس ؛ وهكذا تعلمنا مزيداً من الإنجليزية فى الأماكن التى عملنا بها ٠٠ لم نكن نحب العمل لدى الفلاحين البيض لأننا نعرف كثيراً عنهم من خلال المزارع القريبة من بيوتنا ، كما أنهم لا يدفعون أجوراً معقولة ويتسمون بالقسوة ٠

كان معظمنا يعود إلى بلدته فى إجازة عيد الفصح الطويلة لرؤية الأهل وتناول الدجاج والسبانخ الجافة واحتساء اللبن الرائب ، وكنا نأخذ معنا السكر واللبن المركّز والشاى والقهوة والحلوى وبودرة الكاستر والطعام المعلّب ٠

كانت " شيمين" تعمل خادمة فى البيت المجاور تماما لبيت "مسز بلوم" ؛ فأخبرتنى عن حاجتها لخادمة ٠٠ كنت سعيدة جدا بعملى مع "مسز بلوم" وابنتها "كيت" فى جرين سايد ، ولم يكن العمل سيئا كما كان فى أماكن أخرى ، وحتى " شيمين " لم تكن تشكو كثيراً ٠٠ كانوا يدفعون لنا ستة جنيهات فى الشهر بالإضافة للطعام والإقامة فى حجرة الخدم ، لكننا - من حين لآخر - كنا نشكو بطريقة أو بأخرى ٠

كنا نلتقى فى أمسيات يوم الخميس ، حيث تأتى كل النساء السود من مختلف الضواحى ونتبادل أحاديث كثيرة عن الناس الذين نعمل عندهم، وعن أمراضهم وخطاباتهم ومحاصيلهم السيئة، وعن الأخت التى

طلبت زى وكتب ومصاريف المدرسة .. كانت كل واحدة منا تتحدث عن السيد أو السيدة التى تعمل عندهما ، وعن كرم بعضهم أو بخل البعض الآخر فيما يتعلق بالطعام أو النقود ، وعن الأغبياء منهم أو عديمى الإحساس ، وعن أولئك الذين يقتلون أنفسهم ويقتلون بعضهم البعض ، وعن القذرين منهم ، وأشياء أخرى كثيرة لا أستطيع أن أذكرها كلها .

كانت أمسيات يوم الخميس هى وقت راحتنا ، ولم نكن نكتفى بالثرثرة والكلام عن البيض الذين نعمل عندهم ؛ وإنما كنا نتجول لمشاهدة المحال التجارية ونذهب لنادىَ المرأة لرؤية أصدقائنا الأولاد ، وكان البعض منا يذهب لرؤية البروجيكتور السينمائى ، لكننا كنا جميعا نبدو متأنقات بملابسنا التى اشتريناها من الرجال السود الذين يبيعون البضائع للخدم فى الضواحى بالتقسيط .. كنا نرتدى تلك الملابس بالطريقة نفسها التى تقوم بها السيدات والبنات البيض ؛ فنبدو متأنقات حقا ، وحين كانت تنظر إلينا امرأة بيضاء بدهشة كنا نشعر بشىء جميل و نضحك كثيراً ، حتى نكاد نقع على الأرض .

سألتنى " مسز بلوم " فى أول يوم جئت فيه للعمل عندها : بماذا دعتك الفتاة فى البيت المجاور لنا ؟

أجبت : " جين " .

- أليس لك اسم أفريقى ؟

- نعم ، " كارابو " .

ـ حسنا ، سوف نناديك " كارابو " .

كانت تدرك أهمية الاسم ودلالته ؛ فشعرت بالبهجة لأن كثيرا جدا من البيض لا يهتمون بأسماء السود ؛ كما أننى لا أسمع اسم "كارابو" إلا حين أكون فى بلدى أو عندما أتحدث مع أصدقائى .

أخبرتنى " مسز بلوم " بما يجب أن أفعله فحدثتنى عن الوجبات وأوقاتها ، وعن الغسيل ، ومكان كل الأشياء التى سأستخدمها حتى قالت : إن ابنتى فى المدرسة وسوف تكون هنا فى المساء .

ثم أضافت : عندما تأتى ابنتى سوف تخبرك ببعض الأشياء التى يجب أن تقومى بعملها كل يوم .

كانت " شيمين " – صديقتى فى البيت المجاور – قد حدثتنى عن " كيت " الابنة ، وكم أنها تبدو قاسية ، كما حكت لى عن السيد "بلوم" الذى قتل نفسه برصاصة من مسدس فى المنزل القديم عند نهاية الشارع قبل أن يغادروه ويأتوا إلى هذا المنزل .

إن " مسز بلوم " امرأة طويلة وليست نحيفة أو ممتلئة ، تتحرك وتتكلم ببطء ووجهها يشع بالحكمة ، كما تشير جبهتها إلى قوة الشخصية وعدم الخوف من أى شيء . كانت تدخن كثيرا فتبدو كالخشب المبلل الذى يزيد اشتعالا مع اللهب ، وسرعان ما يتوقف عن الاحتراق ، أما عيناها فمتورمتان دائما عند الجفنين السفليين وكأنها لم تنم عدة ليال أو كأنها ضفدعة كبيرة .. حين كانت تتحدث إلى أى شخص فإنها تنظر مباشرةً إلى عينيه ، وهكذا كانت تفعل معى ؛

مما جعلنى أخشاها فى البداية ، غير أننى اعتدت عليها بعد ذلك ، لم تكن السيدة امرأة كسولاً وعرفت أنها تقوم بعمل أشياء كثيرة فى المدينة وفى الضواحى .

قالت لى " مسز بلوم " قبل أن ألتقى بكيت " للمرة الأولى : لا تبالى كثيرا فإن " كيت " تتصرف أحيانًا بطريقة غريبة مع الناس لأسباب تافهة ، لكنها سرعان ما تصبح طبيعية .

أحببت " كيت " كثيرًا كما بادلتنى هى الحب نفسه ، وكانت تخبرنى عن أشياء كثيرة لا تتفوه بها النساء البيض للخدم السود عادة ، وحدثتنى عن الأشياء التى تحبها والأشياء التى تكرهها ، وعن ما تفعله أمها أو لا تفعله ، غير أننى لم أكن سعيدة فى البداية وحاولت كثيراً أن أوقفها ، لكننى مع الوقت توقفت عن محاولاتى ، ولم أعد أهتم .

إن وجه " كيت " متشابه – إلى حد كبير – مع وجه أمها وكتفاها مستديران وقويان ، لكنها تتحرك بسرعة أكثر من أمها .. عندما جاءت إلى المنزل فى عطلة نهاية الأسبوع سألتها : لماذا مازلت تذهبين إلى المدرسة وأنت كبيرة ؟

ضحكت وحاولت أن تشرح لى أنها تذهب لمدرسة الكبار الذين انتهوا من مدرسة الصغار ؛ حيث تدرس الطهى وأصناف الطعام .. كان بمقدورها أن تشرح ما لا أستطيع أنا أن أشرحه .

منذ بداية عملى عند " مسز بلوم " لم تتوقف " كيت " عن تعليمى طريقة الطهى وإعداد مختلف أنواع الطعام ، وأثناء وجود " كيت " فى المدرسة العليا كانت السيدة تعلمنى قراءة كتب الطهى ؛ فعانيت صعوبة

بالغة فى البداية ، وكنت أفهم ببطء ربما أبطأ من عربة الثور ، لكننى تعلمت المزيد مع مرور الوقت ، حتى إن " كيت " عند حضورها كانت لا تفعل شيئا سوى أن تترك لى ورقة خاصة بنوع الطعام وكيفية إعداده وما علىَّ بعد ذلك إلا أن أبدأ مباشرة فى الطهى ٠٠ قالت " كيت " يوماً ما إننى أصلح للطهى فى أحد الفنادق الكبيرة ، وكانت المدام توافقها الرأى نفسه ، غير أن الفكرة لم تلق هوى فى نفسى ؛ لأن الطهى فى الفندق مثل إطعام الثيران حيث لا أحد سيقدم لك الشكر ٠٠ استطعت بعد أشهر قليلة أن أقوم بعمل طعام يوم الأحد ، ثم استطعت أيضا أن أتولّى عمل الأطباق الخاصة بضيوف المدام و" كيت " ٠

لم تعلِّمنى المدام الطهى فقط ، وإنما علَّمتنى أيضا كيفية الاعتناء بالضيوف ، وكانت تمدحنى عندما أقوم بواجبى على أكمل وجه وذلك ما لم يكن يحدث لى مع البيض الذين عملت عندهم من قبل ٠٠ كانت المدام تعقد دراسات مسائية للخدم من أجل تعليمهم القراءة والكتابة بمشاركة امرأتين من جرين سايد تعلما فى بهو الكنيسة ؛ مما جعلنى أتساءل عما يدور فى رءوسهن ٠

لم تتوقف " كيت " عن إخبارى بالمزيد عن أمها حتى قالت لى يوما : إن أمى تحضر كثيرا من الاجتماعات واللقاءات ٠

سألتها قائلة : أى نوع من اللقاءات ؟

أجابت : من أجل شعبك ٠

لم أفهم إجابتها فقلت متسائلة : ولماذا تعقد اللقاءات من أجلهم ، إن شعبى وأهلى يعيشون فى فوكنج بعيداً عن هنا فهل تعرف هى

ما يريد أبى أو أمي أن يعبّرا عنه ؟ وهل تعرف شيئًا عن شعورهما أو شعور أمثالهما ؟ لماذا تعقد اللقاءات من أجلهم وهم يملكون أفواها ويستطيعون الكلام عندما يريدون ؟

رفعت " كيت " كتفيها ثم قامت بخفضهما وقالت : أوه ، كيف أستطيع أن أشرح لك يا " كارابو " ؟ حين قلت شعبك لم أكن أقصد عائلتك فقط وإنما السود فى كل مكان بالبلد .

قلت : وما الذى يريد السود أن يقولوه ؟

رفعت " كيت " كتفيها مرة أخرى وتنفست نفسًا عميقًا ، ولم تجد ما تقوله .

سألتها : من يكون معها فى تلك الاجتماعات ؟

أجابت : آخرون ممن يفكرون مثلها .

قلت : هل تقصدين أن هناك آخرين فى العالم ممن يفكرون فى الأشياء نفسها ؟

أومأت برأسها فقلت : أية أشياء ؟

- بإمكان القليل منكم أن يشاركوا فى حكم هذا البلد ؛ وعندئذ يستطيعون المطالبة بمزيد من النقود فى مقابل ما يفعلونه للرجل الأبيض .

- لقد فهمت الآن ، ولكن لماذا تكتب سيدتي دائمًا على الآلة الكاتبة طوال الوقت ، وكل يوم تقريبًا ؟

- إن أمى تؤلف كتباً .

أشرت إلى الأرفف المليئة بالكتب وقلت : أتعنين كتباً مثل تلك الكتب ؟

أجابت " كيت " : نعم ، لقد كتبت كثيراً من الكتب بالإضافة إلى المقالات التى تنشرها فى الصحف والمجلات والتى تتضمن دفاعًا عن السود ، وكثيراً ما طالبت برفع أجورهم ومعاملتهم معاملة حسنة ، ودائمًا ما كانت تحث السود – وخاصة أولئك الذين يستطيعون القراءة والكتابة – على اختيار من ينوب عنهم للدفاع عن قضاياهم .

أضافت "كيت " قائلة لى : إن أمى وأخريات ممن يفكرن مثلها يرتدين أحزمة سوداء فوق أكتافهن عندما يشعرن بالحزن للتعبير عن عدم رضائهن عن الأشياء التى يفعلها البيض ضد السود .. إن أمى وأمثالها يذهبن إلى الدوائر الحكومية ويقفن أمامها أثناء دخول الناس وخروجهم من العمل .

سألتها : هل تستمع الحكومة إليهن ؟ وهل تضع الحكومة حدا لما يفعله البيض بالسود ؟

- لا ، لكن أمى فى مجموعة البيض الأخرى .

- هل يقدمون فى الحكومة الشاى والكعك لأمك ومن معها من النساء ؟

- " كارابو " ، يالك من غبية ! أوه .

- لكننا نحن السود إذا جاء إلينا شخص ما ووقف أمام البيت فإننا نسأله الدخول على الفور ، ثم نقدم له الطعام ، أما أنتم فإنكم مختلفون

ومثيرون للعجب ٠٠ شيء غريب أن تقف النساء أمام المبنى دون أن يقدم رجال الحكومة لهن أي شيء !

ـ أنت تعنين أنهم مختلفون أو فاترون ، لقد علمتك كثيراً ألا تقولي مثيرون للعجب عندما تريدين القول إنهم فاترون ٠

تطلعت " كيت " عبر المكان ثم أضافت وهي تصيح بلا حماس : حسنًا ، إن النساء لن تقف هناك طوال اليوم لكي يطلبن شايا وكعكا يا غبية ، أوه عزيزتي !

كانت سيدتي تطلب مني قراءة الصحف بعد أن تنتهي هي من قراءتها لكي تساعدني على التحدث والكتابة بإنجليزية أفضل ، وعندما كنت أقرأ شيئا ؛ كانت تسألني أن أخبرها بما فهمت ؛ وهكذا تقدمت كثيراً كما اتسعت مداركي قليلاً ، وظللت أتعلم وأتعلم أشياء كثيرة عن السود داخل وخارج المدن مما لم أكن أعرفه من قبل . عندما كنت أجد بعض الكلمات الصعبة والتي لا أستطيع أن أفهمها ؛ كنت أسأل السيدة فتقول لي دائمًا بصبر وكأنها تواصل السير في طريق طويلة : هل ترين هذا ؟ هل ترين ذلك ؟ إيه ؟ ٠

نعم ، كانت " مسز بلوم " تكتب كثيراً للصحف ، ودائمًا ما كانت تتألم للطريقة التي يضرب بها البوليس الأبيض السود ، وللطريقة التي يجلس بها السود العاملون عند البيض أمام بحيرة حديقة الحيوان بقلوب معلقة دونما إحساس بالحرية والاسترخاء ؛ فقد كان البيض يتهمونهم بإحداث الضوضاء في أمسيات أيام الآحاد في الوقت الذي يريدون فيه الاستمتاع بالراحة في بيوتهم وحدائقهم ٠

كانت السيدة تتألم لأشياء كثيرة قبيحة وسيئة كتلك التى تحدث عندما يقابل البيض رجلاً أسود فى الشارع أو على الرصيف ، فظلت تكتب للصحف حتى يعرف الآخرون كل شىء مطالبة الحكومة أن تكون رحيمة معنا .

فى العام الأول طلبت منى " مسز بلوم " أن أتناول الطعام معها على المائدة ، لكن ذلك كان أمرا صعبا ؛ إذ إننى لم أتعود استخدام الشوكة والسكين ، كما أننى لم أسمع أبدا - من قبل - عن أى عامل مطبخ قد تناول الطعام مع مخدومه ، بالإضافة إلى خوفى من ضيوف السيدة إذا ما اكتشف أى شخص منهم أننى أتناول معها الطعام على المائدة نفسها .

قالت لى السيدة : لا تكونى سخيفة ، إن الخدم الأفارقة بإمكانهم أيضا أن يأكلوا على المائدة .

لكنى فى الحقيقة لم أستطع ؛ لأن ذلك يعنى أنه لن يكون بمقدورى تناول بعض الأطعمة التي أحبها جدا ، مثل : عصيدة الذرة باللبن الرائب ، والذرة المخلوطة ، وزبدة الفول ، وعصيدة الإفطار الحارة ، وبعض المأكولات الأخرى ، بالإضافة إلى أن طعامنا جميل عندما نأكله باليد . نعم ، إنه جميل جدا حتى إنك لا نستطيع أن تبادل أى شخص التحية وأنت تأكل قبل أن يمر الطعام عبر الفم والزور متسللا برفق ونعومة إلى أسفل .

كنت غالبًا ما أتناول الغذاء مع " شيمين " وذلك الولد البستانى ، أوه ، يجب أن أتوقف عن ذكر كلمة ولد هذه مرة أخرى عندما أتحدث

عـن رجـل ؛ فلقد تذكرت ذلك اليوم أثنـاء الأسابيع الأولـى لـى فـى بيت " مـسـز بلوم " عندمـا تحـدثت عن " ديك " البـسـتـانى الذى يعـتنى بحديقتها ووصفته بالولد ؛ عنـدئـذ قـالت لـى " مسز بلوم " : تـوقـفى يا " كارابو " عن كلمة ولد هذه .

ثم أضـافت : استـمـعى " كـارابو " ، يجب عليكم أنتم الأفـارقة أن تتـحـدثوا مع بعـضكم البـعض بشكل لائق وإلا فإن البـيض لن يتـحـدثوا معكم هكذا .

قلت لها : لقد تعلمت الكلمـة من البيض الذين كنت أعـمل عندهـم ، كما أن كل خادمات المطبخ يرددن هذه الكلمة .

أجابتنـى قائلة : أولئك هـم البيض الذين لا يعرفـون شيئًا ، إنهم من طبقات البيض الدنيا .

قلت : لكننى أعتقد أن البيض يعرفون كل شىء .

ردت " مـسـز بلوم " : سـوف تتـعلمين وتعـرفين الكثـيـر يا فـتـاتـى ، وعليك أن تبدأى فى هذا البيت ، أتسمعيننى ؟

ثـم تـركتنى ، ورحـت أفكر حـتـى لـم يعـد عـقـلـى الصـغيـر قـادرًا على الفهم .

لقد تعلمت وكبرت وعرفت الكثير فى بيت " مسز بلوم " .

كـانت أية امـرأة أو فـتـاة لا تعـرف نادى الغـراب الأسـود بشـارع (برى) لا تعـرف بالتـالى أى شىء .. إنه المكان الذى يبـدأ بالمنطقـة القذرة من المدينة ، حيث المصانع والسوق ومكان إقامة الهنود والملونين ،

وحيث تعج بالحافلات سيراً فى طريق عودتها إلى أحياء السود ٠٠ إنه المكان الحافل بالضوضاء طوال الوقت ؛ إذ تجلس النساء فوق الرصيف لبيع البطاطا الساخنة والفاكهة والفول السودانى والبيض المسلوق فى موسم الشتاء والذرة المغلية وأشياء أخرى فى الصيف ؛ فتمتلئ الشوارع بالصياح و قشور البطاطا والفاكهة والفول السودانى والبيض المسلوق ، كما لم يكن بمقدور المرء أن يتجنب الرائحة النفاذة للخنازير المشوية المنبعثة من دكان (بيلز) عند نهاية الشارع ٠

شعرت " مسز بلوم " بالسعادة حين عرفت أننى أمضى أمسيات يوم الخميس فى نادى الغراب الأسود ، وأخبرتنى بأنها تعرف السود الذين يعملون فيه ثم قالت : سوف تتعلمين الحياكة والتريكو وأشياء أخرى تحبينها ٠٠ هل تحبين الرقص ؟

أجبت : نعم ، أريد أن أتعلم ٠

كانت تدفع لى شلنين كل شهر ثمناً لتعلّمى الحياكة والرقص ، وكنت أنتظر المعلمة فى الطابق الأول مع أخريات ممن يتعلمن الحياكة معى وأتبادل معهن الحديث والضحكات عن السيدات والسادة الذين نعمل عندهم وعن أطفالهم وكلابهم وطيورهم ، ثم نتهامس عن الحب وعلاقتنا بمن نحب مثلما قالت واحدة منا ذات يوم على سبيل المثال : أنتم لا تعرفون أن سيدتى بخيلة جداً ٠-

وقالت أخرى : يجب أن تشاهدن الكلب الكبير فى البيت الذى أعمل به ٠٠ إنه كلب كبير ، كبير بطريقة غريبة ٠

ثم تبعتها ثالثة : ماذا ؟ إننى أمسك كلب السيد من قدمه وألقى به بعيدا حتى يظل ينبح وينبح ؛ فأنا لا أداعب الكلاب ولا أجيد ملاطفتها .

ردت عليها إحداهن : ياللعار ، وياله من كلب مسكين .. إن الله يراك !

فقالت أخرى : كانوا يريدوننى أن أصحب كلبهم للنزهة بالخارج كل يوم بعد الظهر ، لكننى أخبرتهم أن ذلك لم يكن من طبيعة عملى فى البيوت الأخرى التى عملت بها من قبل ، وإنما كان ذلك من اختصاص البستانى .

قاطعتها واحدة أخرى قائلة : دعونى أحدثكن عن ذلك الطفل الأبيض الذى يحتفظ بفأر أبيض كبير .. هل تعرفون ماذا يفعل ؟ إنه يضع الفأر على سريره عندما يذهب للمدرسة فتمتلىء البطانية برائحة بول الفأر ثم يخبرنى بأن أغسلها .. هيه ، أيها الناس !

قالت إحداهن : هل سمعتم عن " ريبون " ؟ لقد طردتها سيدتها لأن سيدها كان دائمًا يداعبها فوق أردافها بأصابعه ، كما شاهدته السيدة ذات يوم وهو يضم " ريبون " إليه ويقبلها .

- أوه ، أوه ، أوه !

- رجل أبيض قذر !

- لا ، ليس قذراً فالسيدة كبيرة جداً بالنسبة له ، وقد اكتفت بأن تقول له أن يذهب ويغسل فمه بالصابون لأن فم " ريبون " قذر .

- أوه ، " ريبون " ، إنها واحدة منا ، ويجب أن نساعدها لتجد وظيفة قبل أن تفكر فى العودة إلى بلدها .

ثم جاءت المعلمة وهى امرأة ذات أقدام قوية ووجه قاس وعينين توحيان بالطيبة وشعر قصير ، وترتدى ثوباً بسيطا لكنه جميل ومطعّم بالأزهار .. كانت تقف على قدميها بثبات وكانت تبتسم لنا وكأننا أطفالها فيصبح من اليسير رؤية تلك العلامة السوداء التى بين أسنانها . بدأت مجموعتنا باللعب ، ثم قامت " ليليان جويى " بتوزيعنا على فصول الحياكة المختلفة وتبادلت معنا بعض الأحاديث القليلة .

لم أستطع أبدا أن أنسى ما قالته لنا تلك المرأة ، لقد شرحت لنا كل شىء وتعلمنا منها الكثير .. لقد أخبرتنا أن وقت قناعة السود فى الضواحى بالعمل والرضوخ له من أجل إرسال النقود فقط إلى أهلهم والذهاب لرؤيتهم مرة واحدة فى العام قد انتهى أو يجب أن ينتهى حتى إنها قالت : عليكم أيها السود أن تتعلموا ؛ فالعالم لن يكون آمنا أبدا بالنسبة لكم إلا إذا أصبحتم أعضاء فى الحكومة ، وهكذا تستطيعون صياغة القوانين .. إن القوة لن تتحقق إلا عن طريقكم لأنكم أكثر عددا من البيض .

كانت تجيب على أسئلتنا بحكمة واقتدار حتى إننى كتبت بعض إجاباتها بخطى ليصبح بإمكانى تذكرها فيما بعد .

- هل سيأتى يوم ونحتل مقاعد البيض فى الحكومة ؟

- إلى حد ما ، وستكونون أنتم الأكثرية ، وعندئذ سيتحد كل الملونون الآخرون ، كما أن بعضا من الرجال البيض الجيدين لن يجدوا ما يمنعهم من الانضمام إلى الحكومة .

- يوجد بعض السيدات والسادة من البيض ممن هم طيبون وممتازون فعلا ، وهناك أيضا السيئون منهم فهل نتخذ من الطيبين أصدقاء لنا ؟

- إن السيد والخادم لا يمكن أبدا أن يكونا صديقين ، ويجب أن تكون هذه الفكرة بعيدة عن تفكيركم .. أنتن حتى غير متأكدات أن بعضهم طيبون لأنهم لا يستطيعون التنفس أو مجرد العيش بدون أن تعملن عندهم وبدون أن يعمل كل السود فى خدمتهم ، وطالما أنكم معشر السود فى حاجة لنقودهم فلا بد من مواجهتهم باحترام ، ولكن يجب أن تعرفوا أن كثيرا من الأشياء الحزينة تحدث فى بلدنا ؛ ولذلك يجب على كل السود أن يتعلموا ويضيفوا إلى معرفتهم مع الاستمرار فى إطاعتنا عندما نطلب منكم المساعدة .

فى وقت آخر قالت لنا " ليليان جويى " : عليكن بتذكر أهلكم الفقراء فى بلدكم ، وتلك الطريقة التى يحركهم بها البيض من مكان لمكان كالأغنام والماشية .

وفى أحيان أخرى كانت تقول لنا : تذكرن دائما أن يدا واحدة لا تستطيع أن تغسل نفسها لأنها تحتاج ليد أخرى تساعدها .

عندما كانت " ليليان جويى " تتحدث كنت أفكر فى سيدتى ، فقلت لنفسى ذات مرة : ماذا ستقول سيدتى لو عرفت أننى أصغى لمثل تلك الكلمات ؟

قالت لنا " ليليان " ذات يوم : إن أم الرجل الأبيض وخادمته السوداء هما اللتان قامتا بالعناية به حين كان رضيعًا ، ثم تولت الحكومة البيضاء أمره عندما كبر ؛ فأرسلته للمدرسة وعملت جاهدة على أن توفر له الغذاء وكل شيء ، كما أتاحت له فرص العمل فى الوقت الذى يشاء ، حتى إذا ما رغب فى ترك المدرسة فى أى وقت .

ثم تساءلت : كم من البيض يمكن أن يولدوا فى مستشفى البيض وينشأوا فى شوارع البيض ويرتدوا الملابس القطنية الجميلة ويناموا على وسادات بيضاء ؟ ! .. كم عدد البيض الذين يعيشون داخل السياج بعيدا عن الملونين ؟ ! كم من البيض الذين يتعلمون طريقة التفكير الصحيحة ويعرفون توجيه الأسئلة ؟ ! إنهم قليلون جدا جدا .

كنت أكبر يومًا بعد يوم وأتعلم ، وكثيرا ما كنت أفكر فى "مسز بلوم" التى أصبحت بالنسبة لى كالغابة السوداء التى يخشى المرء دخولها ، والتى لا يبدو أنه سيعرفها فى يوم ما ، غير أننى فى أوقات أخرى كثيرة كنت أشعر أن فهم هذه المرأة أمر سهل ؛ فهى مثل كل النساء البيض الأخريات .

سألتنى : ماذا يعلمونك أيضًا فى نادى الغراب الأسود يا كارابو ؟

أجبت قائلة : لا شيء سيدتى ٠

ثم أضفتِ : لماذا تسألينني يا سيدتى ؟

ـ لأنك تتغيرين ٠

ـ ماذا تعنين ؟

ـ أنت فقط تتغيرين ٠

ـ لكننا دائمًا نتغير يا سيدتى ٠

هكذا دار الحوار بيننا بعد أيام قليلة من إخبارها أننى لا أريد أن أستمر فى قراءة صحيفة البيض المحلية ، وإنما أرغب فى قراءة الصحف القادمة من الخارج ٠٠ كنت قد أخبرتها أن تلك الصحف التى يشرف عليها البيض لا تهتم بشىء سوى تصوير حياة البيض والحديث عنهم وعن حدائقهم وكلابهم وتناول حفلاتهم وأخبار زواجهم ، ثم سألتها إذا كان ممكنا أن تبيع لى صحيفة الصنداى التى تتحدث عن أمثالى فلم تتردد فى بيعها لى رغم عدم اعتقادى أنها ستفعل ٠

كنت أنا و" شيمين " نسرق قليلا من الوقت بعد أن ننتهى من الغسيل ونضعه على الحبال فى الصباح ، ثم نختبئ ونقف عند الجدار ونتبادل الحديث ٠

ـ هيه ، " كارابو " ٠٠ إننى " شيمين " ٠

ـ أوه ، قبل أن تتكلمى فى أى شىء ٠٠ هل عاد إليك " تيمى " ؟

ـ هآه ، أنا لا أبالى بعودته ، إنه لا يزال غاضباً فالأولاد حمقى كما تعرفين وهم يعودون دائماً ببطون خاوية ٠

ـ نعم ٠

ـ رأيت " موروتى " يوم الخميس الفائت فضحكت كثيرا حتى وقعت على الأرض ٠٠ كان واقفا أمام نادى الغراب الأسود ، وكانت معدته الكبيرة – على ما يبدو – تستنجد وتصرخ من الجوع وهو يحمل كلبا صغيرا تحت إبطه ، ويقف بجوار امرأة تبيع البيض المسلوق حين قال لى : هاى يا فتاة موطنى ٠ ٠ كانت لحوم الكرشة والأمعاء تغلى فى الإناء وتنبعث منها رائحة لذيذة تثير أى بطن جائعة ، كان " موروتى " فى انتظار المرأة لشراء بيضة مسلوقة ، وكنت واقفة بالقرب فاستطعت أن أرى الكلب بوضوح وهو يتلّوى ويتحسس أنفه حين كان ينظر إلى لحم الكرشة ، فراح " موروتى " يداعبه بيده لكن الكلب حاول أن يعضّه فى يده ، وقد نجح أخيرا فى التقاط بعض من اللحم الطيب دون أن يسقط فى الصلصة الساخنة التى تسبح فيها الكرشة ٠٠ كان اللحم يتقلب مع البيض والبطاطا والتراب فحاول " موروتى " أن يفعل مثل الكلب ؛ لكن البائعة ظلت تنادى عليه وتصيح طالبة منه أن يدفع ٠٠ كنت فى ذلك الوقت واقفة خلفه وأنا أضحك بشدة حتى تدفقت دموعى ؛ فأمسكت السياج بكلتا يدى تجنبا للوقوع من كثرة الضحك

سألتها : هل عاد " موروتى " ودفع ثمن الطعام ؟

ـ نعم ، لقد دفع ٠

- والكلب ؟

- لقد أمسك به ، إنه كلب أفريقى جيد يعرف كيفية البحث عن طعامه الخاص ، لأنه ليس كتلك الكلاب الغبية المدللة التى يقدمون لها البيض والشاى والبسكوت فى وجبات منتظمة .

- هاآم .

لحق بنا " ديك " البستانى كما يفعل دائما ، وعندما أخبرناه بالقصة راح يتلّوى على الأرض من كثرة الضحك ، ثم سأل : من ذلك الموقر" موروتى" ؟

أجبت : إنه صاحب نادى الغراب الأسود .

- أوه .

رحت أنا و" شيمين " نتذكر ذلك القس ذا الجسد الممتلئ الذى كان يأتى إلى النادى ويخترقنا بنظراته وهو يرسم ابتسامة رقيقة فوق وجهه المستدير .. كان ينظر إلينا بالابتسامة نفسها طوال الوقت بعينيه الدامعتين المتلألئتين بطريقة مضحكة وكأنه فلاح ينظر إلى حبات قمحه اليانعة ، وهو يفكر فى أشياء أخرى .

كان "موروتى" غالبًا ما يتحدث- بدون خجل- عن الفتيات الناضجات ذات الأثداء الكبيرة ، ولم يكن ذلك القس محسوبًا على أية كنيسة ، وكان معمدًا ومتزوجًا ويعمل حانوتيا بأجر لقاء دفن من ليست لديهم كنيسة تقوم بمثل تلك الأعمال نيابة عنهم ، وقالوا إنهم طردوه من

الكنيسة المشيخية (*) Presbyterian Church ، لكنه تمسك بشكله الكهنوتى بعض الوقت حتى فتح نادى الغراب الأسود مؤخراً ، وقد تعلم جيدا كيفية الانسجام مع "ليليان جويى" ، التى تعترف بأننا نستخدم ناديه فى تعلم أشياء تساعدنا فى الحياة ، غير أنها لن تستطيع الاستمرار - كما قالت - إذا لم يتوقف عن أفعاله الكريهة مع الفتيات .

عندما بدأت فى سرد قصتى كنت سأحكى لكم عن الكلبين اللذين تمتلكهما "مسز بلوم " لكننى وجدت نفسى أتكلم عن الناس ، كان "ديك" على صواب حين سأل مستنكرا : وماذا يعنى كلب ؟ .. كان يوجد الكثير من الكلاب والقطط والببغاوات فى جرين سايد وأماكن أخرى ؛ وبالتالى لم تكن كلاب " مسز بلوم " شيئًا غريبًا أو خاصًا سوى فى طبيعة عملها فى البيت ، وربما لذلك كانت " مسز بلوم " تحب الكلاب .

كان (مونتى) حيوانا رقيقا ذا شعر طويل وعينين سوداوتين صغيرتين ووجه يشبه وجه امرأة عجوز ، أما الكلب الآخر (مالان) فهو أكبر من (مونتى) قليلاً وذو لون بنى ممتزج باللون الأبيض وله شعر قصير .. كان الكلبان ينامان فى سلتين منفصلتين بحجرة نوم السيدة وغالبًا ما كان يتم غسلهما وتنظيفهما بالفرشاة ورشهما بالعطر قبل أن يناما فى ملابس من الكتان القرنفلى ، وفى كثير من الأوقات كان يطوق

(*) Presbyterian : مشيخى وهى صفة للكنيسة البروتستانتية التى يدير شئونها شيوخ منتخبون يتمتعون كلهم بمزايا متساوية . (المترجم)

رقبة (مونتى) شريط قرنفلى ، وكان كلاهما يحمل غطاء فوق ظهره ٠٠ لقد أصابانى بالضجر عندما شاهدتهما يستلقيان فى السلة وهما يتمتعان بصحة جيدة ويبدوان كأنهما يعرفان كل شىء يحدث فى كل مكان ٠

كان " ديك " هو الذى يعتنى بهما ويقوم برعايتهما وإطعامهما ، بالإضافة إلى عمله فى الحديقة وتنظيف المنزل ٠٠ لم يكن قد مضى وقت طويل على عمل " ديك " عند السيدة التى قبلته للعمل عندها بعد أن طردت اثنين من قبله – كما أخبرتنى – لأنهما لم يستطيعا الاعتناء بالكلبين : مونتى " و " مالان " ٠

أخبرنى " ديك " ومعه " شيمين " أن الكلاب الأوربية غبية ومدللة وقال " ديك " ذات يوم إن أولئك البيض سوف يعلِّقون الخواتم فى أذن الكلاب والأطواق والخلاخيل فى أقدامهم ؛ وعندئذ سوف يترك العمل عند "مسز بلوم" لأنه متأكد أنها ستطلب منه عندئذ أن ينظف الخواتم والأساور بالفرشاة ، لكنه كان صبورا رغم عدمَ تأكد السيدة منه ؛ فقد كانت تذهب للكلبين بعد تناول وجبتيهما أو بعد تنظيفهما وتقول لهما : هل قدم" ديك " الطعام لكما يا أحبائى ؟ وأحيانا كانت تلاطفهما وتقول : هل قام " ديك " بتنظيفكما يا أحبائى ؟ سوف أرى بنفسى ٠

استطعت أن أرى " ديك " فى تلك الأثناء وقد انتفخ كالبالون من شدة الغضب قائلا لى : يا لها من أشياء غريبة تلك التى يفعلها البيض ! إنهم يتحدثون إلى الكلاب !

قلت له : إن الناس تتحدث إلى الثيران أيضا ، ألم أقل لك ذلك ؟

أجابني : نعم ، إن الرجل يتحدث إلى الثور لكي يشد له المحراث أو العربة أو لكي يوقفهما له ، لكن أحدا لا يذهب إلى الثور ويلاطفه ويتحدث إليه .. هل رأيت طوال عمرك شخصا من بلدتنا اقترب من بقرة وداعبها فوق بطنها أو خديها ؟ أخبريني !

قلت : نحن نتحدث عن الثور وليس عن البقرة .

ضحك كثيرا حتى اتسع فمه وتساقطت الدموع من عينيه ، وفي لحظة بعينها وجدت نفسي أشاركه الضحك بصوت عال ، ثم قال لي : عندما تجدين الوقت والفرصة المناسبتين تعالي وانظري إلى السيدة وهي تضع ورقة تتضمن بعض الملاحظات فوق باب حجرة نومها .

سألته قائلة : ماذا تقول يا " ديك " ؟

أجابني : أنا لا أتكلم ، إن بداخلي أشياء كثيرة غامضة .

كان " ديك " في نحو عمرنا أنا و" شيمين " ، ولم نكن نهتم بألاعيبه ومداعباته ، لأنه لم يكن يكبرنا بما يكفي لأن يكون محبوبا لنا .. كان يقول لنا : هاي ، هاي يا بنات .. لكن السيدة لم تكن تحب ذلك ، وقد سألتنا كثيراً عن السبب الذي يجعلنا نضحك حتى قالت ذات مرة : عندما تحتاج الوردة في الحديقة إلى الماء فإن ذلك لا يدعو إلى الضحك .

ثم أضافت : إذا توقفتم عن رش نباتاتي بضحكاتكم وقمتم بمزيد من العمل فإن ذلك سيكون مفيداً أكثر .

وفى الأوقات التى لم نكن نضحك فيها أيضا لم تتوقف السيدة عن القول : إذا سمحت لكم أن تعتنوا بكلابى دون أن يعتنى بكم أحد فى الوقت نفسه فسوف تجلبون نتائج سيئة .

تساءل "ديك" وهو يبتسم : هل تسببت فى أى أذى لكلاب "مسز بلوم" ؟

كان " ديك " يخاف من أولئك البيض ، وأعتقد أنه كان يحاول جاهدا أن يقهر ذلك الخوف حين كان يعرض علينا أنا و" شيمين "– فى جلسات خاصة – الطريقة التى تمشى وتتحدث بها " مسز بلوم " ، حتى إنه تناول ذات مرة كرتين وضمهما إلى صدره وراح يتحدث إليهما برقة كما تفعل السيدة مع الكلبين (مونتى) و (مالان) ، ثم جلس إلى مائدة السيدة وراح يمثل طريقتها فى الكتابة ؛ حيث رجع للوراء وشد وجهه كالحصان وهو يأمرنى بعمل شىء ، فى اللحظة نفسها التى بدا فيها وكأنه يبحث عن نظارته ، كما جلس فوق أحد مساند الكرسى فاردا قدميه كما تفعل السيدة حين تشرب الشاى .. أمسك فنجان الشاى بإبهام يده وضحك كما كان يضحك بعد كل عملية يقوم بتمثيلها ، أما أنا فقد كنت أنبطح أرضًا من كثرة الضحك فى كل مرة .

ارتعش " ديك " من شدة الخوف عندما قامت " مسز بلوم " بتوبيخه فتساءل بينه وبين نفسه : لقد قمت بواجبى فى تنظِيف البيت على أكمل وجه فأين الخطأ إذن ؟ .. لابد أن خطأ ما قد حدث فى إطعام الكلبين أو فى طريقة ارتدائهما لملابسهما الكتّانية .

لقد كان ذلك الرجل الذى جاء ذات يوم بعد الظهر وأخبر السيدة أن " ديك " أهمل كثيراً عندما اصطحب الكلبين فى نزهة بالخارج ، وأضاف قائلا لها وكأنه يريدها أن تعرف مدى اهتمامه وخوفه على الكلاب : لقد كنت أقود سيارتى باتجاه شارعكم حين رأيت " ديك " يترك (مونتى) و (مالان) يعبران الشارع وحدهما ، ولقد حالفنا الحظ كثيراً حين وضعت قدمى على الفرامل فى الوقت المناسب ؛ إذ لم تكن بينى وبينهما سوى بوصة واحدة ، بوصة واحدة فقط ، غير أن الغريب فى الأمر كله أن ذلك الولد لم يتأثر وإنما ظل يبتسم .. أمر غريب حقا ! لقد فعل الولد الذى كان يعمل عندى مثل هذه الفعلة مرتين ؛ فلم أتردد فى طرده . ثم سارعت بمخاطبة الكلب قائلا : تعال يا (روستى) فالولد فى انتظار أن ينظفك .

الكلاب لها أسماء ، الرجال بدون أسماء .. هكذا فكرت .

ذات يوم مزق أحد الكلبين جوربى بأسنانه وكفّيه ؛ فغضبت بشدة ، وعندما أخبرت السيدة أعطتنى نقوداً لأشترى زوجًا آخر من الجوارب ، ولكن عندما مزق الكلب جوربى مرة ثانية قالت لى : لن أعطيك نقوداً هذه المرة ، وعليك أن تحفظى جواربك بعيداً عن متناول الكلبين المهذبين .

فى العام الثالث من العمل عند " مسز بلوم " فى بيتها حدثت أشياء كثيرة سيئة بالنسبة لها ، فقد واجهت بعض المتاعب مع " كيت " ، كما كانت " شيمين " تعانى مشكلة كبيرة فتأرجح قلبى بين حبين .

كانت السيدة تعقد عدداً من الحفلات ودعوات العشاء التى تدعو إليها بعض الأفارقة ، وعندما سألت "كيت" عن السبب وراء تلك الحفلات

ودعوات العشاء أخبرتنى بأن أمها تفعل ذلك عندما تنتهى من كتابة أحد كتبها وأحيانا عندما يأتى زائر من بلد بعيد ، وعلى أية حال فإننى لم أكن أحب السود الذين يحضرون تلك الحفلات لكى يشربوا ويأكلوا ، فقد كانوا يتحدثون بإنجليزية صعبة مثل أولئك المثقفين ، وكانوا ينظرون نحوى كنموذج لشخص أسود مثلهم وأحد الذين يفكرون فيهم وينشغلون بهم .

سمعت " كيت " ذات مرة وهى تتحدث إلى أمها قائلة : أنا لا أعرف لماذا تقومين بدعوة كثير من الأفارقة !

ثم قالت شيئا عن الحكومة لم أستطع أن أسمعه جيداً .

أجابت السيدة قائلة : أنت تعرفين أن بعضهم لا يجد فرصة أخرى لمقابلة البيض ، كما أنهم لا يأتون إلى هنا طمعا فى صداقتى ، وإنما من أجل الشراب فقط .

شعرت بعدم قدرتى على أن أكون خادمة للبيض والسود فى وقت واحد ، فأنا فى بلدى أو حتى فى حجرتى أستطيع القيام بخدمة السود دون أى شعور بالخجل ، أما هنا فإنهم يأتون فقط من أجل الشراب ، فيما عدا ذلك الأسود الذى كان يأتى دائما للمطبخ مع أخته ليتحدثا معى ، لكننى – فى البداية – كنت أنظر إليهما بغير مودة لأن " كيت " تحدثت معى بشأنهما ذات يوم عندما شاهدتهما معى فى المطبخ .. عرفت عندئذ أن بيت الشخص الأبيض ليس هو المكان الذى يحق لى فيه أن أبدو سعيدة أمام السود ؛ فالأبيض دائما ينظر إلى كل شىء بارتياب .

لكننى لم أستطع – ولن أستطيع أبداً – أن أنسى تلك الليلة التى حدثنى فيها ذلك الرجل بكلمات طيبة ورقيقة جعلتنى أشعر بأن قلبى يكبر ويرتجف بداخلى ، وحين تكررت زياراته عدة مرات أخرى عرفت أننى أحبه ، غير أننى لم أستطع معرفة ما يفكر فيه هو كرجل تجاهى أنا كامرأة ، وأيّاً كان الأمر فلقد أحببته ، ولم أتوقف عن التفكير فيه بقلب متألم ·· كنت أتألم لمعرفتى بأنه طبيب ومثقف ويجيد الإنجليزية ، وأننى لن أستطيع أن أفهمه ·

أصيبت " مسز بلوم " بقلق شديد عندما تغيرت " كيت " فجأة ، وبدت كأنها شخص آخر يتعامل ويتصرف بطريقة جديدة ، حتى إننى لم أعد قادرة على إدراك الصواب من الخطأ ·· لقد بدأت " كيت " ترفع صوت الجرامافون الكبير عاليا ، وكأنها تريد أن يستمع كل الناس فى جرين سايد إلى الموسيقى ·· كانت " كيت " تتلوى مع الموسيقى الصاخبة بفم نصف مفتوح ، وحينما أبصرت وجهها عرفت أن هناك شيئا ما عميقًا وغاضبًا وراء كل ذلك ، وقد بدت لى شابة أحيانًا وعجوزًا فى أحيان أخرى ·· كنت أنا وهى فى سن الثانية والعشرين ، وأعتقد أننى استطعت معرفة السبب وراء قلق أمها الشديد ومعاناتها ·

كانت السيدة وابنتها تصرخان فى وجه بعضهما داخل حجرة الجلوس ، ثم توجهتا للدور العلوى وهما تتحدثان بكلمات ساخنة وبطريقة سريعة لم أستطع أن أفهم بعضها ، وفى يوم ما تقدمت السيدة نحوى وقالت : أتعرفين أن " كيت " تحب شخصًا أفريقيًا ؟ إنه الطبيب الذى يأتى للعشاء هنا ، وهى تقول إنه يحبها أيضًا ، وإنهما سيغادران البلد ويتزوجان ·

ثم أضافت : كيف ينظر أهلك يا " كارابو " إلى مثل تلك العلاقة بين امرأة بيضاء ورجل أسود ؟ إن ذلك غير صحيح على الإطلاق .

قلت : لم يحدث أن رأينا مثل ذلك الشيء أبدًا في بلدتنا .

قالت السيدة وكأنها تحدث نفسها : نعم ، هو كذلك يا " كارابو " . إن مثل تلك العلاقة هي الجنون بعينه .

تركتني السيدة وقد بدت كشخص مطرود ، وعندئذ قلت لنفسي : لماذا لا تحب النسوة البيض رجالهن البيض ويتركن لنا الفرصة لنحب رجالنا ؟ ثم عرفت في اللحظة نفسها أنني لم أعد راغبة في الحديث مع "كيت" التي بدت لي كاللص أو كالثعلب الذي ينقضُّ على قطيع من الماشية في الليل ، وأخشى أن يصبح الأمر أكثر سوءًا ولا يسمحوا له بالحضور إلى البيت مرة أخرى .. لقد كرهت " كيت " ، ولم أعد أتبادل معها الحديث طوال وجودها بالبيت ، كما أنني لم أكن شغوفة بمعرفة أي شيء عن كيفية ما تنوي عمله .

ظللت مستيقظة عدة ساعات فوق سريري ، كنت مستلقية ، وكانت أجزاء من جسدي تنبض وتدق كما تفعل الماكينات الكبيرة وحين نمت حلمت بأشياء مؤلمة فكان لابد بعد ذلك أن أتخذ قراري ... أخبرت صديقي ذات مساء بأنني لم أعد أريده فتأثر كثيرًا وتألم ؛ مما جعلني أتألم أيضًا ثم تركني ومضى ، غير أنني لم أتوقف عن التفكير فيه ، وقد تألمت لعدم إمكانية رؤيته مرة أخرى إلا إذا قابلته في الشارع مصادفة في إحدى أمسيات أيام الخميس ، لكنه كان يمتلك

سيارة ، فكيف يمكنني أن أجعله يشعر بحبي ؟ ٠٠ آه ، أعتقد أن ذلك الطبيب الأفريقي لن يتوقف ليفكر في ولن يشغل باله بي ٠

في ذلك الوقت من الشتاء حيث يذهب البيض إلى البحر وحيث نجد – نحن الخدم السود – أشياء كثيرة نفعلها ، كنت أجد نفسي مشتعلة بالحب والأشواق . وفي الحقيقة كان الشتاء هو وقت الخدم فيما عدا الخادمات اللاتي يذهبن مع سيداتهن لرعاية الأطفال ، أما أمثالي فقد كنا نبقى بالمنزل للعناية به وللقيام برعاية الكلاب التي تصبح هي السادة في غياب أصحابها فنقوم باصطحابها للتنزه في الشوارع كما يفعل البيض ٠

كان العمل قليلاً حتى إن ولداً من الخدم فكر في إقامة حفل بحجرته ، وحين سمعنا بذلك لم نصدق ، واعتبرنا الأمر مجرد مزحة لطيفة ، وقال بعضنا : يا له من جرئ وغبي ! ٠٠ إن البوليس يتجول دائما في الليل بحثا عن السود وماذا لو سمع البيض المجاورون لنا ثمة ضوضاء صادرة من الحفلة ؟ أوه ٠٠ لكننا كنا متحمسين وفرحين جدا للفكرة وراغبين في الاشتراك في الحفلة ، غير أن " ديك " فتح فمه الكبير وأصابه الإغماء عندما سمع عن الحفلة ، وعرف أنني أنوي الذهاب ٠

جاءت " كيت " في يوم الحفل ، وقد بدت أقل غضبا وغلظة ، لكنني لم أكن مستعدة للحديث معها حين قالت لي : لقد أخبرتني أمي أنك لا تحبين أن يتزوج رجل أسود من فتاة بيضاء ٠

صمتت قليلا ثم أضافت : لكننى أريد مساعدته يا " كارابو " .

سألتها : كيف تريدين مساعدته ؟

أجابت : أريده أن يرتقى حتى يصل للقمة .

كان صدرى يجيش بالكثير من القول لكننى لم أستطع البوح بأى شىء ، ورحت أفكر فى " ليليان جويى " وفى كل ما قالته لنا ؛ وعندئذ غرقت فى أفكار كثيرة وأصابنى التشوش .

قالت " كيت " : إن أمى أيضا تميل إلى الرأىِ نفسه ، فهل ما زلت توافقينها ؟

قلت : لقد قلت لأمك بأنه لم يسبق لى أن رأيت رجلاً أسود يتزوج من فتاة بيضاء ، وعلى أية حال فإن ذلك لا يعنينى لأننى لا أفكر إلا فى عملى .

تذكرت أننى كنت سأقوم بكى فستان الحفلة فتركتها ومضيت ، ورحت أفكر فى الحفلة مرة أخرى وأنا أقول لنفسى : غداً ستشرق الشمس علينا جميعًا .. نعم ، ستشرق الشمس فى وجود " كيت " أو عدم وجودها ، وفى وجود الطبيب أو عدم وجوده .

انتابنى شعور بالسرور لأن " كيت " والطبيب لن يتسببا فى تكدير صفوى فى ذلك اليوم .

ارتدينا أحسن ملابسنا التى نشتريها عادة من الأولاد الذين يقومون بسرقتها ، ومضينا إلى حفلة قريبنا فى البيت الذى يعمل فيه ونحن نتهامس طوال الطريق ، وحين أخبرنا شخص ما أن البيض فى البيت المجاور غير موجودين قلنا : أوه ، هذا هو المطلوب .

انتشرنا عبر الحديقة فى الخلف ، ثم وقفنا أمام حجرته ونحن نضحك فى هدوء ، وحين جاء من البيت الكبير وأخبرنا أن ندخل بيت أولئك البيض لم نصدق ؛ فقال أحدنا : كيف يجرؤ ؟ هل أصابه الجنون ؟

دخلنا بخطوات بطيئة وكأننا نتشمم الأرض وما هى إلا لحظات قليلة حتى وجدنا أنفسنا واقفين فوق سجاد ناعم أو جالسين فوق وسادات جميلة دافئة ، وكانت سخانات التدفئة تقوم بدورها على أكمل وجه ٠٠ قام قريبنا بخفض الأنوار وكانت البنات متأنقات كما بدا الأولاد فى أحسن صورة ٠

كانت " ناومى" – صديقة قريبنا – مشغولة بإعداد الطعام فى المطبخ ، بينما راح هو يجهز الأكواب والمشروبات المثلجة وعصير الفاكهة وعصير الطماطم والبيرة وأنواع أخرى كثيرة من المشروبات الخفيفة وكان كل شىء جميلا : الكعك ، والبسكوت ، والوجبات الخفيفة ، والكيك ٠٠ ووه ، لقد كانت حفلة حقيقية !

تناولت كثيرا من كعك والزنجبيل الذى قامت " ناومى" بعمله ٠٠ جاء قريبنا نحوى وقال : لن أقدم المشروبات الكحولية ولا حتى البيرة كى لا يجد البوليس سببا للقبض علينا إذا جاء فجأة ؛ إذ يجب أن نشعر أننا أحرار ، لكن مجرد إقامة حفلة فإننى أعتقد أنه لا يوجد قانون يحظر علينا إقامة الحفلات ٠

قلت له : إن لديك كبدا قويا فلا تخف من الشراب ٠

ضحك وبدأ فى تشغيل الجرامافون فسمعنا موسيقى " مريم ماكيبا " و " دوروثى ماسوكا " ، وبعض العازفين والمطربين الأفارقة

الآخرين ، ثم رقصنا ، وأصبحت الحفلة أكثر صخبًا وسعادة .. تناولنا مزيداً من الطعام وضحكنا كثيراً وتبادلنا الحكايات والقصص ، وفى منتصف الحفل تقريبًا أخبرنا قريبنا أنه وصديق له من أورلاندو كانا يجمعان النقود كل عام للمشاركة فى سباق الجياد والمراهنة على الحصان الرابح دون أن يربحا أبدا ، لكنهما ربحا هذا العام مائتين من الجنيهات .. هتفنا جميعا مشجعين وصفقنا قائلين : مائتان من الجنيهات ..أووه !

قلت له : يجب أن تلزم البيت إذن لتعانى من الفراغ .

ضحك قائلا : أنت لم تفهمى شيئا .

ثم قال لنا جميعا : والآن إخوتى وأخواتى ، استمتعوا بوقتكم .. لو كنا فى بلدتنا ووسط أهلنا لكنت ذبحت خروفا وتوجهت بالشكر لأجدادنا ، ولكن هكذا هى حياة المدينة ، وعلى أية حال فإننا يجب أن نشكر أهل المدينة على الشاى والكعك وكل هذه الأشياء الحلوة .. أعرف أن بعضكم يفكر فى جرأتى ، فأرجوكم ألا تخافوا واستمتعوا بوقتكم .

عادت السيدة فى حالة جيدة وقد بدت أكثر نضارة ، وفى الأسبوع نفسه بدأت الشرطة تفتش حجرات الخدم مرة أخرى .. كانوا يبحثون عمن يدعوهم بالمتسكعين وأولئك الذين يعيشون مع أصدقائهم فى الضواحى بدون تصاريح وبطريقة غير قانونية ، فأصبح عدد الأولاد قليلا أو نادراً .. أولئك الأولاد الذين كانوا يذهبون إلى صديقاتهم ممن يعملن مثلى فى المطابخ لكى نقدم لهم قطعة من اللحم الذى يشتريه البيض خصيصاً للكلاب أو لنا .

ذات مساء دخل شرطى أبيض وآخر أسود إلى فناء "مسز بلوم" للتفتيش لكنها اعترضت ؛ فقالا لها : يجب أن نقوم بالتفتيش .

قالت "مسز بلوم" : لا .

لكنهما شقا طريقهما بالقوة إلى الخلف حيث حجرة "ديك" وحجرتى ، فسارعت "مسز بلوم" بالتقاط خرطوم المياه من الحديقة الأمامية بينما كان الشرطيان يتحدثان إلى "ديك" بعبارات قذرة ، وراحت تلّف وتدور بسرعة .. انطلقت أنا مسرعة لمعرفة ما ستقوله لهما فأبصرتها وهى تشير لهما بخرطوم المياه ؛ مما أصابهما بالدهشة ، وما إن استدارا إلى الناحية الأخرى حتى سلطت "مسز بلوم" الخرطوم إلى وجهيهما فانتهزتِ القرصة وتسللت دون أن يرانى أحد إلى صنبور المياه فى ركن البيت وفتحته بقوة ؛ وعندئذ رأيت "ديك" يحاول مثلى أن يخفى ضحكاته . صاح الشرطيان وحاولا الابتعاد عن المياه قدر استطاعتهما ، غير أن "مسز بلوم" كانت تصوب الخرطوم ناحيتهما إلى أعلى وأسفل ؛ فلم يجدا بديلا عن الهرب عبر بوابة الفناء وهما يتوعدان فقالت "مسز بلوم" : لقد انتقمنا منهما .

فى صباح اليوم التالى كان الخبر منشوراً بإحدى الصحف ، وبعد انتصاف اليوم بقليل عاد الشرطيان مرة أخرى وبصحبتهما شرطى آخر أشارا له إلى "مسز بلوم" التى توجهت معهم إلى قسم الشرطة للإجابة عن سبب وقوفها ضد قيام الشرطة بمهامها ، لكنها عادت وقالت إنها دفعت كفالة .

قالوا فى المحكمة إن السيدة قامت بعمل سيئ ولابد من دفع غرامة مالية أو قضاء أسبوعين فى السجن ، فقالت لها "كيت" : أنت لم تفعلى شيئا يستحق السجن كما أنه لا يستدعى المحكمة أيضا .. ادفعى النقود ، إنها خمسة جنيهات فقط .

لكن "مسز بلوم" اختارت السجن بعد أن تأكدت أنها غير مخطئة .

بعد خروجها من السجن كانت تبدو حزينة جدا ، ورحت أنا أفكر فيما قالته لنا "ليليان جوى" كثيرا : يجب أن تكون مستعدا للذهاب إلى السجن فى أى وقت من أجل الأشياء التى تؤمن بها .

سألت نفسى : كيف تفكر "مسز بلوم" وفى أى شىء تعتقد ؟ كيف تفكر بشأنى وشأن "شيمين" و"ديك" وكل السود الآخرين ؟

لم أكن أعرف الإجابة ، لكن كتاباتها الكثيرة للصحف وتلك الاجتماعات التى كانت تتحدث فيها مع أمثالها من البيض عن السود ، بالإضافة إلى طريقتهم فى التعامل مع الحكومة ورجالها البيض جعلتنى أعرف أنها تفكر فينا نحن السود ، لكننى ظللت أتساءل : لماذا تبدو حزينة جداً ؟

عادت "كيت" للبقاء فى المنزل وكانت كعادتها ترقص وتتمايل على صوت الجرامافون العالى حتى إننى اعتقدت – ذات مرة – أن خصرها سيتكسر من كثرة الرقص ، وفى تلك المدة كان يأتى لزيارتها شاب أبيض يدعى "جيم" ، وكنت أشاهدهما من خلال فتحة باب المطبخ وحجرة

الجلوس وهما يقبّلان بعضهما بعضًا لأوقات طويلة ، وقد رأيته – ذات مرة – وهو يرفع فستان "كيت" وقد بدأت أقدامها ترتعش وأوه ، أخشى أن أقول المزيد ، لكن قلبي كان يدق بقوة فقد كنت فى ذلك الوقت أعيش حالة حب كبيرة تفوق فى حدّتها حبى الأول ٠٠ كان وجه الطبيب يقفز إلى ذهنى كثيراً ، غير أننى لم أعد أتألم ٠٠ توقفت عن النظر خلسة إلى "كيت" و"جيم"من خلال الفتحات وبدأت "كيت" تتحدث معى بحرية أكثر مما سبق ولكن بطريقة عصبية فى معظم الأوقات ؛ فلقد صارت هى وأمها صديقتين من جديد ٠

ذات صباح بينما كنت أرتب مئزرى سمعت "شيمين" تناديني قائلة : هاللو "كارابو" ٠

كنت فى طريقى لتعليق حبل الغسيل فأبصرتها واقفة عند السور وانتابنى إحساس بأن لديها شيئا خاصا تريد إخبارى به ، ثم توجهت إليها وأجبت : هاللو "شيمين" ٠

فى تلك اللحظة خرجت امرأة من الباب الخلفى للمنزل الذى تعمل فيه "شيمين" ، ولم أكن قد رأيت تلك المرأة من قبل ، وحين سألت "شيمين" أجابتنى : إنها حماة السيدة ، ألم أخبرك عنها أبدا ؟

ـ بلى ، أبدا ٠

ـ هذه المرأة الفقيرة موجودة هنا منذ يومين ، وهى تعدّ الطعام لنفسها بينما أقوم أنا بإعداد طعام العائلة ٠

ـ فى الموقد نفسه ؟

ـ نعم ، إنها تأتى بعد أن أنتهى أنا من كل شىء ٠

ـ أهى تعد طعاما خاصا لنفسها ؟

ـ نعم يا "كارابو" ، فالبيض ليس لديهم قلب أو إحساس ٠

ـ ماذا سيحدث لو أنها شاركتهم الطعام نفسه ؟

ـ أجابت "شيمين" وهى تضرب كفا بكف : إنه شأن الله وهو وحده الذى يعلم وليس من شأننا نحن أن نعرف ٠

قالت "شيمين" ذلك ، لكننى حين نظرت إلى عينيها عرفت أنها كانت تفكر فى شىء آخر فقلت لها : اعذرينى يا "شيمين" ، سوف أقوم بإخراج الكعك من الفرن وأعود إليك ٠٠ انتظرينى ٠

عندما عدت إليها كانت تمسح عينيها المبللتين ؛ فقالت لى : "كارابو" أتعرفين ؟

هززت رأسى فاستطردت "شيمين" : إننى حامل ٠

ـ أووه ٠

سادت لحظة من الصمت ، قلت بعدها : ومن هو يا "شيمين" ؟

ـ "تيمى" ٠٠ وكأنه قد عاد فقط ليمنحنى ذلك ٠

ـ لكنه يحبك ٠٠ هل أخبرتيه ؟ وماذا قال ؟

ـ لقد أخبرته بالأمس حين التقينا فى المدينة .

ـ حسنًا ، وماذا قال ؟

ـ أخبرنى بألاَّ أنزعج ، ومن الممكن أن أكون زوجته .

ـ إن "تيمى" شخص جيد يا "شيمين" .. إن القليل جدا ممن يمارسون تلك العلاقات فى المدينة هم الذين يعترفون بأطفالهم .

ـ أوه .. "كارابو" ، أنت تتحدثين عن شىء آخر .. ألا تعرفين أننى لم أعمل بما يكفى لتلبية احتياجات أهلى حتى الآن ؟ .. إذا تزوجت الآن فمن سيعتنى بهم خاصة وأننى ابنتهم الوحيدة ؟

ـ نعم ، نعم .. إنها مشكلة حقيقية فعلا ، ولكن يمكنك مناقشة الأمر مع "تيمى" إذ يمكنك العودة إلى بلدك قبل الولادة بقليل للعناية بالطفل لمدة ثلاثة أشهر ثم تعودين للعمل فى المدينة ، وبنقودك ونقود "تيمى" تستطيعان مساعدة الكبار الذين سيتولون رعاية الطفل .

ـ وماذا سنأكل جميعًا طوال الأشهر الثلاثة التى سأقضيها فى البيت ؟ إن الأمر مختلف ؛ ففى الماضى كان لدينا أرض ، وكان بمقدور أمى أن تذهب للحقل حتى يأتى موعد ولادة الطفل .

توقَّف عقلى عن التفكير ولم أستطع أن أجد إجابة شافية .. يا إلهى ، كم مرة خشيت فيها من الشىء نفسه .. إننى أحب وأطمع فى رحمة الله فنحن جميعًا هكذا ولا نملك إرادتنا .

ـ اسمعى يا "كارابو" ، يجب أن أذهب لعمل شاى للسيدة فالساعة الآن العاشرة والنصف .

عدت للبيت ولم تكن السيدة موجودة ؛ فألقيت بنفسي فوق الأريكة في حجرة الجلوس٠٠ اقترب مني الكلب مالان وراح يتشمّم قدمي حتى صرخت وذهبت بعيداً وأنا أقول له : اذهب وأخبر أخاك بما فعلته معك وأخبره أيضا أنني سأفعل معه ما هو أكثر من ذلك إذا ما حاول أن يفعل مثلك ، ولا تنس أن تقول لجدتك عندما تعود ٠

عندما رفعت عيني كان "ديك" واقفًا عند باب المطبخ فقال : هيه ، أنت الآن أيضا تتحدثين إلى الكلاب !

لم أقل شيئا ، وإنما ظللت أنظر إليه ، ثم توجهت إلى غرفتي وجلست فوق سريري ، ورحت أنظر إلى وجهي في المرآة ، فشممت رائحة السيدة ، أوه ! إنها أيضًا رائحتي ، لقد استخدمت مستحضرات التجميل الخاصة بالسيدة ؛ فكنت أشم رائحتها منذ الصباح كما شعرت وكأن سحابة سوداء تحلّق فوقي وتضغط على رأسي وأكتافي ٠

لم أستطع الجلوس فخرجت ورحت أمشي وأتجول عبر المنزل فقد أصابتني رائحة المنزل بالسأم وغمرت كل حلقي ثم توجهت للحمّام دون سبب ما ؛ فشممت رائحة السيدة تفوح بقوة وأبصرت "ديك" وهو ينظف الحمّام ، فوقفت عند الباب وظللت أنظر إليه وهو يزيل الوسخ الخاص بجسد السيدة ويقوم بإخراجه من الحمّام ٠

قلت لنفسي بصوت عال : لماذا لا ينظّف الناس الأشياء الناتجة عنهم ؟ ثم خرجت قبل أن يلحظني "ديك" ٠

قلت لنفسي مرة أخرى : لماذا أفكر في ذلك الآن وأنا التي قمت بتنظيف الحمّام مرات كثيرة عندما كان "ديك" مريضًا ، كما أنني أقوم

بغسل ملابسهم منذ مدة طويلة ، بالإضافة إلى المرآت الأخرى الكثيرة والتى لايمكن إحصاؤها التى قمت فيها بالإمساك بأسوأ الأشياء الخارجة من جسدها ؟

وقفت فى منتصف الطريق بين البيت وحجرتى ، ورحت أتطلع إلى الفناء ، لكننى فوجئت بالقطط الثلاث الرمادية وهى تقف عند السور ولا أعرف كم من الوقت قد مضى وأنا أتطلع إلى القطط التى كانت تبادلنى بنظرات متشابهة حتى استدارت وذهبت بعيدا وهى تموء وتقفز مثل شخص يشعر تجاهك بالشفقة ، ثم فكرت قائلة لنفسى : لماذا لا تذهب هذه القطط وتنظر إلى السيدة كما تنظر لى ؟

دخلت حجرتى ونظرت فى المرآة ثم تساءلت : هل هذه هى "كارابو" ؟

فى يوم الخميس التالى لم أر "شيمين" فى مقهى الغراب الأسود ؛ فانتابتنى الحيرة وشعرت بقلق نحوها حتى جاء المساء ، فوجدت ورقة تحت بابى تفيد بأنه فى حالة عدم عودة "شيمين" فإنها ستكون فى الشارع الثالث ، رقم ٦٦٠ بمنطقة أليكساندرا .

لم يرحب "ديك" فى البداية بالذهاب معى إلى حىّ أليكساندرا بعد أن انتهى من تنظيف الأطباق ، لكنه وافق أخيراً بعد أن أخبرته أن "شيمين" لن تصدق عدم حضورك معى .

حدثنى "ديك" – فى الباص – عن أخته الصغرى وكيف أنه يساعدها بالنقود كى تواصل دراستها وتصبح ممرضة وقابلة .. عرفت

من حديثه عن أخته أنه يحبها كثيراً ، وأنه يصلى دائمًا حتى لا يفقد وظيفته كما فقدها مرات عديدة من قبل ؛ حتى يتمكن من شراء الملابس والكتب لها ، ولا يضطر لاقتراض المال من الناس ؛ كى يدفع مصاريف مدرستها .. كان "ديك" يتحدث عن أخته وكأنها حبيبته ، إنها متفوقة فى المدرسة كما أنها تبدو جميلة مثلما رأيتها فى الصورة التى يحتفظ بها "ديك" .. كانت تعتنى بكبار السن فى حى أورلاندو بالرغم من عمرها الذى لم يكن قد تجاوز الثالثة عشرة .

قال لى "ديك" فى ذلك اليوم : مازلت مديناً لكثير من الناس ؛ لأننى كثيراً ما فقدت وظيفتى .

قلت له : حاول هذه المرة أن تواصل العمل مع "مسز بلوم" .

كنت لا أزال أفكر فى "شيمين" فلم أستطع أن أفهم كل ما قاله "ديك" ، وعندئذ سألت نفسى : ماذا تفعل "شيمين" الآن ؟ ولماذا تلك الورقة تحت الباب ؟

عندما وصلنا إلى ذلك الحى المرعب الملىء بالسكاكين ليلاً ونهاراً والذى يعج بسلاسل الدراجات والبنادق والكلاب الضالة والناس الغارقون فى المتاعب ، وجدناها تتألم فوق السرير ، وكان وجهها – رغم ضوء الشموع – رماديا وكئيبا حتى إننى أمسكت بقلبى بين يدى .. استدارت "شيمين" نحوى وكانت امرأة عجوز تجلس فوق الكرسى واضعة إحدى يديها فوق الأخرى وذقنها فوق كتفها ، إنها المرأة نفسها التى فتحت لنا الباب بصعوبة بعد أن أخبرناها باسم كل منا بصوت

عال ثم عادت لتجلس فوق مقعدها مرة ثانية كما لو أنه لا يوجد شيء آخر تفعله لكنها بعد لحظة قصيرة تنحنحت وقالت : ها هى صديقتكم ، إنها ابنة أختى وقد جاءت من رحم أختى ، أختى التى كانت ترفض أثداء أمى ؛ حتى تمنحنى فرصة الرضاعة ·· لماذا فعلت بنفسها ذلك الشيء الشرير ، أوه ·· أنتن يا فتيات هذه الأيام لا تعرفن بأن الأطفال يموتون سريعًا هذه الأيام ، ولذلك يجب أن تشكرن الرب الذى يزرع البذرة فى أرحامكن حتى تنمو وتصبح طفلاً ·· إذا شاء للطفل أن يولد فلا بد أن أعتنى به ، وستكون أختى سعيدة حين تضع حفيدها فوق حجرها ، ولكن فيمَ يساعد ذلك ؟ أنا لا أعرف !

عندئذ أبصرت خالة "شيمين" وهى تبكى فقد كان قلبها مفعما بالحزن مثلما كانت "شيمين" تماماً ·

واصلت الخالة حديثها بلا انقطاع ، بينما كنت أفكر فى تلك اللحظة وفى تلك الحجرة المظلمة الصغيرة الواقعة فى تلك الضاحية المرعبة ، والتى لا توجد بها شوارع مضيئة ·

شكرت الله عندما عادت "شيمين" للعمل قبل نهاية الأسبوع ، لكنها كانت لا تزال ضعيفة ·· تذكرت أن "شيمين" لم تخبرنى عن خالتها من قبل ، لكننى لم أشأ أن أسألها وإنما أخبرتها أننى قلت للبيض إنها مريضة وإن أخيها أخذها إلى نوكانينج ، غير أنهم لم يحاولوا مجرد معرفة الأمر ·· إن أولئك البيض قوم لا يشغلهم ما يحدث للسود وما عليك إلا أن تكذب عليهم أية كذبة سوف يسمعونها دون أدنى اهتمام ،

لكنهم نادرا ما يصدقونها ٠٠ إنهم دائما الذين يسألون والشخص الأسود دائما هو المطالب بتقديم الإجابات ٠

أخبرتنى "شيمين" بكل شىء ٠٠ لقد ذهبت إلى امرأة متخصصة في مثل هذه الأشياء فأمسكت المرأة بأبرة حادة واتجهت بها صوب الرحم ، ثم تحسست داخل الرحم حتى شعرت بالبويضة فقامت بثقبها وبعد ذلك أعطت "شيمين" شيئا للحد من النزيف ٠

ذات مساء على العشاء كانت "مسز بلوم" تتحدث مع "كيت" عن الكلاب ، وفى كل مرة قمت فيها بإحضار شىء إلى المائدة كنت أحاول معرفة وفهم ما تقولان ، لكننى لم أستطع أن أتبيّن شيئا سوى أنهما كانتا تتحدثان عن الكلاب وعن شىء شائع فى المدن الكبرى بأمريكا مثل نيويورك مثلا ، حتى سمعت أن (مونتى) و(مالان) سوف ينعمان بمقبرة جميلة ٠

فى الصباح التالى - وأنا جالسة فى حجرتى - جاءنى صوت "شيمين" عبر السور ؛ فخرجت من الحجرة وسمعتها تقول لى : هاى أختى ، إليك خبراً غريباً ٠٠ أتعرفين ماهو ؟

قلت : ماذا ؟

أجابت : أولئك البيض يفعلون أشياء تغضب الرب ، إنهم من أكثر الناس الذين رأيتهم إلحاداً ؛ فلقد قالت السيدة التى أعمل عندها إن الناس فى جرين سايد يرغبون فى شراء أرض ؛ لكى يدفنوا فيها كلابهم ٠٠ نعم ، لقد سمعتهم وهم يقولون ذلك فى حجرة الجلوس

عندما كنت أقدم لهم القهوة ليلة أمس ٠٠ هيه ، ياإلهى ، فليأت أجدادنا لإنقاذنا ! .

قلت : وأنا أيضا سمعت "مسز بلوم" وهى تتحدث مع ابنتها فى ذلك الشأن ، وفى الحقيقة لم أستطع سماع كل شىء ، لكننى أقسم بأمى أن يومًا ما سيأتى يجلس فيه الكلاب على المائدة ويستخدمون الشوكة والسكين ٠

تنهدت "شيمين" وقالت : لماذا لا يقدمون لى بعض تلك النقود التى ينفقونها فى شراء الأرض وعمل الأضرحة حتى يمكننى شراء بعض الجوارب ! أقسم بأمى إننى لا أملك شيئا أرتديه ٠

كنت على وشك المغادرة فتذكرت ما كنت أريد قوله٠٠ كان على "شيمين" أن تدفع لتلك المرأة من أليكساندرا؛ التى قامت بإجهاضها ، وكانت كل واحدة منا نحن العشرة تدفع جنيهين كل شهر على أن تأخذ كل واحدة منا عشرين جنيها كل عشرة شهور ؛ فقررنا أن تأخذ "شيمين" نصيبها هذه المرة رغم أنه لم يكن دورها؛ وهكذا قدمت لنا الشكر لمساعدتها ٠

تأخرت "مسز بلوم" فى الاستيقاظ فى ذلك الصباح فذهبت لإيقاظها كما أخبرتنى ، وقبل أن أبدأ فى طرق الباب سمعت أصواتا غريبة فسألت نفسى : ماذا يحدث مع "مسز بلوم" ؟ وهل يجب أن أنادى عليها إذا كانت مريضة ؟ ٠٠ ولكن ، لا ٠٠ إن ما أسمعه ليس صوت شخص مريض وإنما هو صوت يوحى بالسعادة ٠٠انحنيت قليلا ونظرت

من فتحة المفتاح فأصابتنى الدهشة وظللت أسأل نفسى : ماهذا ؟ "مسز بلوم" ! (مالان) ! ماذا يفعلان ؟ كان ذراع "مسز بلوم" ملتفا حول (مالان) ضاغطة إياه فوق بطنها ، وكان جسدها يرتعش داخل قميص النوم وقدماها ترتفع إلى أعلى وتنزل إلى أسفل بينما (مالان) صامت كشىء تم امتلاكه دون أى اختيار منه ٠

عندئذ فهمت ما قاله "ديك" ، ثم سمعت نفسى أردد بكلمات تندفع كالريح من فمى : لقد أنقذنى الله !

عادت الشرطة لاستئناف حملاتها واقتياد السود الذين لا يحملون تصاريح أو أولئك الذين يعيشون مع الخدم بطريقة غير رسمية إلى المخفر ؛ لكن السبب الحقيقى وراء ذلك كان هو تلك القصة المنتشرة فى طول جوهانسبرج وعرضها ، والتى تقول إن السود يقتلون كلاب البيض بالسم ؛ لأن الكلاب تعنى بالنسبة لهم مزيدا من العمل ، ولقد سمعنا أن البيض أرسلوا خطابات للصحف يستنجدون فيها بالشرطة لمراقبة الكلاب وإيقاف أى أعمال شريرة من جانب السود الذين لا يعرفون الصواب من الخطأ عندما يغضبون ؛ مما قد يؤدى بهم إلى وضع السم للسيدات والسادة البيض ٠

اقتحمت الشرطة الضواحى كما يقتحم الجراد حقول الذرة ، وألقت القبض على كثير من الرجال ، وكانوا يسألون كل شخص قائلين : أين السم ، وأين تقوم بإخفائه ؟ إذا أخبرتنا سنطلق سراحك ٠٠ أتسمع ؟

كان "ديك" دائمًا يقول : من الخطأ أن تقتلوا الكلاب المسكينة ، ماذا تفعل هذه المخلوقات لكى تقتلوها ؟ هل الكلاب هى التى تفرض

علينا حمل التصاريح ؟ وهل هى التى تضع تلك القوانين الجائرة والتى نعانى ونتألم بسببها ؟ إن الذين يفعلون ذلك مجانين حقا ولا يعرفون ما يريدون ، إنهم أغبياء ! ٠٠ لكن "ديك" كان يرتعش ويتلعثم فى الكلام عندما تحدّث إليه الشرطى الأبيض ، وكان يهز رأسه فقط ، ثم راحوا يفتشون جيوبه وهو رافع كلتا ذراعيه مثل الفزّاعة التى تقوم بإفزاع الطيور فى الحقل ٠

خافت "مسز بلوم" على (مونتى) و(مالان) ؛ فوضعتهما إلى جوارها فى حجرة الجلوس ، ولم تستطع أن تخفى قلقها الشديد حين استدعتنى وقالت : أتعتقدين يا "كارابو" أنه بإمكاننا الوثوق بالولد "ديك" ؟

كان الجواب على سؤالها هذا صعبًا بعض الشىء ، كما أننى لم أستطع أن أعرف ما تعنيه بقولها (إنه بإمكاننا) ؛ فقلت : أنا لا أعرف يا سيدتى ٠

قالت : أنت تعرفين ٠

نظرت إليها وأضفت : أنا لا أعرف ما تقصدينه يا سيدتى ٠

قالت : أنا لا أقصد شيئا ، ولذلك أسألك ٠

ضحكت بينها وبين نفسها لأنها كذبت هذه المرة ولست أنا التى كذبت عليها ، لكننى لم أغضب لأننا غالبًا ما نكذب على بعضنا مثلما قالت بعد خروجها من السجن بأن كل شىء كان جميلاً رغم شعورها بالخجل ؛ فهى ليست كالسود من أمثالنا الذين ينظرون إلى السجن على

أنه لعبة شريرة من ألعاب الرجل الأبيض ٠٠ كنت أنا و"كيت" نمارس معًا لعبة الكذب ، وكنت متأكدة أننا جميعًا نكذب على بعضنا بعضًا ٠

كانت "مسز بلوم" قلقة وبدا وجهها موحيا بشيء ما وهي تتكلم ؛ مما جعلني أخاف منها وأشفق عليها في الوقت نفسه ٠٠ لقد رأيتها عندما عادت من السجن وعرفتها عندما كانت تصيح في وجه "كيت" وعندما تركت "كيت" البيت ، لكنني لم أرها هكذا من قبل بعد أن سمعت بقصة وضع السم للكلاب ٠٠ العيون ، الشفاة ، فتحة الأنف ، الأسنان ، كل شيء كان مختلفًا ومليئًا بالكراهية ، وبدت كأنها في طريقها لعمل شئ سيئ كما استطعت من خلال إمعان النظر إلى وجهها أن أعرف أنها كانت تريدني إلى جانبها ٠

وجدت نفسي أقول لها : يمكننا الوثوق بالولد "ديك" يا سيدتي ٠

ضمت (مونتي) و(مالان) إلى ذراعيها ، وقامت باحتضانهما ، ثم راحت تداعب رأسيهما ؛ مما جعلهما يشعران بالأمان كما يشعر الطفل بين ذراعي أمه ، وعندئذ قالت : حسنا ، والآن تستطيعين الذهاب ٠

ثم أضافت : لا تخبري أي شخص أنني سألت عن "ديك" ٠٠ إيه !

عندما أخبرت "ديك" بما قالته لي شعر بالقلق فقلت له : إن الأمر لا يدعو للقلق ٠٠ إنه لا شيء ٠

قال "ديك" : لم أكن أفكر من قبل في مشاركة أولئك الذين يضعون السم للكلاب ، لكن الشرطة جاءت وأنا الآن لا أهتم ٠

سألته : هل كنت ستضع السم للكلاب إذا طلب منك أحدهم أن تفعل ذلك ؟

أجاب : لا .. لكننى لا أهتم .

فى اليوم التالى توجهت "مسز بلوم" إلى "ديك" وقالت : عليك بالذهاب فأنا لم أعد فى حاجة إلى عملك .

بكى "ديك" وراح يتساءل : هل السيدة لا تثق بى إلى هذا الحد ؟

ثم أضاف وهو يغادر : لم يخطر ببالى أبدا أن شخصا أبيض يمكن أن يخاف منى !

صاحت "شيمين" من الفناء الآخر قائلة : هيه ، إن البوير (*) يغضبون .

وقالت "مسز بلوم" إنها ستستأجر رجلا بعد الانتهاء من هذه المشكلة .

جاءنى خطاب من أبى وأمى فى فوكنج أخبرانى فيه أن خالى قد مات ، كما أخبرانى بموت آخرين قالا لى بأننى لا أتذكر بعضهم ، لكننى كنت متأكدة أننى أعرفهم كما عرفت أسماء بعض المرضى ؛ فتوجهت إلى "مسز بلوم" وسألتها عن إمكانية ذهابى إلى بلدى ، لكنها بادلتنى بسؤال آخر وقالت : متى توفى ؟

(*) Boer : شخص جنوب أفريقى من أصل هولندى . (المترجم)

أجبت : منذ ثلاثة أيام يا سيدتى ٠

ـ إذن ، لقد دفنوه ٠

ـ نعم ٠

ـ ولماذا تريدين الذهاب إذن ؟

ـ لأن خالى كان يحبنى جدا يا سيدتى ٠

ـ وماذا ستفعلين هناك ؟

ـ سوف أحمل دموعى وكلماتى الحزينة إلى قبره وإلى قبر خالتى العجوز يا سيدتى ٠

ـ لا ، لا تستطيعين الذهاب يا "كارابو" ٠٠ ألا تعرفين أنك تعملين عندى ومن أجلى ؟

ـ نعم سيدتى ٠

ـ أنا التى تدفع لك أجرك وليس أهلك ٠

ـ يجب أن أذهب يا سيدتى فتلك هى تقاليدنا ٠

توقفت لحظة دخلت بعدها المطبخ ثم خرجت وقالت : إذا شئت الذهاب يا "كارابو" فلن أدفع لك أجرة اليوم الذى ستذهبين فيه ٠

ـ أفقد أجرى يا سيدتى ؟!

ـ نعم ، "كارابو" ٠

فـى اليـوم التـالى أخبـرت "مسز بلـوم" أننى سـأذهب إلى فـوكنج بلا عـودة ، وطلبت منهـا إعطائى خطابًا يفـيـد أننى كنت أعـمل عندهـا ، فسـارعت بكتـابة الخطاب دون تردد ومن غير أن تفتح فـمـهـا أو تحرك شفتيـها ·· كتبت فــى الخطـاب إننى عملـت عنـدهـا لمـدة ثلاث سنوات لا أكثر ؛ وعندئذ عاودتنى ذكرى "ديك" وكيف أنها قامت بالاستغناء عنه فى لحظة ؛ فشعرت – فجأة – بألم ما فى قلبى ·

لملمت أشـيـائى ورحلت قـبل حلول الصـبـاح التـالى ، وكـان لدى "شيمين" قصتها الخاصة التى ترغب فى قولها لى حين جاءت لرؤيتى فى حجرتى وقالت : لقد تركنى "تيمى" ·

سألتها : لماذا ؟

أجابت : لأننى تخلصت من الطفل ·

ـ ألم يوافق على فعل ذلك ؟

ـ لا ·

ـ هل ظهرت عليه علامات القلق عندما قلت له إنك حامل ؟

ـ كان قلقا مثلى كما تعرفين يا "كارابو" ، لكنه قـال لى إننى إذا قتلت واحدا ؛ فذلك يعنى أننى سأقتات على كل أطفاله عندما نتزوج ·

ـ أتعتقدين أنه كان يعنى ما يقول ؟

ـ نعم ، "كـارابو" ، وقـد قـال أيضـا إن والديه سـيـسـعـدان جـدًا إذا عرفا أن المرأة التى ينوى الزواج منها ستساعد فى نمو بذرته ·

كانت "شيمين" تبكى بهدوء ، وحين حاولت إخبارها أن "تيمى" تركها لأنه لم يشأ منذ البداية أن يتزوجها ، لم أستطع ، كما لم أجد شيئًا أقوله سوى : لا تبكى يا أختى ، لا تبكى ٠

ثم قدمت لها منديلى ٠

كانت "كيت" فى مكان بعيد جداً لا أستطيع تذكره ، ولقد عادت أثناء مغادرتى فتحدثت مع أمها بشأن إبقائى غير أن أمها لم تهتم ، وحتى أنا لم أكن مهتمة ٠

بعد ساعة واحدة كنت فى محطة الأتوبيس المتجه إلى فوكنج وأثناء الساعات الأولى من الرحلة لم أشعر بأى شىء تجاه البيت الذى كنت أعمل فيه ، فلقد أحسست أننى شخص آخر ، وكانت أفكارى تتأرجح بين "مسز بلوم" وخالى وأبى وأمى وفوكنج وبلدى حتى غلبنى النوم ، لكنه كان نوما متقطعًا ؛ فاستيقظت مرات عديدة أثناء الرحلة ، ويبدو أننى رأيت – فى نومى المتقطع أو فى الحالة التى بين النوم واليقظة – عربة حمراء تنطلق من خلفنا ، لكننى لم أستطع أن أراها أبداً كلما نظرت من نافذة الأتوبيس ٠

كانت الأحلام والرؤى تروح وتجىء فطالعنى "تيمى" وهو يتهم "شيمين" أنها قتلت بذرته التى أراد أن يثبت بها لأمه أنها امرأة يمكن لبذرته أن تنمو فيها ٠٠ رأيت أيضاً "ليليان جويى" وهى تقول لنا : يجب أن يكون ذهابك إلى السجن من أجل شىء كبير وإلا فإنك ستخرجين بقلبٍ نازفٍ وعقلٍ مرهق ٠

توقّف الأتوبيس لحظة فاستيقظت من غفوتى وتذكرت نادى الغراب الأسود ، نادى النساء ، هيه لقد طافت بذاكرتى أيضًا تلك الكذبة التى أخبرت "مسز بلوم" بها بشأن البرقية التى تسلمتها من أمى وقالت لى فيها إنها مريضة جداً ؛ واستطعت عندئذ أن أقضى إجازة جميلة .

كانوا يقومون بأعمال حفر فى الطريق ، فامتلأ الأتوبيس بالتراب ، وعندما غلبنى النوم مرة أخرى رأيت السيارة الحمراء خلفنا تمامًا ، لكننى حين استيقظت لم أجد لها أثرًا .

ظلت الذكريات تلاحقنى فى نومى ويقظتى .. ذكريات كثيرة وأحلام لم يستطع صوت الأتوبيس المروّع أن يوقفها .. (مونتى) و(مالان) ، السيدة "كيت" ، قوم آخرون وأشياء كثيرة ، لكن الأتوبيس كان يمضى الآن فى طريق ممهدة وجميلة وتحيطها الأشجار من كلا الجانبين فقلت لنفسى : ياله من لغو كل ذلك الذى أفكر فيه !

ساعدنى اهتزاز الأتوبيس على النوم مرة أخرى ؛ فحلمت هذه المرة بمن يقول لى : انظرى يا "كارابو" ، لقد ماتت كلاب السيدة ، لقد قتلتهم بالسم بعد أن طردتنى من وظيفتى ، ألم تطردك أنت أيضًا ؟ ومن أجل ماذا ؟ من أجل لا شىء ! .. لقد قتلت الكلبين حتى أشعر بأنها طردتنى من أجل شىء ما .

صرخت قائلة : لا يا "ديك" ، لا يا "ديك" .

بعد أن صرخت باسم "ديك" قفزت من فوق المقعد ؛ فاستيقظت وقد ارتطم وجهى بالنافذة ، وكان العرق يغمر جبهتى .

أخبرت أبى بقصتى فقال لى : لا يهم طالما أنك بصحة جيدة ، إن العامل يموت يا ابنتى ، لكن العمل لا يموت وهو موجود دائماً ٠٠ عندما كنت صبيًا وقويًا كان هناك كثير من العمل ولم يكن الرجل الكسول بقادر على القول بعدم وجود عمل ، لكن الناس هذه الأيام مختلفون ٠

قلت : تلك الأيام قد ولت بابا ، ويجب أن أعود للمدينة بعد أن أستريح قليلا للبحث من جديد عن عمل ؛ إذ يجب أن أعتنى بك وبأمى فالناس هذه الأيام فقراء جداً ولا يستطيعون مساعدتكما ٠

كان لا بد من العودة إلى جوهانسبرج حيث غزارة الحياة وتنوعها ؛ إذ إننا هنا فى فوكنج لا نفعل شيئا سوى مراقبة شروق وغروب الشمس بالإضافة إلى صعوبة العيش فى ظل ظروف اقتصادية بالغة القسوة ؛ لذلك أخبرت "شيمين" أن تفعل ما فى وسعها للحفاظ على وظيفتها ٠

بعد أسبوع من عودتى إلى فوكنج أبصرت سيارة حمراء ، وكانت امرأة بيضاء جالسة إلى جوار السائق ٠٠ عرفت فى الحال أنها سيارة "مسز بلوم" ، وكان الرجل الجالس إلى جوارها يبين لها الطريق ؛ فقد رأيته وهو يشير إلى بيتنا حيث كنت أجلس ٠٠ ارتجف قلبى قليلا بعد أن خرج كلاهما من السيارة ، وتقدّم الرجل نحوى ، ثم قدمت له المرأة البيضاء الشكر بعد أن تبادل معى الحديث قليلاً ٠

كنت أنظر إلى قطعة القماش التى كنت أعمل فيها عندما بدأت تتحدث معى ، فلم أكن فى الحقيقة أعرف ما أفعله ، ولم أستطع النظر إليها ٠٠ ثمة ابتسامة رقيقة ولكنها مرهقة كانت ترتسم فوق وجهها ،

سارعت بالدخول إلى البيت وأحضرت مقعداً منخفضاً ، وطلبت منها أن تجلس ، لكننى تذكرت فجأة أن البيض لايرغبون فى أشياء كثيرة عندما يقومون بزيارة السود لأول مرة مثل الجلوس أو شرب المياه أو الدخول إلى البيت ، هكذا فعل القس الأبيض حين جاء لزيارتنا ، وهكذا كنت مرتبكة حين ذهبت مع "كيت" فى سيارتها إلى بلدتى فوكنج فى عيد الفصح ؛ ولم أدرِ يومئذ ما يمكننى عمله .

قالت "مسز بلوم" : هل ترغبين يا "كارابو" فى العودة للعمل عندى ؟

أجبت : لا أعرف ، ويجب أن أفكر أولاً .

قالت : هل تستطيعين التفكير فى الأمر والانتهاء منه قبل صباح الغد ؟ حيث يمكننى الذهاب والنوم فى فندق المدينة على أن أعود غداً صباحاً ، وإذا كان جوابك بنعم ؛ فإنه بإمكانك العودة معى .

تمنيت لو أنها قالت إنها تأسف لطردى ، ولم أكن أعرف طريقة تجعلها تقول ذلك فالبيض لا يتأسفون أبداً لشخص أسود ، كما أنها لم تفعل ذلك من قبل فرحت أفكر فى طريقة تجعل عودتى معها أمراً صعباً ثم قلت لها : أنا لا أعرف ، يجب أن تسألى أبى أولاً فهل أنادى عليه ؟

أشارت برأسها وقالت : نعم .

قمت باستدعاء أبى وأمى فقاما بتحيتها ، بينما رحت أنا لإحضار المقاعد ، ثم أخبرتهما بما تريده "مسز بلوم" .

تشاورت فى الأمر مع أبى وأمى ثم قلت لهما : إذا وافقتما ؛ فسوف أفكر فى الأمر وأخبرها غداً .

قال الأب : إن الأمر متوقف على ما تشعرين به يا ابنتى .

قلت مخاطبة "مسز بلوم" : إذا شئت أن أفكر بالأمر فإننى أريد أولاً أن تدفعى أكثر لأن راتبى ضعيف جداً .

سألتنى : كم تريدين ؟

- أربعة جنيهات على الأكثر .

ثم نظرت إلى الأرض لحظة ، وأضفت : كما أريد إجازة لمدة أسبوعين فى عيد الفصح ؛ حيث إن إجازة نهاية الأسبوع لا تكفى .

هكذا قلت وأنا أفكر بأنها إذا كانت تريدنى حقًا فإنها ستوافق ؛ وعندئذ يمكننى التأكد من شعورها بالأسف لفقدانى .

قالت "مسز بلوم" : أستطيع أن أعطيك أسبوعًا واحداً لأنك – كما تعلمين – تنعمين بما يشبه الراحة عندما أذهب أنا إلى دوربان فى الشتاء .

قلت لها : سوف أفكر فى الأمر .

ثم غادرت .

فى اليوم التالى كنت قد حزمت أشيائى وأصبحت مستعدة للعودة معها ، وعندما جاءت بدت سعيدة جداً وأكثر طيبة ، فشعرت بثقة فى نفسى لم أشعر بها من قبل أبداً ، ثم قالت لى : لن تجدى (مونتى) و(مالان) .

ـ أوه !؟

– نعم ، لقد سرقهما شخص ما فى اليوم التالى لرحيلك ، ولم يعثر عليهما البوليس حتى الآن ٠٠ أعتقد أنهما ماتا ٠

فكرت فى "ديك" وفى الحلم الذى رأيتـــه فى الأتوبيس ، فـــهل استطاع أن يفعل ذلك ؟ وهل جاءت هذه المرأة لأعود معها لأنها فقدت حيوانين كانت تحبهما كثيراً ؟

قـالت "مـســز بلوم" : أنت تعـرفين يا "كـارابو" أننى أحب شـعـبك وأحب الأفارقة ٠

فسألتها على الفور : وهل تحبين "ديك" وتحبيننى ؟

مسألة تذوق

أليكس لاجوما

جنوب أفريقيا

ولد أليكس لاجوما فى مدينة كيب تاون عام ١٩٢٥ ، وغادر جنوب أفريقيا مع عائلته سنة ١٩٦٦ ، وكان ممنوعاً من الدخول من قبل حكومة جنوب أفريقيا بسبب أنشطته السياسية ٠٠ فى عام ١٩٦٢ وضعوه تحت الحراسة لمدة خمسة أعوام ٠٠ كتب " الحبل المثلث " عام ١٩٦٤ ، و " الوطن الحجرى " ١٩٦٧ ، و " نزهة فى الليل" ، وبعض الروايات والقصص الأخرى .

كانت الشمس متألقة باتجاه الغرب والسحب الرقيقة فوق الأفق تبدو كالبيضة المنشطرة إلى نصفين ، ويحدها اللون الأصفر المشرق حين كان الولد الصينى واقفاً يلهث بجوار الإناء الموضوع فوق النار وهو يقول : يجب أن يغلى الآن ٠

كان الإناء متذبذباً فوق قالبين من الطوب وحجر ناعم ٠٠ أشعلنا النار بحرص لنصنع القهوة ، وظللنا ننتظر غليان الماء ونحن نراقبه

باهتمام شديد كما لو أن امرأة تنتظر ميلاد طفل ... امتلأ سطح الماء بالفقاعات ؛ فألقى الولد الصينى بعض القهوة فى الماء وراح يقلب الإناء ٠٠ كان قصيراً ذا شعر رمادى مجعد ووجه كبير هادئ وتعلو ملامح وجهه مسحة من الصبر وكأنه اعتاد أن يفعل الأشياء ببطء وعناية ، غير أن عينيه كانتا سوداوين لا تستقران على حال مثل زوج من الصراصير ٠

قال ناصحا : لنتركها قليلاً ٠

وضع بقية القهوة جانبا وأخرج من جيبه خرقة قديمة لفها حول يده ، ثم رفع العلبة من فوق النار ووضعها بعناية فوق الرمل بجوار قالب الطوب ٠

كنا قد انتهينا لتونا من العمل فى خطوط السكك الحديدية ومضينا نحو المعسكر على بعد ياردات قليلة من الجسر ٠٠ كان الصدأ يغطى حديد المكتب المجعد الملىء بخيوط العنكبوت ، والأعشاب الضارة تكسو الرصيف المحطم ، وكانت التدويرة الأسمنتية لا تزال فى مكانها ، لكن الشرخ أصابها ؛ فبدت كأنها لافتة للترحيب بزائرى مدينة الأشباح

تناول الولد الصينى علب اللبن النظيفة وقام بترتيبها فتقدمت إلى العارضة الخشبية وانتظرت بداية طقوس صب القهوة ٠٠ بدأ الولد الصينى يلف يده فوق العلبة استعداداً لصب القهوة ، لكنه لم يفعل وراح يراقب شيئًا ما خلفنا .

أصوات مزيج من الحفيف والخشخشة والطرقعة كانت تنبعث من بين الأغصان والفروع ٠٠ نظرت إلى الوراء وإلى أعلى فتراءى أمامى

بوضوح ظل طويل لرجل خارج من المزرعة .. كان الرجل نحيلاً ومقيداً وذا وجه أبيض شاحب ولحية صفراء بلون الذهب ، ولم يكن من العسير ملاحظة تلك الخطوط السوداء القذرة حول فمه وتحت عينيه وفوق رقبته .. كان شعره متناثراً وغزيراً يتساقط من الخلف متسللاً إلى رقبته وحول صدغيه ، وكان يرتدى حلة قذرة من الجينز القديم الباهت اللون ومعطفًا من الجلد الممزق .

وقف أمامنا في تردد وراح ينظر نحوى ، ثم نحو الولد الصينى ، وما لبث أن عاودنى بنظراته وهو يتحسس فمه بيده وقال : لقد شممت رائحة القهوة .

أومأ الولد الصينى إلى الرجل الغريب الأبيض وخاطبه قائلاً : اجلس ، سوف نتناول العشاء .

كشر الأبيض قليلاً ، وظل يلف حول العارضة الخشبية بحيرة وارتباك دافعا إياها بحذائه القديم إلى أعلى دون أن يقول شيئًا سوى مراقبة ما يحدث ، بينما تناول الولد الصينى علبة أخرى من علب اللبن النظيفة ورفع الإناء من فوق النار ، وبدأ يصب القهوة فى العلب ، ثم رشف رشفة كبيرة بصوت واضح وقال : كان من المفترض أن نتناول بعض الخبز الناشف فلا شيء يعادل الخبز الناشف مع القهوة .

قال الولد الأبيض : السجق .

– هاآآه .

- السجق مع القهوة .

قطب الولد الصينى جبينه وسمعته يقول : أووه !

ثم سأل : هل أنت ذاهب إلى مكان ما أيها الأبيض ؟

" كيب تاون " فقد أحصل على وظيفة هناك .. ربما وظيفة فى سفينة يمكننى من خلالها التوجه إلى أمريكا .

قلت : إنهم كثيرون أولئك الذين يرغبون فى الذهاب إلى أمريكا !!

رشف الأبيض قليلاً من القهوة وقال : نعم .. لقد سمعت أن هناك مالاً كثيراً وطعاما كثيراً .

رد الولد الصينى قائلاً : أتتحدث عن الطعام ؟ لقد رأيت ذات مرة صورة فى كتاب عن الطعام هناك عبارة عن قليل جداً من الدجاج المحمر سهل التفتت يسمونه غلة وبعض الفطائر ومرق اللحم وبطاطس محمرة ونوع جديد من البازلاء الخضراء ، كل شىء مصنوع بالألوان .

قلت ساخراً : ناولنى لحم الحمل المشوى .

فقال الولد الأبيض : لو أننى أحصل على مثل هذا الطعام ؛ لما ترددت فى الانقضاض عليه والتناول منه حتى الانفجار .

رشف الولد الصينى قليلاً من القهوة ثم قال : عملت ذات مرة وأنا صغير جرسوناً فى أحد المقاهى الكبيرة ؛ فرأيت بنفسى ما كانوا يتناولونه من طعام مغشوش .

قلت : هل تذكر حين ذهبنا للشراب وتناولنا أكواز الذرة والفول حتى انتفخنا ؟

أضاف الولد الصينى بطريقة غريبة : أتمنى أن أجلس فى يوم ما بأحد المقاهى الكبيرة والتهم بطة كاملة وبطاطس محمرة مع سلاطة البنجر وطعام الملائكة وكعكة من المربى والفاكهة ، ثم أشعل سيجارا فى النهاية .

أجاب الولد الأبيض إنها مسألة تذوق ! فبعض الناس يحب الدجاج وبعضهم الآخر يحب رءوس الأغنام وحبات الفول .

قال الولد الصينى متجهمًا : مسألة تذوق ؟! .. إنها مسألة نقود يا صديقى .. لقد عملت ستة أشهر فى ذلك المقهى ولم أر أبدا أن أحدهم طلب رءوس الأغنام أو حبات الفول .

سأل الأبيض : هل سمعت عن رواد تلك المقاهى الكبيرة ؟ لقد سكب أحدهم ذات مرة آخر ما تبقى من القهوة فى كوب الفنجان ، ثم أخرج سندويتشا واستدعى الجرسون وطلب منه كوبا من الماء وعندما جاء الجرسون بكوب الماء سأله : لماذا لا تعزف الفرقة الموسيقية ؟

ضحكنا قليلاً ، فأضاف الولد الصينى وهو يسعل ويتمتم : كما طلب آخر السجق والعصيدة ، وعندما أحضر له الجرسون ما أراد قال له : أيها الرجل .. لقد أحضرت لى طبقا مكسورا !! .. لكن الجرسون قال له : أوه .. إنه ليس مكسورا .. إنه السجق .

ضحكنا أكثر من المرة الأولى ، وراح الولد الصينى يتطلع إلى السماء باتجاه الغرب ٠٠ كانت الشمس على وشك الغروب وعبر الأفق بدت السحب معلقة كالخرقة البالية الملطخة بالدم ٠

كانت الأغصان تتمايل بفعل هبات النسيم ومن خلف خط السكك الحديدية سمعنا أحد الطلاب يزعق بصوت عال ٠

قال الولد الصينى : توجد عربات بضائع فارغة تمضى من هنا إلى ما حولنا ، وعلينا أن نساعد الأبيض ؛ إذ ربما يستطيع الذهاب إلى "كيب تاون " ٠

ثم نظر إلى الأبيض مستطرداً : هناك منحنى يمكنك من خلاله أن تقفز إلى القطار وسوف نريك إياه ٠

وأومأ لى قائلاً : جون ٠٠ عليك أن تهتم بالبط ٠

أفرغت ما تبقى من القهوة وكانت النار قد خمدت وصارت كومة من الرماد ٠٠ فتش الأبيض فى جيب معطفه الجلدى فلم يجد سوى ثلاث سجائر فقدم واحدة لكل منا ، ثم رفع الولد الصينى غصنا من الخشب المحترق أشعلنا به سجائرنا . وقال متفحصاً طرف السيجارة المتأجج : سيجار طيب جداً ٠

عندما انتهت القهوة والسجائر كانت الشمس فى طريقها للغروب فاكتست الأرض بظلال سوداء وتلونت باللون الأرجوانى وبدت ظلال الأغصان كالتنين ٠

كانت عربة الفحم تسير ببطء ، فمضى الأبيض نحوها وهو يراقب قبضة الحديد فى نهايتها حتى وصل إليها وثبت قدميه ٠

استطعنا رؤيته وهو معلق عند حافة العربة ٠٠ كان يشد نفسه إلى أعلى ، وكنا نسمع طرقعات القطار من بعيد ٠

لوح لنا بيديه من بعيد وهو يفتح باب العربة فرفعنا أيادينا نرد التحية ؛ وعندئذ قال الولد الصينى : لماذا لا تعزف الفرقة الموسيقية ؟ ٠٠ ياللجحيم !! ٠

الحفلة

چيمس ماثيوز

جنوب أفريقيا

ولد "چيمس ماثيوز" عام ١٩٢٩ فى جنوب أفريقيا ... عمل فى الصحافة مدة طويلة .. وترجمت أشعاره وقصصه إلى عدة لغات ، وقد نشرت أولى مجموعاته فى السويد ... صدرت أولى مجموعته الشعرية (صحية الغضب) فى أمريكا وهولندا وفرنسا وألمانيا عام ١٩٧٣ ، لكن ديوانه (صيحة الأصوات السوداء) تعرض للرقابة ، وفى عام ١٩٧٦ تم اعتقاله لمدة أربعة أشهر كتب خلالها مجموعة من القصائد جمعها فى ديوان بعنوان (أعطنى كرات اللحم يا چون) .

حجرة كبيرة وفسيحة ، يتجاوز اتساعها كل البيوت التى شاهدها من قبل ، وحين راح يعقد مقارنة بينها وبين منزله المكون من حجرتين صغيرتين للنوم وحجرة للمعيشة والطعام ؛ عرف أن منزله يعادل نصف هذه الحجرة الكبيرة ذات الطلاء والقماش المزركش والحوائط المزينة بمرايا ذات إطارات من الذهب ... عند أحد أركان الحجرة الكبيرة كان

من اليسير رؤية تلك التماثيل المنحوتة من العاج ، أما السجادة فكانت ناعمة ومزدهرة كالمروج الخضراء .

الحجرة الكبيرة والناس كثيرون حتى إن الحجرة لم تكن كافية لاحتوائهم فكانوا يتخبطون ويندفعون نحو الصالة المؤدية إلى حجرات أخرى .

ضغطت المرأة بيديها فوق المقعد فى محاولة للنهوض فبادرها بابتسامة رقيقة مهذبة ، وحين شعر بفخذها يلامس فخذه حاول أن يبتعد بقدمه قليلاً غير أن محاولته لم تكن جادة ؛ فراح يغير وضع أردافه كى ينهض لكنها عاجلته بنظرة خاطفة ، ثم ابتسمت وقالت : لا تنهض من فضلك .. إنه الزحام .. زحام بعض الشىء ، وعلينا أن نعتاد ذلك ؛ إذ يجب أن نملك القدرة على الاعتياد .

تحرك بجسده قليلاً حتى أصبحت المسافة بينهما أكبر مما كانت عليه ثم قال : لقد أخطأت حين شغلت مساحة كبيرة .

– كرم ولطف منك أن تقول ذلك ، لكننى أخشى أن أكون أنا التى أخطأت .. نعم أنا التى أخطأت .

ثم ضحكت وهى تربت فوق أردافها مستطردة : لقد شغلت أكثر من مساحتى المفروضة .

أومأ برأسه مشيراً إلى أن لديه أيضاً متاعبه مع الجسد الذى لم يكن دائماً كما يرغب أن يكون ؛ وهكذا فهو متعاطف معها .

قالت : زحام .. زحام بعض الشيء .

أجاب : نعم .

- ماذا حدث ؟ أين الشراب ؟ هل شربت شيئًا ؟

- لا .

- انتبه لمقعدى .. سأرى ماذا يمكننى أن أفعل .

وسرعان ما اختفت بين الأجساد فى الزحام .

غيّر من جلسته ومدّد كلتا يديه فوق زراع المقعد ، ثم مال بظهره للوراء فارداً قدميه ، ولم يعد قادراً على رؤية الناس من حوله .. تطلّع إلى جمهور الحاضرين المحتشدين فى الحجرة فأبصره كثيراً من النساء اللاتى يفوق عددهن عدد الرجال .. كانت النساء من ذوات البشرة البيضاء وأربعة فقط من الرجال السود ، هو وثلاثة آخرون من الملونين يعرفهم معرفة جيدة ولا يعرف أحداً من الرجال البيض .

كان غريبًا وسط حشد من الغرباء رغم أنهم جميعًا يتحدثون لغة واحدة .. تذكّر لون بشرته ؛ فأحس أنه فى أرض غريبة فراح يحدق فى أرجاء الحجرة ويتطلّع بشغف إلى أصدقائه الثلاثة ؛ كى يقهر هذا الإحساس ويستعيد ثقته بنفسه ، ثم انتصب واقفًا إلى جوار ذلك الحشد من الأجساد الملتصقة بعضها بالبعض حتى كاد أن ينخرط بينهم .. ظل يرمقهم بنظرات سريعة حتى توقفت عيناه عند تلك المجموعة فى نهاية الحجرة ؛ حيث كانوا يتحدثون بصوت عال ، بينما كانت امرأة ما تشير

بيدها وتتلوى فى طريقها عبر الحجرة مثل راقصى الكونجا .. حاول أن يشق طريقه نحوهم فأبصر "رون" ممسكًا بالكأس فى يده ملوحًا فى الهواء باليد الأخرى ، وحين تجمعوا فى حلقة مقفلة لم يستطع أن يرى سوى ظهورهم ، غير أن تلك المجموعة قد أثارت انتباهه دون أن يعرف السبب ، غير أن "رون" كان يدير النقاش .

كان يحسد "رون" على هدوئه وقدرته على الاختلاط بأولئك الناس محطمًا حاجز اللون ؛ مما جعل الأمر يبدو بالنسبة له طبيعيًا وكأن شيئًا لا يعنيه .. كيف استطاع أن يعبر تلك الفجوة ؟ ظل يحسده دون حقد وتمنى لو استطاع بمرور الوقت أن يكتسب هذه النعومة فى التصرف والقدرة على التخلص نهائيًا من القلق الذى يساوره الآن .

امتلأت الحجرة بأصوات كثيرة متداخلة ، ولم يكن من اليسير التمييز بين تلك الأصوات .. امتزجت أصوات الرجال الخشنة مع ملاحظات النساء الحادة اللاذعة ، وكانت الضحكات مدوية وكذا صخب الآلات الموسيقية الرنانة .. تقافزت إلى أذنه كلماتهم المتناثرة مثل موجات الراديو المتداخلة ، وكانوا جميعًا يثرثرون .

ضحك أحدهم قائلاً : "جاك" فعلها مرة ثانية ! قد يعتقد شخص ما أن لديه إحساسًا .

تساءل عن هوية "جاك" ، وما الذى فعله لإثارة اهتمام المتحدث وفرحة المستمعين ؟!

– هل ستذهب إلى حفلة "مارجوت" يوم الجمعة مساء ؟

– نعم يا عزيزتى .

– من سيجذب انتباهها هذه المرة ؟

– لا أحد يعلم ، وإذا شئت أن أخمن – من خلال دعوتها السابقة – فإنه عبقرى آخر تستطيع "مارجوت" إدراك موهبته .. هل أنت ذاهبة ؟

– لا .. لست فى حاجة شديدة لتناول وجبة .

عاودته الشكوك ، فهل كان فى غير حاجة لذلك ؟ وكيف يتوق للتعامل معهم ؟ تمنى لو كان طبيعياً وسط ذلك الحشد من الناس ذوى السلوكيات المختلفة والألسنة الحادة ، وألا يكون فى حاجة للدفاع عن نفسه .

أصرّ "رون" على ذهاب "وليام" معهم ، وكانت الحفلة من أجل نشر الكتاب الثالث لمؤلفه ؛ حيث للنقد أهميته .. كان "رون" شديد الإعجاب به عندما نشر كتابه الأول ، ثم أصبح مؤيداً له بعد قراءته لبقية أعماله .. كان "رون" قد أخبره أن اللقاء سيكون منظماً ، لكنه تراجع فى البداية غير أن الدعوة و "رون" جعلاه يعدل عن رأيه .

قال "رون" : اسمع يا "وليام" .. لقد عانيت كثيراً من أجل دعوتك للحفلة إذ يمكنك هناك مقابلة "كولن آشورت" ، فلقد حان الوقت لمقابلة الناس ؛ ولابد من أن تتلمس طريقك .

ذهب قبل موعده بقليل وانتابه الخجل من فكرة المقابلة فسارع "رون" بتقديمه إلى "كولن" : إنه "وليام أبوللوس" .. إنه يقسم بك كاتباً .

حرّك يده فى غير مودة لتحية ذلك الرجل الأبيض ، وقال وهو يرفع رأسه : كيف حالك ؟ .. ثم مالبث أن احتقر نفسه لتفوهه بتلك البداية التقليدية التافهة .

قال "كولن" مخاطبًا "رون" : أوه .. إنه "وليام" الذى أخبرتنى عنه .

ثم قال ل "وليام" : أعرف يا "وليام" أنك أيضًا تكتب ، فهل لى أن أرى بعض أعمالك الآن ؟

نظر بعينين متسائلتين وأحس حرارة ساخنة تتدفق فى عروقه ، ثم قال متلعثمًا : نعم .. نعم .

انصرفت ربة البيت لاستقبال ضيفين آخرين ، وكان الضيوف يملأون الحجرة بينما يلوح "رون" بالتحية لهم ويتوقف قليلاً للحديث مع بعضهم ثم يواصل السير .. عندئذ انفصل "وليام" عن الآخرين واختار لنفسه مقعداً .

امرأة جذابة ذات شعر أحمر كانت تتنقل بالصينية من مكان لآخر ، وحين توقفت أمام "وليام" قدمت له كأسًا من الشيرى ؛ فابتسم لها .

كانوا جميعًا ظرفاء ومهذبين ، وبهدوء انتقلت المرأة إلى شخص آخر فى المقعد التالى ، فراح "وليام" يخترق بنظراته صوب المرأة ذات الملابس الضيقة حتى تملكه – مرة أخرى – إحساس بأنهم يلعبون دوراً فى السينما ، وكان يرى حركاتهم ذات أبعاد ثلاثة ، كما كانت ثرثراتهم تضفى على المشهد مزيداً من الإثارة .

غرق فى أفكاره الخاصة متجاهلاً الجالسين إلى جواره وربما كان قد نسيهم .. كانت عيناه مصوبتين نحو شخص معين افتقده لحظة ثم أبصره مرة ثانية .

استهوته المرأة التى لم تكن صغيرة وشابة لكن طريقتها فى الوقوف والجلوس والمشى كانت توحى بشبابها الرائع الذى انقضى .. كانت كمن تقوم بدور الأميرة أو الملكة .. رغب فى متابعتها وبشغف كان يطلع إليها وهو يحصى عدد المرات التى فكر فيها جيداً قبل أن يفقدها فى النهاية .

لم يتوقفوا عن النظر إليه ومراقبته فراح يتوخّى الحذر فى تصرفاته ، وكمن يشعر بالذنب ، كان يرفع رأسه مثل ولد صغير أمسكوه وهو يختلس النظر إلى أشياء ممنوعة ، وحين اقتربت منه المرأة التى قدمت له الشراب – وكانت تحمل صينية تحوى أطباقًا من الوجبات الخفيفة وطاسة من خليط الجوز والبندق وكوبين من الشراب المسكر وعصير الليمون – قفز واقفًا على قدميه ، لكنها جلست وقالت : تفضل بالجلوس.

تحركت بجسدها لتفسح له مكانًا فغرق بجوارها فى المقعد ، ثم أضافت : أحضرت لك طعامًا لأنك – كما يبدو – لم تتناول شيئًا منذ جئت ، غير أننى رأيتك أخيراً تشرب كأساً .

– لا .. شكراً .

لكنه أمام إصرارها شرب كأسًا أخرى ، ثم وضع الكأس الفارغة بعناية فى جانب الصينية ، وكانت ابتسامتها الغريبة قد بددت كثيراً من حرصه وحذره .

– ماذا تعمل ؟

– إننى أكتب أو على الأقل أحاول أن أكتب .

– هل لك كتابات مطبوعة ؟

– خمس مطبوعات .

توقف عن الحديث وبدا خائفًا كتلميذ فى مدرسة ، فقالت بسرعة واستفزاز : أين طبعت أعمالك هذه ؟

– كل أعمالى تم طبعها ما عدا عمل وحيد نشر فى لندن هو (بائعة الزهور) .

– انتظر دقيقة .. أعتقد أننى قرأتها ، أليست هى الرواية التى تقع أحداثها فى سفينة تجارية كبيرة ؟ لقد استمتعت بها ؛ إذن أنت "وليام أبو للوس" ؟ !

ابتهج وانتابه وهج الدفء عندما تذكرت اسم الكاتب .

ثم أضافت : أنت أيضًا الذى كتب (أمنية عيد الميلاد الساخن) و (العملة الذهبية) .. أوه .. لقد كنت على صواب حين قلت لنفسى إن تلك القصص ليست من إبداع كاتب أبيض ؛ فهى قصص واقعية جداً ، كما أنها أكثر اقترابًا من الحياة .

تحسست كتفه بنعومة واستطردت : هل تعرف ماذا أعنى ؟ أرغب فى القول إننى سعيدة بلقائك بعد أن استمتعت بقصصك .. حقا لقد استمتعت بها جداً .

ثم أشارت بيدها إلى صدرها : أنا "مارجوت بيرس" .

لفّ يده بحذر شديد حول يدها الناعمة ، ثم تساءل بينه وبين نفسه عما إذا كانت هى "مارجوت" نفسها التى قامت بدعوة أقبح الناس إلى مائدتها !

قالت وكأنها تؤكد له : يجب أن تأتى إلى مائدتى حيث الطعام والشراب ؛ نستطيع أن نتبادل الحديث ، فثمة أشخاص أود لو تقابلهم .

حدثته عن بعض أسماء الكتاب الفنانين والنحاتين الذين سمع عنهم من "رون" ولم يكونوا معروفين تمامًا ، لكنهم فى طريقهم نحو الشهرة ؛ فانفجر ضاحكًا ولم يستطع أن يتمالك نفسه .

نظرت إليه بارتياك قائلة : هل دعوتى لك مضحكة إلى هذا الحد؟

– لا .. كنت أفكر فى شىء آخر حدثنى به شخص ما .

ثم قال لنفسه : شىء يبعث على المرح .. كيف يكون تناول الغذاء أو العشاء فى بيت كبير وفوق مائدة طويلة مغطاة بقماش مطرز بالذهب ومفارش بيضاء وصفوف من الملاعق والسكاكين .. إن أمه دائمًا تجهز الطعام ويتناولانه فى المطبخ ولا يستخدمون حجرة الطعام إلا فى الإجازات والأعياد الدينية فقط .

– متى ترغب فى الحضور ؟ ومتى تستطيع ؟ الجمعة القادمة ؟ أستطيع أن أكلف أحدًا بإحضارك أو أنك تفضل الحضور بالأتوبيس ؟

أنا أقيم فى (٣ شارع آنشور باى - طريق جون) ، لن تخطئ فى العنوان ، فهو مبنى صغير مكون من شقق كثيرة فى كل جانب .

رغب فى الاعتذار وراح يفكر فى عذر يتقدم به ؛ إذ إن الفرق كبير بين حفلة كهذه ودعوة على المائدة ، فهنا يوجد كثير من الناس يمكن الاحتماء بهم كما يمكنه الانسحاب داخل نفسه أو وسط الزحام ، لكن دعوة السيدة "مارجوت" سوف تتميز بمحبة أكثر وعدد أقل من الناس وربما لا أحد على الإطلاق ، فهل سيعرف كيف يتصرف ؟ وماذا لو أساء التعامل مع الشوكة أو الملعقة ؟ ! هل سيضحكون لخطئه الفادح أو أنهم سيتجاهلون ذلك يتظاهرون بتبادل الحديث ؟

أياًّ كان الأمر فإن كلا الأمرين مؤلم بالنسبة له ؛ فيجدر به إذن أن يرفض الدعوة ، لكنه كان راغباً فى صحبة أولئك الذين سمع عنهم فهو فى حاجة للاختلاط بهم ، كما أنهم - بلاشك - يتوقون لذلك ، لكنه لم يقرر بعد .

كان "رون" يتحرك عبر الحجرة هنا وهناك ، وما كاد أن يقترب منه حتى انخرط وسط مجموعة أخرى ... خامره شعور مؤكد أن "رون" سيكون أول الحاضرين عند "مارجوت" .

- لو جئت بالأتوبيس فلن أضايقك كثيراً .

- ليست هناك أية مضايقات يا "وليام" .

- أنا متأكد بأننى سأعرف المكان بطريقتى يا ماما .

- سأغضب جداً إذا لم تدعنى "مارجوت" .. إن الجميع ينادوننى هكذا .

ظل يردد اسمها مرات قليلة ؛ فأحس طعمًا خاصًا يتفجر فوق لسانه قبل أن يتفوه قائلاً : "مارجوت" .

- عزيزتى "مارجوت" .. لم أتعرف بصديقك هذا فهو يبدو شابا رقيقا .. إنه طويل وذو شعر أسود كثيف ووجه شاحب وعينين متلائمتين مع شعره تغطيهما حواجب مخططة بالسواد ، إنه يرتدى بذلة سوداء وربطة عنق سوداء رقيقة .

تطلعت "مارجوت" حولها قائلة : أوه .. أهو أنت ؟ إنه "وليام أبوللوس" .. سيصير كاتبًا كبيرًا ، وتذكر أننى من قال لك هذا .

ثم مالت نحو "وليام" وخاطبته قائلة : "وليام" .. إنه "إدوارد بلاكلى" اسم "بلاكلى" ووجهه كانا مألوفين .. لقد تذكر .. كان "بلاكلى" عضواً فى الحزب الليبرالى أو الكونجرس الديمقراطى ، لم يكن متأكداً فى أى منهما .. شعر بالارتباك مرة أخرى وهو يمد يده للتحية .

- سيأتى "وليام" الجمعة القادمة وأنت بالطبع .. أليس كذلك ؟

- بالطبع "مارجوت" .

ثم قال ل "وليام" : هل تسمح لنا لحظة ؟ .. إن بعض الناس يرغبون فى لقاء "مارجوت" .

أجاب "وليام" : بالتأكيد .

وشعر بشجاعة كافية حين أضاف : "مارجوت" .. سأراك يوم الجمعة .

– نعم ، وأرجو أن تأتى ببعض أعمالك .

انحنى وهو يتنفس بعمق ، فهل كان باستطاعته أن يتصرف بحرية دون تلك الشعور الداخلى بالفزع والذى ربما لم يكن يخصه ؟

عاودته أفكاره المزعجة .. هل كانت ستدعوه إذا لم يكن هو ذلك الكاتب الذى قرأت قصصه وأعجبت بها كثيراً ؟ وماذا ستكون ردود أفعالها إذا أخبرها بأفكاره هذه ؟ قد تعتقد أنه جاء نزولاً على رغبة "رون" ؛ أدى به هذا الهاجس إلى شكوك أخرى كثيراً ما حاول أن يدفنها داخل نفسه .

قال "رون" هؤلاء الناس لا يهتمون بلون البشرة ، وإنما يقبلون الشخص لذاته وليس طبقًا للونه .

– هل هم حقًا كذلك أو أن ذلك ما يتظاهرون به ؟

– وهل ستجلس فوق هذا المقعد بقية المساء ؟

ثم وقف "رون" أمامه مستطردا : ماذا حدث لمارجوت ؟ .. لقد رأيتها تتحدث معك قليلاً منذ لحظة مضت .

– ذهبت مع شخص يدعى "إدوارد بلاكلى" ؛ حيث أخبرنى أن بعض الناس يريدون مقابلتها .

– أوه .. "إدوارد" إنه يبدو عادة كالجثة بوجهه الشاحب وعينيه السوداوين .. وماذا عن "مارجوت" ؟

– كانت هائلة وجميلة .. إنها .....

– نعم أعرف لقد قامت بدعوتك ؛ إذ إنها تعتبر نفسها راعية الفن ولو أنها كانت تعيش فى القرن الثامن عشر لتحول منزلها إلى صالون .. أوه ، "وليام" أنت فى تقدم ، إنه الوقت الذى خرجت فيه من عزلتك ففى مثل هذه الحفلات تلتقى بالناس ذوى الأهمية الذين يستطيعون مساعدتك إذا أحسنت التصرف .

لم يجب "وليام" بشىء ، لكنه ظل يتساءل عن كيفية أن يحسن التصرف .. تذكر موقف "رون" منذ شهور تسعة عندما نشر أول قصة له فلم يتناولها "رون" بأكثر من اثنتى عشر كلمة ، ولم يطلب منه حينذاك مقابلة الأصدقاء البيض الذين تحدث عنهم بحب كبير أو لقاء أولئك الذين يراهم الناس غالبًا على صفحات الصحف المحلية ؛ عندئذ شعر "وليام" بأنه ليس ممتنًا .

فى المرات القليلة التى التقيا فيها وتبادلا الحديث كان "رون" يعاود الإشارة إلى النقص الذى يعانى منه "وليام" نحو شعوره بالفن فى كل أشكاله ، غير أنه علق قائلاً : قصته أحدثت تغييراً .

وقال له : لقد قرأت قصتك .. مجهود طيب ولا بأس به ، فهل هى قصتك الأولى ؟

أجاب "وليام" : لا ، ليست الأولى فقد كتبت كثيراً من القصص لكنها أول قصة يتم نشرها .

– ولمَّ كل هذا الكتمان والتحفظ ؟ لماذا لم تخبرنى أن لك اهتمامات إبداعية ؟ هناك بعض الكتاب من الشباب كان بمقدورى أن أقدمك لهم .

بعد نشر القصة الثانية والثالثة أصبح عضواً بين النخبة المفضلة لدى "رون" .

– تعال معنا غداً مساء .. إن "توم هوبكيرك" يقيم حفلاً عند قمة (ديفيل) .

أجاب "وليام" : لا .

مضت شهور عديدة و "رون" لا يكف عن محاولاته فى اصطحاب "وليام" الذى كان يجيب دائمًا بالرفض ، حيث إن فكرة وجوده مع البيض كانت وحدها كافية لإصابته بالرهبة ؛ فقد كانوا يبتسمون له فى العمل ويتبادلون معه الحديث ، وسرعان ما يتجاهلونه بعد انتهاء العمل ولا يبتسمون مرة أخرى إلا إذا أرادوا عمل شىء آخر .

لكن مقاومة "وليام" انهارت أمام أحاديث "رون" الكثيرة عن الحفلات التى يرتادها والناس الذين يقابلهم ؛ فشعر بشوق للقائهم ؛ وليصبح إذن واحداً من مجموعة "رون" التى وصفها .

أخبره "رون" عن دعوة "كولن آشورت" فقبل الدعوة دون مقاومة كبيرة ، وهناك قال له "كولن" : فلنندمج مع الآخرين .

أجاب "وليام" : لا ، سأبقى هنا قليلا فقد تأتى "مارجوت" لنستأنف حديثنا .

لم يستطع "كولن آشورت" أن يفهم شيئا ؛ فقد كانت "مارجوت" هناك وحيدة وكان وجه "وليام" ممتزجًا بفرح ملىء بالشجن .. نظر إليه "رون" وهو يرفع حاجبيه ، ثم تركه ومضى بينما امرأة أخرى كانت جالسة إلى جواره فى استرخاء وهى تحدّق فيه وكأنه تحفة غريبة فقال لنفسه : يجب أن ترتدى نظارة .

ثم بادرت بسؤاله : أخبرنى .. ماذا تعمل ؟

سمع صوتها البارد وتابع طريقتها فى الكلام ؛ فأحس بقشعريرة تسرى فى جسده ، وداهمه شعور سريع بالكراهية فقال : أعمال .. أية أعمال ؟

- نعم .

- أعمال فى مكتب .. أنا ....

فكر فى القول إنه يعمل كاتبًا فى محل تجارى أو إنه يعمل ساعيًا ، لكنها سارعت بالقول : أنا لا أعنى وظيفتك أو نوعية عملك فلنترك ذلك جانبًا فهو شىء بغيض ، وإنما أعنى هل أنت ترسم أو تكتب ؟ .. إذا راقنى ما تفعل فسوف أساعدك كثيراً .

- لا .

- تعال إذن .. أراهن أنك لا تقول الحقيقة ؛ فإن الآخرين إما يرسمون وإما يكتبون .

لم يكن فى حاجة للسؤال عن الآخرين الذين تقصدهم ولا حتى راغبًا فى معرفة ما إذا كانت هى واحدة من أولئك المهمين الذين سمع عنهم من "رون" .

– لقد أخبرتك بالحقيقة .. أنا لا أفعل شيئا .

ولم يساوره أدنى قلق من جراء خداعها ، لكنها لو سألت "رون" فإن الأمر سيكون سيئًا ، ولن تجعله ينضم لمجموعتها .

حدقت فيه وقالت بصوت مرتفع : أنت لا تكتب أو ترسم .. إنك مجرد ساعٍ !

أجاب بهدوء : هو كذلك بالضبط .

صاحت فى وجهه : وإذن فماذا تفعل هنا ؟

كانت كراهيته لها قد زودته بالقوة ؛ فقاوم رجفته قائلا : الشىء نفسه الذى تفعلينه أنت !! إننى هنا لأننى مدعو .

ارتفع صوتها وكررت عدة مرات : أنا لا أريد هذا الوقح اللعين .

نهض الناس من مقاعدهم وهم يحدقون وكان أنفها متأججا وصوت أنفاسها كالشخير بينما اندفع "رون" تجاههم فزعًا ، ثم قال هاتفًا : سيدتى " ميريديث" .. ماذا حدث ؟ .. ماذا جرى ؟

قالت مشيرة بإصبع الاتهام إلى "وليام" : لقد أهاننى هذا الساعى سليط اللسان .

وقف "رون" فى مواجهته تمامًا وقال بصوت غليظ ملىء باللوم والعتاب : انهض واعتذر لها فى الحال .

نظر "وليام" إلى "رون" وقد فقد هدوءه ورصانته وشعر بألم شديد يملأ كيانه ، كما استشاط غضبًا لأنه اعتبر ذلك خيانة من جانب "رون" .

لو أخبرها أنه أيضًا كاتب كانت ستقبله وترضى عنه ، وها هو "رون" يخبرها دون أن تسأله ، وهنا ازداد إعجابه ب "رون" إلى حد الاحتقار وعرف عندئذ سبب تعاطف "رون" الشديد .. إن موهبته هو وأمثاله ضعيفة وتجربتهم ضحلة .. إنهم كالعذراء يعرضون موهبتهم للبيع لمثل هذه المرأة أو لمن شابهها .

إن "رون" قواد كبير !! إنه ضئيل أمام نفسه ، ويحتمى بظلال السيدة "ميريديث" .

ظل "وليام" يحسد "رون" ويتعجب لقدرته الهائلة على الحركة بينهم بسهولة ونعومة .. كان "رون" يمدّهم بعذراء أخرى فتدفق إلى رأسه فيضان من الدم واجتاحه الغضب حتى أصبح عاجزًا عن الكلام .

نهض من مقعده واندفع فى طريقه متجاوزًا ذلك الزحام الكبير دون أن يرى أحدًا ودون أن ينتبه لنظرات الرضا والاستحسان فى عينى "مارجوت بيرس" .

ستة أقدام من البلاد

نادين جورديمر

جنوب أفريقيا

نادين جورديمر الحاصلة على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩١ ، من مواليد ١٩٢٣ فى مدينة سبرنجز بجنوب أفريقيا ، وتعيش الآن فى جوهانسبرج .. كتبت عشر روايات وسبع مجموعات قصصية ، وقد تمت ترجمة أعمالها إلى تسع عشرة لغة .. منعت حكومة جنوب أفريقيا بعض أعمالها بسبب وجهات نظرها السياسية الجريئة ومقاومتها لسياسة التمييز العنصرى .. هذه القصة مأخوذة من إحدى مجموعاتها القصصية بعنوان : (Some Monday For Sure) .

لم أكن أنا وزوجتى ممن يجيدون أعمال الحقل والفلاحة ، لكننا قمنا بشراء مزرعة بأحد الشوارع الرئيسية على بعد عشرة أميال من جوهانسبرج ؛ لكى نفعل شيئًا مغايرًا ونضيف جديدًا إلى حياتنا ، وهأنذا أراكم مشتاقين لسماع بعض الحكايات عن الهدوء والرضا اللذين تفرضهما حياة المزرعة ، لكننا لم نحقق ما كنا نهدف إليه نظرًا لحدوث أشياء أخرى فى المزرعة غير معقولة أو متوقعة .

كنت أعتقد أن زوجتى "ليريس" سوف تأتى إلى مكاننا الجديد فى حزن تشيكوفى وتبقى لمدة شهر أو شهرين على الأكثر ، ثم تسارع بترك المكان للخدم من أجل تحقيق رغبتها فى أن تكون ممثلة ، لكنها على العكس مما تصورت ، فقد غرقت فى عمل المزرعة وراحت تديرها بجدية جعلتنى أحتفظ بها حتى الآن .

لم أكن أذهب إلى هناك إلا فى المساء ونهايات الأسبوع ؛ فقد كنت مشغولاً بعملى كشريك بأحد المكاتب السياحية الكبيرة ، وكنت دائمًا أتجنب الاقتراب من الدجاج الذى تقوم "ليريس" بتربيته لأن رائحته كانت تصيبنى بالمرض .. كانت المزرعة جميلة . وفى صباح أيام الأحد كنت أستيقظ وأتوجه للحقل الصغير ليس فقط من أجل رؤية أشجار النخيل والبرك والحمام الطائر باتجاه الضواحى ، وإنما للاستمتاع بمشاهدة بط الخزان والبرسيم الرائع الذى يبدو كأعشاب النافذة المشذبة .

كانت "ليريس" تخرج بشعرها المنكوش ثم تمسك العصا وتقود الماشية وهى تنظر بطريقة حالمة كما تفعل الممثلات ، وأثناء اللحظات التى كنا نتمتع فيها بقدر من الهدوء وإعمال العقل ، كنت أخبرها بحماسها وانفعالها حتى قلت لها – ذات مرة – إننى شاهدتها وهى تعمل بطريقة مسرحية ؛ فأحالت ذلك إلى غيرتى من قدرتها على الحماس ، واتهمتنى أننى لست رفيقًا مناسبًا .

كنا ننعم بالأمان بعيداً عن تلك التوترات الغريبة وذلك القلق الذى يعانون منه فى المدينة والذى كان يحدثنا عنه كل من يقوم بزيارتنا ..

لم يكن أهالى جوهانسبرج يقصدون فى حديثهم عن التوتر أولئك الناس الذين يهرولون فى الشوارع ويتقاتلون من أجل المال ، وإنما تلك البنادق المخبأة تحت وسادات الرجل الأبيض وتلك الاستحكامات فى النوافذ ، كانوا يقصدون أيضًا عدم قدرة الرجل الأسود على الوقوف إلى جانب الرجل الأبيض فوق أرصفة المدينة .

إن الحياة خارج المدينة أفضل بكثير ؛ إذ لا توجد هنا تلك الاستحكامات فى النوافذ ، كما أننا لا نحمل البنادق ويعيش السود مع زوجاتهم فى أرض المزرعة ويصنعون البيرة لأنفسهم دون خوف من هجمات الشرطة ؛ مما يجعلنا نفتخر حقًا أن أولئك البؤساء المساكين لا يسببون لنا الخوف ، كما أن "ليريس" ترعى أطفالهم وتعالجهم إذا مرضوا . وهكذا فإن الخوف لم يتملكنا فى تلك الليلة من الشتاء الماضى حين كنا نائمين ، وسمعنا "ألبرت" وهو يطرق النافذة .. لم أكن فى تلك الليلة نائما بجوار "ليريس" ، وإنما فى حجرة الملابس بسبب مضايقتها لى ؛ فقد وضعت فوق جسدها بودرة التلك ذات الرائحة الجذابة بعد الانتهاء من الحمام ؛ مما جعلنى أذهب لأنام فى حجرة الملابس تجنبًا لضعفى المؤكد حيال مقاومة رغبتى .. توالت طرقات "ألبرت" فوق النافذة فجاءت "ليريس" وأيقظتنى قائلة : يقول "ألبرت" إن أحدهم مريض جداً ، ومن الأفضل أن تذهب لترى بنفسك ؛ فلابد أن الأمر خطير وإلا لما أيقظنا فى مثل هذا الوقت .

ـ كم الساعة الآن ؟

أجابت "ليريس" : وماذا يهم ؟

استيقظت مرتبكًا وهى تنظر لى ، ثم شعرت بالحماقة كما أشعر دائمًا كلما غادرت سريرها .. كان إحساسى بالحماقة يتضاعف حين كانت تنظر لى فى الصباح بطريقة غريبة أثناء تناول الإفطار وتخبرنى أنها تألمت وشعرت بالامتهان ؛ لأننى لم أكن راغبًا إياها ، ولأننى نمت بعيدًا عنها .

سألت "ألبرت" ونحن نمشى على ضوء البطارية الراقص : أى واحد من الأولاد ؟

أجاب "ألبرت" : إنه مريض جدًا .

تذكرت أن "فرانز" كان يعانى من سعال شديد طوال الأسبوع الماضى فقلت : ولكن من يكون ؟ أهو "فرانز" ؟

ظلّ "ألبرت" صامتًا ولم يجب على سؤالى ، وكان يفسح لى الطريق وهو يسير بجانبى فوق الأعشاب الميتة ، وحين اقترب ضوء البطارية من وجهه عرفت أنه مرتبك بشدة فقلت : لِمَ كل هذا ؟

انحنى برأسه بعيدًا عن الضوء وقال : أنا لا أعرف ، لكن "بطرس" هو الذى أرسلنى .

هرعت معه إلى الأكواخ منفعلاً وفوق سرير "بطرس" ذى الأرجل الخشبية المحمولة بالطوب كان أحد الشباب راقدًا ، لا ، لقد كان ميتًا ووجهه مليئًا بالعرق وجسده دافئًا .. وقف الأولاد حوله كما يفعلون فى

المطبخ عندما يكسر أحدهم طبقا ، وكان الهدوء غريبًا لا يساعد على معرفة شيء وزوجة شخص ما تتسكع فى الظلال المعتمة ويداها ملفوفتان تحت مريلتها ٠

كنت قد رأيت رجالاً ميتين أثناء الحرب ، لكن هذا مختلف ، وعندما شعرت أننى دخيل ولا فائدة من وجودى سألت : ماذا حدث ؟

ربتت المرأة فوق صدرها وهزت رأسها مشيرة إلى صعوبة التنفس وقالت : لا بد أنه مات من التهاب الرئة ٠

قلت لبطرس : من كان هذا الولد ؟ وماذا كان يفعل هنا ؟ كشف ضوء الشمعة عن بكاء "بطرس" ألذى تبعنى إلى الخارج ، وعندما أصبحنا فى الظلام انتظرت أن يتكلم لكنه لم يفعل ؛ فقلت : أخبرنى يا "بطرس" عن هذا الولد ، هل كان صديقك ؟

- إنه أخى ، وقد جاء من روديسيا لكى يبحث عن عمل ٠

أصابتنى القصة بقليل من الفزع ، كما تأثرت "ليريس" بسماعها ٠٠ لقد جاء الولد الصغير من روديسيا ليبحث عن عمل فى جوهانسبرج فأصابه البرد من النوم فى العراء طوال الطريق ، وأصبح مريضا فى كوخ أخيه "بطرس" منذ وصوله دون أن يتجرأ أحدهم ويطلب مساعدتنا خوفا من أن نعرف بوجوده ٠

كان الشاب قد دخل البلاد بطريقة غير شرعية ؛ إذ لم يكن مسموحًا لمواطنى روديسيا بدخول الاتحاد إلا بتصريح ، ولم تكن هذه

هى المرة الأولى التى يتكبدون فيها صعوبة السير على الأقدام لمسافة تعادل سبعمائة أو ثمانمائة ميل للخروج من دائرة الفقر وتجنب هجمات الشرطة فى المناطق القذرة التى يتجمع فيها السود.. كان عليه أن يبقى مختبئًا فى مزرعتنا حتى يخاطر شخص ما بتوظيفه .. لقد كان واحداً من الذين لن يستيقظوا مرة ثانية .

قالت "ليريس" فى الصباح التالى : أتعتقد أنهم نادمون لعدم إخبارنا ؟

وعندما شاهدت "بطرس" فى المطبخ فى ذلك الوقت المبكر شعرت بالضيق ، ثم وقفت – كعادتها حين تكون منفعلة – فى وسط الحجرة كما يفعل الناس عندما يوشكون على القيام برحلة ، وراحت تتفحص الأشياء المألوفة وكأنها تراها لأول مرة .. إننى أعرفها حين تمتلئ عيناها بالرعب وتنتابها رغبة فى الجدل ، لكننى لم أكن أملك الوقت الكافى أو حتى الرغبة فى مناقشتها ؛ فقلت : أعتقد أنه أنا الذى يجب أن يقوم بكل الأعمال البغيضة !

ظلّت تحدّق فى وجهى وأدركت من عينيها أنها تريدنى أن أخرج ؛ وعندئذ قلت بهدوء : سوف أخبر السلطات الصحية .. إنهم لا يستطيعون نقله ودفنه ، كما أننا لا نعرف سبب وفاته .

بدت يائسة وغير راغبة فى رؤيتى فقلت بانفعال : ربما كانت أحد الأمراض المعدية ، والله وحده يعلم .

لم تقل "ليريس" شيئًا فخرجت واستدعيت أحد الأولاد ليفتح الجراج ويجهز السيارة كى أتوجه للمدينة كما يحدث كل صباح .

قمت بإبلاغ الشرطة والسلطات الصحية ، وهناك أجبت على كثير من الأسئلة المملة .. كيف كنت تجهل وجود الولد ؟ كيف لا تشرف وتسيطر على الذين يعملون عندك ؟ وكيف نعرف أن ذلك لا يحدث كثيراً ؟

انفجرت غاضبًا وقلت لهم : طالما أنهم يقومون بعملهم على أكمل وجه فإننى أعتقد أنه ليس من حقى أن أتدخل فى حياتهم الخاصة .

نهضت من عند رقيب الشرطة الفظ ذى الوجه الطافح بالغباء بعد أن كشّر فى وجهى بازدراء دون أن يستطيع إخفاء فرحته لتورطى ، ثم شرحت لبطرس ضرورة أن تقوم السلطات الصحية بفحص الجثة رغم أننى لم أكن أعرف ما يعنيه فحص الجثة ! وعندما اتصلت بالإدارة الصحية بعد بضعة أيام لمعرفة النتيجة أخبرونى أنه مات بالتهاب الرئة كما توقعنا ، وأنهم سيتخلصون من الجثة بطريقة ملائمة .

كان "بطرس" يقوم بإعداد الهريسة للدجاج فتوجهت إليه وأخبرته أن كل شىء على ما يرام ، وأن أخيه مات بسبب ذلك الألم فى صدره فوضع العلبة فوق الأرض وقال : ومتى نستطيع الذهاب لإحضاره ؟

- إحضاره !

- أرجوك أن تسألهم عن الموعد الذى نستطيع الذهاب فيه لإحضاره .

عدت للداخل ورحت أنادى على "ليريس" فى أرجاء المنزل حتى أبصرتها تنزل السلالم قادمة من حجرة النوم فقلت لها : والآن ماذا أفعل ؟ لقد أخبرت "بطرس" بما حدث ، لكنه سألنى عن الموعد الذى يستطيع فيه الذهاب لإحضار الجثة ٠٠ إنهم يريدون أن يدفنوه بأنفسهم ٠

أجابتنى "ليريس" قائلة : حسنًا ، عد إليه وأخبره ، لابد أن تخبره ٠٠ كان يجب أن تقول له فى حينها ٠

قلت لبطرس وهو يتطلع نحوى بأدب : اسمعنى يا "بطرس" ، أنت لن تستطيع الذهاب لإحضار أخيك لأنهم قاموا بعمل كل شىء ، لقد دفنوه ٠٠ هل تفهم ؟

أجاب ببطء وفتور : أين ؟

- أنت تعرف أنه كان غريبًا وهم يعرفون ذلك أيضًا ، كما لا يعرفون أن له أقرباء هنا ؛ وهكذا دفنوه ٠

- أرجوك يجب أن تسألهم ٠

لم يكن "بطرس" يعنى معرفة مكان الدفن وإنما كان يريد عودة أخيه لأنه ببساطة يجهل ذلك النظام الغريب الذى شرحته له ؛ وعندئذ قلت له : ولكن كيف يا "بطرس" وقد دفنوه بالفعل ، أنا لا أستطيع أن أسألهم الآن ٠

كانت يداه ملطختين بالنخالة ؛ فوقف وقال بفم مرتعش : أوه !!

ـ لن يستمعوا لى يا "بطرس" ‥ إنهم لا يستطيعون بأية طريقة وأنا أيضا لا أستطيع ‥ إننى آسف ، هل فهمت ؟

ظلّ ينظر إلى وجهى ولم يكن مدركا أن الرجال البيض يملكون كل شىء ، ويستطيعون فعل أى شىء ، وإذا لم يفعلوا فلأنهم فقط لا يريدون ·

قالت "ليريس" أثناء تناول الطعام : كان بمقدورك على الأقل أن تتصل بالتليفون ·

ـ يا للمسيح ! مَنْ أكون فى اعتقادك ؟ أيجب أن أعيد الحياة إلى الميت ؟

انتهت من تناول القهوة ثم اختفت فى المطبخ ، وعادت بعد قليل وقالت : سوف يحصل الأب الكبير على تصريح ويأتى من روديسيا لحضور الجنازة ، وأعتقد أنه الآن فى الطريق ·

وافقت السلطات على خروج الجثة من القبر فقال "بطرس" بصوت هادئ وكأنه يتحدث عن شىء مستحيل ولا يحتمل التفكير فيه : يجب أن ندفع عشرين جنيها للحانوتى ·

قلت له : وهو كذلك يا "بطرس" ·

ثم عدت إلى حجرة المعيشة ·

فى الصباح التالى وقبل ذهابى للمدينة طلب "بطرس" مقابلتى وقال بارتباك : أرجوك ، هاهى العشرون جنيهاً ·

إنهم حقًا بؤساء ومساكين ولا يعرفون كيف يقدمون النقود إلى الرجل الأبيض ‥ كانت العشرون جنيها تتكون من جنيهات وأنصاف جنيهات بعضها متجعد وقذر وبعضها الآخر جديد وناعم ، كان قد جمعها من "فرانز" و"ألبرت" و" دورا" الطاهية و"يعقوب" البستانى وكثيرين غيرهم ممن يعملون فى المزرعة والأرض الصغيرة حولنا ٠

لم تصبنى الدهشة كثيراً ، لكننى غضبت بشدة وتعجبت لتلك التضحية العقيمة التى لا فائدة منها من قبل أولئك الفقراء والتى لم يكن بمقدورنا نحن أن نفهمها ؛ حيث إن أمثالى وأمثال "ليريس" يرون أن الحياة شىء يجب أن نعيشه ببذخ ، وإذا ما فكرنا فى الموت فإننا ننظر إليه كأنه الإفلاس الأخير ٠

لم يكن الخدم يعملون بعد ظهر يوم السبت ؛ فكان ذلك مناسبًا للجنازة ‥ استأذن "بطرس" ووالده لاستعارة عربتنا الكارو من أجل إحضار التابوت من المدينة ، وقال "بطرس" مخاطبًا "ليريس" : كل شىء سيكون على ما يرام عندما نعود ٠

أحكموا إغلاق التابوت خوفًا من رؤية ما يثير أحزانهم ، وظلّ التابوت فى كوخ "بطرس" طوال الصباح فى انتظار نقله إلى المقبرة خارج حدود مزرعتنا الشرقية .

نسيت "ليريس" وعدها بنظافة المنزل بعد ظهر يوم السبت ، وكانت ماتزال منكوشة الشعر ، كما أنها لم تقم بتنظيف أرضية الحجرة الملطخة بالورنيش ؛ فلم أستطع البقاء ، ثم تناولت مضرب الجولف وسارعت

بالخروج .. كنت واقفًا بمحاذاة السور عندما مرَّ الموكب ، وكانت الشمس ساطعة كأنها قطع صغيرة من الخزف ؛ فاستطعت أن أرى المقابر بوضوح لكننى ارتبكت قليلاً ، وشعرت بضرورة إخفاء كرة الجولف حتى ينتهى مرور الموكب الموقر من أمامى .. أبصرت الحمارين وهما يقودان عربة الكارو ورءوسهما غارقة بين عريش العربة وأذنا كلاهما منبسطة للخلف ، وقد بدا أنهما خاضعان ذليلان مما ذكرنى بمجموعة الرجال والنساء الذين يسيرون خلفهما ببطء .

توقف الموكب بالقرب منى فسارعت بإخفاء مضربى .. كان التابوت مصنوعًا من الخشب المدهون بالورنيش الأصفر مثل الأثاث الرخيص فبدا متلألئا ، وكان الحماران يهزان أذنيهما حين كانوا ينتشلون التابوت من فوق العربة الكارو ، حيث رفعه "بطرس" و"فرانز" و"ألبرت" والأب العجوز فوق أكتافهم ، وبدأ الموكب يتحرك على الأقدام .. وقفت عند السور هادئًا ومندهشًا وعرفت أنهم جميعًا من الخدم العاملين عندنا أو من خدم الجيران الذين أعرفهم وأقابلهم مصادفة وأسمعهم أحيانًا وهم يثرثرون بهدوء عن أرضنا أو مطبخنا .. كان الرجال الأربعة ينحنون تحت الصندوق الخشبى المتلألئ دون أن يرفعوا أبصارهم ومن بعيد استطعت أن أسمع أنفاس الرجل العجوز الذى راح يتمتم بشىء ما ؛ فتوقف الناس وأصابهم الارتباك حتى إن الولد الصغيرالذى بقى لمراقبة الحمارين عاد مسرعًا لرؤية ما يحدث .. رفع "بطرس" بصره نحوى ، ثم نظر إلى الجميع بفزع ، وكان العجوز القادم من روديسيا قد تخلّى تمامًا عن التابوت ؛ فلم يعد بمقدور الثلاثة الآخرين حمله فوضعوه

على الأرض فى عرض الطريق ٠٠ كان التراب يغطى جوانب التابوت ولم أستطع أن أفهم ما يقوله الرجل العجوز الذى بسط يديه المفتوحتين والمرتعشتين نحوى ٠

توسلت إلى "بطرس" قائلاً : ماذا يا "بطرس" ؟ ماذا يقول ؟

ساد الهدوء لحظة ؛ فاستطعت أن أسمع أنفاس الرجل العجوز مرة أخرى ، وكان فمه مفتوحاً كما يفعل كبار السن ، وذو شارب أشيب مهذب وأسنان قليلة مائلة للاصفرار ٠٠ راح يخرك غطاء التابوت بمساعدة ثلاثة من الرجال ثم ارتمى على الأرض خائر القوى ورفع يده المرتعشة بصعوبة فى اتجاه التابوت من الداخل ، وقد فقد القدرة على الكلام ، لكنه تحدث أخيراً بالإنجليزية وقال بصعوبة شديدة : إن ابنى صغير ونحيل ٠

تجمعوا حوله وكذلك فعلت أنا لإلقاء نظرة على ما بداخل التابوت ؛ فغرق الجميع فى دهشة غريبة وراحوا يلهثون ويتحدثون بغضب ، بينما ظلّ الولد الصغير يبكى ؛ لأن الكبار كانوا يقفون أمامه ويمنعونه من الرؤية ٠

كان الراقد فى التابوت شخصاً آخر لم يتعرف عليه أحد ؛ فهو بدين وذو بشرة مضيئة ، كما تعلو جبهته ندبة ما ربما كانت من أثر ضربة فى شجار ٠

ظللت طوال أسبوع فى مشاحنات مع السلطات بسبب تلك الجثة ، وأخيراً قالوا لى : نحن ما نزال نقوم بتحرياتنا ٠

ثم ذهبوا معى إلى مكان الجثث وقالوا : ارفع الملاءة وانظر إليه إذا كنت تعرفه ·· يوجد هنا الكثير من الوجوه السوداء فهل تعتقد أننا نستطيع أن نتعرف عليه ؟

كل مساء كان "بطرس" ينتظرنى فى المطبخ عند عودتى فأقول له : إنهم يحاولون وما زالوا يبحثون ·

لكن "بطرس" و"ليريس" كانا يحدقان فى وجهى وأنا أتكلم بطريقة غريبة ؛ فبدا أنهما شبيهان تماماً رغم استحالة ذلك ، فزوجتى بيضاء وذات جسد إنجليزى رقيق أما الولد بائع الدجاج فإن قدميه عاريتين وبنطلونه الكاكى مربوط عند ركبتيه بحبل ، كما تنبعث من جسده رائحة عرق شاذة ·

قالت "ليريس" فجأة : لماذا أنت ساخط إلى هذا الحد ؟

حدّقت فيها وأجبت : إنها مسألة مبدأ ·· لماذا يجب أن يكونوا مظلومين ؟

شعر "بطرس" أن المناقشة أخذت شكلاً ليس له بها شأن ؛ ففتح باب المطبخ بهدوء وخرج ، ثم تبعته "ليريس" وهى تقول : أوه !

كنت أكرر عهدى لبطرس كل مساء وأقول له الكلام نفسه ، نغمة الصوت نفسها ، لكنه بدا أخيراً أكثر ضعفاً وفقد الأمل فى الوفاء بعهدى ·· لقد كان واضحاً أن أخاه لن يعود أبداً فلا أحد يعرف مكانه الحقيقى سوى الله والسلطات ، بالإضافة إلى أنه كان بلا هوية فى هذا العالم ·

سـألنى "بطرس" بصـوت ملىء بالخـجل أن أحـاول رد النقـود ، فـحاولت أنا و"ليـريس" كـثيـراً دون جـدوى ‥ كـانت العشـرون جنيـهًـا للحانوتى الذى قام فعلاً بمهمته ، فأصبحت كل المحاولات من أجل أولئك البؤساء المساكين ليست سوى مضيعة للوقت ٠

كـان الرجل العـجـوز القـادم من روديسـيـا فى حـجم والد "ليـريس" تقريباً ، فبادرت بإهدائه إحدى بدل أبيها القديمة ؛ وهكذا عاد العجوز إلى مـوطنــه فـى حـال أفضل مما كان عليه ، خاصة وأن الشـتـاء كان على الأبواب .

لقاء فى الظلام

چيمس نجوجى

كينيا

" نجـوجى واثيـونجـو " هـو الاسم الأفـريقى الذى اختاره " جيمس نجوجى " لنفسه ٠٠ ولد فى كينيا بشرق أفريقيا عام ١٩٣٨ وأتم تعليمه بجامعة ماكيريرى بأوغندا وهـو كـاتب مـعـروف عـالميـا بإبداعـاته فى مـجـال الـروايـة والمسرح والقصـة القصيـرة ٠٠ مـن أشـهـر أعماله الروائيـة : (Weep not child) ، و (The river berween) ، و (A Grain of wheat) ، و (Petals of blood) ، ثم آخـر رواياتـه (Devil on the cross) . . أهـم أعمـاله المسرحيـة (The black hernit) ، كمـا اشتـهر بمجمـوعتـه القصـصيـة (Secret lives) ، بالإضـافة إلى كتاباته الكثيرة فى مجال النقد الأدبى .

كانت فتاة صغيرة تعيش مع والديها فى منزل وحيد خلف التل ٠٠ منزل قديم لكنه ذو أساس قوى لا يتأثر بسقوط الأمطار أو هبوب الرياح ، وكان والدها يحبـها وكذا أمـها ، وعندمـا كانا يتشاجران أحيانا تبكى الفتـاة الصـغيرة ، لكنـهـا كـانت سعيدة علـى أية حال ٠٠ لم يكن يزورهـم

أى إنسان فلم يتعرفوا على أحد ، وذات يوم قدم إليهم شخص غريب ، طويل ووسيم ، ذو أسنان بيضاء كاللبن ، فقدمت الأم له طعاما ، ثم حكى لهم عن بلد جميل يقع خلف التل ٠٠ تمنت الفتاة أن تذهب إلى ذلك البلد الجميل وراحت تتعقب الرجل فى الخفاء ، وما إن قطعا مسافة صغيرة حتى تحول الغريب إلى " إيريمو " وأصبح دميما وله فم آخر في ظهره المختبىء تحت شعره الطويل المتطاير مع هبوب الرياح ٠٠ كان الذباب متجمعا فوق فمه المغلق فسارعت الفتاة بالعودة ، لكن "إيريمو" المخيف ظل يتعقبها وهى تجرى بسرعة دون أن يستطيع اللحاق بها ، غير أنه كان دائما قريبا منها ، وعند اقترابها من منزلها عرفت أن " إيريمو " قد توقف عن تعقبها ، لكن المنزل لم يعد موجودا ، فأصبحت بلا مأوى ولم تستطع أن تتقدم للأمام باتجاه الأرض الجميلة لرؤية الأشياء الطيبة ٠٠ كان "إيريمو" فى الطريق ٠

هكذا تعودت أمه أن تحكى له القصص ، لكن " جون " ظل يتساءل بينه وبين نفسه : كيف كانت نهاية تلك الحكاية ؟ ليتنى أعود صغيرا فى منزلنا القديم لأسأل أمى عن نهاية تلك الحكاية ٠

لم يعد " جون " صغيرا بأية حال ، لكنه لم يصبح رجلا بعد ، وحين وقف أمام باب الكوخ شاهد والده العجوز الضعيف قادما عبر شارع القرية ، ورغم شيخوخة والده وضعفه إلا أنه كان نشيطا يحمل حقيبة قماشية قذرة كانت تتأرجح بين جانبيه ٠٠ تلك الحقيبة التى يحملها دائما ويعرف " جون " محتوياتها ٠٠ الكتاب المقدس ، وكتاب التراتيل ، واحتمال وجود كراسة وقلم ٠٠كان الأب واعظا ومبشرا ، وربما هو الآن

الذى جعل أمه تتوقف عن سرد الحكايات له منذ زمن بعيد حين قالت له : والآن لا تسألنى عن مزيد من الحكايات فقد يأتى والدك .

بدأ منذ ذلك الحين يخاف من أبيه .

دخل " جون " وأشار إلى أمه بقدوم أبيه ، وعندما دخل الأب انتصب " جون " واقفا ومضى نحو الباب متباطئا وهو غارق فى شكوكه ، ثم سارع بالخروج .

– " جون " .. هاى ، " جون " .. تعال .

وقف مذعورا أمام أبيه ودقات قلبه لا تتوقف عن الخفقان ، وثمة صوت مرتعش بداخله كان يتساءل : هل يعرف ؟

– اجلس .. إلى أين أنت ذاهب ؟

أجاب مراوغا : للنزهة يا أبى .

- فى القرية ؟

- لا بأس .. نعم .. لا .. أعنى ليس إلى مكان محدد .

لاحظ " جون " نظرات أبيه القاسية ولم تعجبه تلك النظرات ، ثم خيل له أنه يعرف فتنهد ببطء .. هكذا ينظر إليه دائما وكأن " جون " مذنب أو أنه يجب أن يكون مراقبا طول الوقت .

حدثته نفسه : أنا ذلك المذنب الذى يجب مراقبته .

لكنه لم يشــأ – وهو يشــعـر بالذنب – أن يبــادل تحــديق الرجل العجوز بنظرات مشابهة ؛ فلجأ إلى أمه التى كانت تقشر البطاطس فى هدوء ولا تدرى شيئا عما يحدث حولها

ـ لماذا تنظر إلى بعيد ·· ماذا فعلت ؟

انكمش " جون " داخل نفسه من شدة الفزع ، غير أن ملامح وجهه ظلت لا توحى بشىء ، وكان من اليسير سماع ضربات قلبه التى كانت تشبه ضربات مضخة المياه ·

شعر أن والده قد عرف كل شىء فقال لنفسه : لماذا يعذبنى ؟ ولماذا لا يقول فى الحال إنه يعرف ؟

ثم سمع صوتا آخر يقول : لا ·· إنه لا يعرف وإلا لما تباطأ فى الانقضاض عليك ·

كان عزاؤه الوحيد هو شجاعته فى الصمود أمام أبيه الذى يطيل التفكير ·

ـ متى ستكون الرحلة ؟

فكر " جون " مرة أخرى : لماذا يسأل وقد أخبرته مرات عديدة ·

ثم قال بصوت مرتفع : الأسبوع القادم ·· يوم الثلاثاء ·

ـ رائع ·· غداً سنذهب إلى السوق ·· أتسمعنى ؟

ـ نعم ·· بابا ·

ـ فلتكن مستعدا إذن ٠

ـ نعم سأكون ٠

ـ والآن يمكنك الذهاب ٠

ـ شكرا يا أبى ٠

وحين بدأ يتحرك قال الأب مناديا : " جون " .

ـ نعم ٠

أجاب بنعم ، لكن قلبه بدا متوقفا ؛ فقد كانت الثانية الأخيرة قبل أن ينطق والده بآخر كلماته تعادل عمرا بأكمله ٠

ـ تبدو فى عجلة من أمرك ٠٠ لا تتأخر فى القرية فأنت كبقية الصبية الذين يسعون للفت الأنظار ٠٠ لا أريد أن أسمع عن مشاكل فى القرية ٠

خرج " جون" وهو يلتقط أنفاسه واستطاع أن يخمن ما يعنيه والده بمشاكل القرية ٠

كيف انتهت الحكاية ؟ ٠٠ ضحك ولم يستطع أن يتذكر نهاية الحكاية التى روتها له أمه منذ زمن بعيد ، لم تجد منزلها فأين ذهبت إذن ؟ وماذا فعلت ؟

كانت " سوزان " تنصت باهتمام لما يدور بينهما من حديث دون أن تتدخل ، لكن هاهو دورها فى الكلام قد جاء فقالت وهى تتحدث للمرة

الأولى : لماذا تعذب الولد إلى هذا الحد ؟ ثم نظرت إلى رفيق حياتها ، ذلك العجوز المبشر القاسى الذى تزوجته منذ سنوات عديدة لا تستطيع إحصاءها .. لقد كانا سعيدين حتى تغير الرجل فجأة فأصبح متدينا وتلونت كل الأشياء فى البيت بصبغة دينية إلى أن جاء اليوم الذى أصدر فيه أمرا بأن تتوقف زوجته عن سرد الحكايات للطفل قائلا : أخبريه عن يسوع .. مات يسوع من أجلك .. مات يسوع من أجل الطفل .. يجب أن يعرف الرب .

تغيرت " سوزان " أيضا وصارت متدينة ، لكنها لم تستطع أن تتجاهل تعذيب الطفل الذى كان يكبر ويكبر والخوف من أبيه يلازمه حتى إنها تساءلت كثيرا بينها وبين نفسها عن مدى حبه للابن .. هل يحبه أو هو الغيظ ؟ إن كليهما مذنب قبل الزواج و " جون " ليس إلا نتيجة لذلك الذنب ، فلماذا يشكو من " جون " ؟

سألت نفسها مرارا : هل الولد ... ؟ لا .. لا أعتقد ، فقد كان الولد صغيرا جدا عندما غادرت (فورت هول) .

نظرت إلى زوجها وظلت صامتة لكن يدها اليسرى كانت تتحسس وجهها بقلق وقالت لزوجها : وكأنه ليس ابنك ... أو هل ... ؟

- هاآآآم يا أختاه ..

كانت نبرات صوتها تحمل معنى الدفاع وتوحى ببداية الشجار غير أنه لم يكن مستعدا ؛ فقال لنفسه : إن النساء حقا لا يفهمن .. إن النساء دائما هن النساء سواء كن طاهرات أم لا ، ولكن يجب علينا

حماية الابن من كل مؤثرات الشر ولابد له أن ينشأ نشأة دينية تحت رعاية الرب .

نظر إليها متجهما بعض الشيء وقد تذكر أنها هى التى أوقعته فى الخطيئة ، لكن ذلك حدث منذ وقت طويل وغفر الله له ، أما " جون " فلا يجب أن يسلك الطريق نفسها .

- يجدر بنا أن نرحل لأننى- كما تعلم- أستطيع الذهاب بعيدا كالعودة مثلا إلى (فورت هول) ؛ وعندئذ فإن كل شخص ...

- أختاه ! .. هكذا كان يناديها دائما فهى أخت فى الدين على أية حال ، وكان يتساءل أحيانا : هل حقا قد غفر الله لها ؟ ثم يدعو فى صلواته قائلا : إلهى .. قف بجانب أختى " سوزان " .

أجابها بصوت عال : تعرفين أننى أريده أن يكبر فى جو تسوده تعاليم الرب .

- لكنك تعذبه كثيرا ، وهو يخاف منك كثيرا .

- لماذا ؟ لا يجب أن يخاف منى فأنا لا أفعل ما يخيفه .

- أنت تقسو عليه دائما .

ثم نهضت من مكانها فتساقط قشر البطاطس من فوق جلبابها على الأرض وقالت بحدة وغضب : " ستانلى " .

ارتعد من صوتها الغاضب وأجاب : أختاه .

ولأنه لم يألفها هكذا من قبل ؛ فقد أضاف بينه وبين نفسه : يا إلهى ٠٠ أبعدها عن الشر ٠٠ احفظها هذه اللحظة ٠

لكنها لم تقل ما كانت تريد ؛ فتوجه " ستانلى " ببصره بعيدا عنها وقال لنفسه : إنها مفاجأة حقا أن أخاف من زوجتى ، وإذا أخبرت الناس فى القرية عن ذلك الخوف فلن يصدقونى ٠

تناول كتابه المقدس وظل يقرأ ؛ حيث سيقوم بوعظ المصلين من الأخوة والأخوات يوم الأحد ٠

كانت " سوزان " امرأة طويلة ورقيقة ، وذات يوم كانت فاتنة وجميلة ٠٠عادت للجلوس مرة أخرى وواصلت عملها ، ولم تكن تعرف السر وراء متاعب ابنها ٠٠ هل هى الرحلة القادمة ؟

كان " جون " يتجول فى الخارج بلا هدف وعبر الطريق المؤدية إلى منزله وقف بجوار شجرة اللبلاب القريبة ؛ حيث يمكن رؤية القرية بأكملها فصارت ممتدة أمام ناظره ٠٠ صفوف وصفوف من الأكواخ الطينية والأكواخ المصنوعة من القش التى تنتهى بعصا حادة تشير إلى السماء ٠٠ كان الدخان يتسرب من مختلف الأكواخ ؛ مما يعنى عودة كثير من النساء ، ومن جهة الغرب كانت الشمس تسارع بالمغيب خلف التلال المليئة بالضباب والغموض ٠

أبصر " جون " قرية (ماكينو) ذات الأكواخ المحتشدة فى صفوف والتى ترعرع فيها عش الغراب أثناء حرب الماو ماو فبدت له غاية فى القبح والبشاعة ؛ وعندئذ شعر بألم شديد وقال صارخا : إننى أكرهك ٠٠

إننى أكرهك .. لقد أوقعت بى فى مصيدة الحياة حيث لم يكن ممكنا حدوث ذلك بعيدا عنك أو بدونك .

امرأة ما كانت قادمة باتجاهه قريبا من الطريق المؤدية للقرية .. كانت المرأة تحمل لفة كبيرة من (الكونى) ؛ فانحنت بظهرها وقدمت له التحية ثم قالت : هل أنتِ بخير ؟ وهل كل شىء على ما يرام ؟

- نعم .. كل شىء على ما يرام يا ماما .

لم يكن ثمة أثر للمرارة فى صوته ، فهو بطبيعته مهذب كما يعرفه الجميع وليس كأولئك الأبناء المتعلمين المغرورين فى القبيلة .. أولئك الذين جاءوا من البلاد البعيدة مع البيض أو زوجات الزنوج ويتحدثون الإنجليزية ويتصرفون كالأوربيين تماما .. كان " جون " محبوباً ومثالا للوداعة والكمال الخلقى وكانوا جميعا يعرفون ذلك بالرغم من أنه ابن القس ، وباختصار كان " جون " عند حسن ظن القبيلة .

- متى ستذهب إلى ..... إلى ....

- ماكيريرى ؟

- ماكيليلى .

ضحكت بطريقة غريبة كالطريقة التى نطقت بها الاسم ، وكانت سعيدة بذلك ، لكن " جون " شعر بالأذى .

- الأسبوع القادم .

ـ أتمنى لك وقتا طيبا ٠

ـ شكرا يا أماه ٠

وبهدوء حاولت أن تنطق الكلمة بشكل أفضل فقالت : ماكيليلى ٠

ثم ضحكت على نفسها مرة ثانية ، ولما كان ما تحمله ثقيلا عليها فقد شعرت بالتعب وقالت : أتمنى لك التوفيق يا ولدى ٠

ـ سأكون موفقا وسأنعم بالسلام يا أمى ٠

تحركت المرأة بعد أن ظلت واقفة طوال الوقت وهى تلهث كالحمار ، غير أنها لم تستطع أن تخفى سرورها من طيبة " جون " ٠

ظل " جون " ينظر إليها كثيرا وهو يتساءل : ما الذى يجعل مثل هذه المرأة تعيش يوماً بعد يوم وهى تعمل هكذا بشقاء ؟ هل هى سعيدة ؟ هل تملك الإيمان الكافى بهذه الحياة أو أنها تؤمن بالقبيلة ؟ إنها طيبة لم تتلوث بحياة الرجل الأبيض الذى لم يجد فيها شيئا يتمسك به ٠

وبينما كان يتعقبها شعر بالفخر لأن الرجل الأبيض سيجد فيه ما يتمسك به ولأن له مكاناً فى تفكير البيض ، لكنه سرعان ما شعر بالاستياء ٠٠ إن أباه سيعرف ٠٠ إنهم سيعرفون وهو لا يعرف ما يخيفه أو ما سيفعله والده حين يعرف وما مدى الخسارة التى ستلحق به عندما يفقد الفلاحون البسطاء ثقتهم وحبهم له !

عرج إلى مقهى محلى صغير فقابل كثيراً من الناس الذين تمنوا له التفوق فى الكلية ؛ فقد عرفوا جميعاً من الجريدة الأسبوعية أن ابن القس ،

قد انتهى من مرحلة تعليم الرجل الأبيض فى كينيا ، وأنه فى طريقه للذهاب إلى أوغندا .

لم يمكث " جون " كثيرا فى المقهى فقد غابت الشمس وحل الظلام وموعد العشاء .. كان والده القاسى مازال على المائدة يتلو فى كتابه المقدس ، وعند دخول " جون " لم يرفع بصره من فوق الكتاب ، وساد هدوء غريب فى الكوخ .

سارعت أمه بكسر الصمت قائلة : تبدو حزينا !

ضحك " جون " ضحكة صغيرة لكنها مغلفة بالتوتر ، ثم أجاب بسرعة : لا يا أمى .

نظر إلى والده نظرات غريبة ، وتمنى بينه وبين نفسه لو لم تكشف "واموهو" عن السر ، ثم أضاف مخاطبا أمه : إننى مسرور .

كانت أمه تعرف أنه ليس كذلك .. تناول طعامه وخرج من الكوخ .. كان لكل الشباب أكواخ خاصة ، لكن " جون " لم يكن مسموحًا له بإحضار أية فتاة زائرة ، وتجنبا للمتاعب فإنه لم يحاول ؛ فقد كان مجرد رؤيته واقفًا مع إحداهن تعد جريمة يعاقبه عليها والده بالضرب .. تمنى لو استطاع أن يتمرد فى وقت مبكر مثل كل المتعلمين الآخرين .. أضاء الفانوس ، ثم أمسك به ، لكن الضوء الأصفر كان يرتعش بقوة ثم ينطفىء ؛ وعندئذ أدرك أن يديه كانتا ترتعشان .. أضاء الفانوس مرة ثانية وتناول كوفيته الكبيرة المبطنة ، فشاهده والده ؛ وحينئذ قضم "جون" شفته السفلى وشعر بكراهية تجاه نفسه لكونه خائفا كالفتيات فليس

ذلك بالأمر الطبيعى بالنسبة لولد فى مثل سنه ٠٠ راح يتلصص عابرا الفناء نحو الشارع المؤدى للقرية ، فكان الشارع مليئا بالشباب والشابات الذين يضحكون ويتحدثون ويتهامسون ويستمتعون بوقت طيب ٠

قال " جون " لنفسه : إنهم أكثر حرية منى !

وبينه وبين نفسه كان يحسدهم لأنهم كانوا ملتزمين بالقواعد الأخلاقية التى يفرضها عليهم وضعهم كمتعلمين حتى إنه سأل نفسه : هل أختلط بهم ؟

وصل أخيرا إلى الكوخ الواقع فى قلب القرية ولم يكن يعرف ماذا يفعل ٠٠ سوف ينتظرها فى الخارج ، ولكن ماذا لو أن أمها هى التى خرجت ؟ فليدخل إذن ٠

ـ " هودى " ٠

ـ ادخل نحن بالداخل ٠

قبل أن يدخل شد قبعته إلى أسفل وفعلا كان الجميع بالداخل ما عدا تلك التى جاء من أجلها ، وكانت النار فى الموقد مطفأة ولا يضىء الكوخ بأكمله سوى شعلة صغيرة فى الفانوس كانت تعكس ظلالا ضخمة فوق الحائط بدت وكأنها تسخر منه ٠٠ تمنى ألا يستطيع والد "واموهو" ووالدتها أن يتعرفا عليه ، ثم حاول أن يكون رقيقًا وهو يتقدم بالتحية فغّير من نبرات صوته ٠٠ تعرّفوا عليه بسهولة غير أنهم تظاهروا بالانشغال بالترحيب به ؛ إذ ليس بالحدث المتكرر أن تكون

مضيفًا لشخص متعلم يعرف كل شيء عن عالم الرجل الأبيض ، وقد يذهب فى يوم ما إلى أرض أخرى فيما وراء هذه البلاد . . لا ينبغى الاستهانة بمثل هذا الحدث فمن يعرف ، ربما يهتم بابنتهم ؟ فقد حدثت أشياء كثيرة ، لكن التعليم ليس هو كل شيء . . إن " واموهو " ليست متعلمة لكنها تستطيع بجاذبيتها أن تأسر قلب أى رجل ؛ إذ يكفى نظراتها وابتسامتها .

- اجلس . . إليك بهذا المقعد .

انتابه شعور بالمرارة وقال : لا . . أين " واموهو " ؟

شعرت الأم بالانتصار فراحت تنظر إلى زوجها الذى بادلها النظرات نفسها غير المعتادة ؛ فقضم " جون " شفتيه مرة أخرى ، وانتابه إحساس بالصاعقة ، لكنه استطاع أن يتمالك نفسه بصعوبة .

- خرجت لتوها كى تأتى ببعض أوراق الشاى . . اجلس من فضلك ، فسوف تصنع لك الشاى عندما تأتى .

تمتم ببعض الكلمات الغامضة وقال لنفسه : إننى خائف .

ثم مضى إلى الخارج وهو يفكر بأنه كثيرا ما كان متصادمًا مع "واموهو" .

وفى الكوخ قالت أم " واموهو " لزوجها : ألم أخبرك ؟ لا بد أن تثق بنظرات المرأة .

- أنت لا تعرفين أولئك الشباب .

ـ لكنك ترى أن " جون " مختلف ، وكل الناس يذكرونه بالخير ، بالإضافة إلى أنه ابن القس .

ـ أوه .. نعم ، ابن القس ، لقد نسيت أن ابنتك قامت بعملية الختان .

ثم تذكر الرجل العجوز يوم أن كان يبحث عن امرأة يتزوجها ، امرأة عفيفة طيبة تمارس سلوكيات القبيلة وتتمسك بمبادئها ولا تعرف أى رجل آخر .. كانا سعيدين مثل كثير من الناس فى (ريكا) ، حيث كل الفتيات عذراوات ، وحيث كان محرمًا لمس الفتاة مثلما يفعل كثير من الشباب هذه الأيام .

أضاف قائلا لزوجته : لقد تبع كل الرجال ما جاء به الرجل الأبيض من دين غريب وأساليب غريبة .. لقد تحطم قانون القبيلة ولم يستطع الإيمان أن يبقى القبيلة على تماسكها .. كيف نستطيع إذن ؟ إن من يتبع الأساليب الجديدة للرجل الأبيض لن يسمح بختان الفتيات ، ولن يسمح لابنه بالزواج من فتاة قامت بتلك العملية .. أوه .. انظرى إلى ما يحدث .. لقد ذهب أبناؤهم بعيدا إلى بلاد الرجل الأبيض فماذا أحضروا من هناك ؟ .. نساء شقراوات ونساء سود يتحدثن الإنجليزية ، آه ، شىء بشع .

أجابت زوجته : ماذا تقول ؟ أليست " واموهو " أطيب وأحسن منهن ؟ وعلى أية حال فإن " جون " مختلف .

ـ مختلف ، مختلف .. أوه ، إنهم جميعا متشابهون فالطينة البيضاء تغطيهم وتسيطر عليهم أساليب الرجل الأبيض السيئة .. إنهم فارغون من الداخل ، لاشىء .. لاشىء .

تناول قطعة من الخشب ووخز بها النار المطفأة بعصبية ، ثم شعر بالخدر يسرى فى جسده ؛ فارتعش وانتابه الخوف ، الخوف على القبيلة فقال : ليت المتعلمين فقط هم من تسيطر عليهم وتستهويهم حياة الرجل الأبيض لكنها كل القبيلة .. إن القبيلة تتبع الإيريمو الزائف مثل الفتاة فى الحكاية .

ارتعش الرجل العجوز وصرخ .. كان حزينًا على القبيلة التى أصابها التفكك ، وأصبح من العسير أن تعود كما كانت .. توقف عن وخز النار بقطعة الخشب وراح ينظر إلى الأرض نظرات قوية ثم قال : إننى أتعجب من مجيئه .. حقا إننى أتعجب وأتساءل عن السبب فى مجيئه .

وما لبث أن نظر إلى زوجته وهو يستطرد : هل تتصرف ابنتك تصرفات غريبة ؟

لم تجب زوجته بشىء ؛ فقد كانت مشغولة بالتفكير فى آمالها العريضة .

كان " جون " و " واموهو " يلعبان دورهما فى صمت ويعرفان كل الطرق والمنحنيات الصعبة والغامضة ، وكانت " واموهو " تسير بخطى سريعة معروفة ، بينما " جون " الذى يعرف أنها سعيدة كانت خطواته

ثقيلة وكثيرا ما كان يتجنب الناس حتى فى الظلام ·· ولكن لماذا يشعر بالخجل ويخاف أن يشاهده الناس معها ؟

إن الفتاة جميلة بل إنها أجمل فتاة فى (ليمورو) ، لكن كل شىء كان خطأ ·· هو يعرف أنه يحبها كثيرا ، لكن الشك ساوره ذات يوم فى ذلك الحب فأصبح من العسير التأكد من معرفته تلك ، ولو أنه واحد من أولئك الشباب الذين قابلهم لما أصبح ذلك عسيرا ·

وقفا خارج القرية دون أن يتبادلا الحديث بكلمة واحدة فبدا رنين الصمت أكثر صخبا من الكلمات ·· كان كلاهما يحس بالآخر ·

- هل يعرفون ؟

توقعت " وامو هو " هذا السؤال ولم تجب مباشرة وإنما ساد الصمت بضع لحظات كاد " جون " خلالها أن يفقد صبره ؛ فسارع بالتضرع إليها وهو يقول : قولى شيئا من فضلك ·· لا تتركينى أنتظر هكذا ·

شعر بتعب شديد وكأنه رجل عجوز وصل لتوه إلى نهاية الرحلة حين أجابت بهدوء : لا ·· لقد أخبرتنى أن أمهلك أسبوعا آخر ، وها هو الأسبوع ينتهى اليوم ·

همس " جون " بصوت أجش : نعم ، ولهذا جئت اليوم ·

لم تقل " وامو هو " شيئا ، بينما ظل " جون " يحدق فيها ، لكنه لم يستطع رؤيتها بوضوح بفعل الظلام ، ولاحت أمامه صورة أبيه

المتدين المتعجرف المتسلط ففكر مرة أخرى : أنا " جون " ابن القس ..
إن الجميع يحترمونني ، وها قد أوشكت على الذهاب إلى الكلية ..
سوف أسقط ، سوف أسقط على الأرض .

ولم يشأ أن يفكر أو يتأمل ذلك السقوط ، وإنما قال متهما إياها :
كانت غلطتك !

بينما كانت دقات قلبه تشير له أنه يكذب .

- لماذا تصر على توبيخي وإيلامي ؟ ألا تريد أن تتزوجني ؟

تنهد " جون " وليته كان يعرف ماذا يفعل .

(في سالف الزمان كانت ثمة فتاة جميلة لا تملك منزلا تأوي إليه ، ولم تستطع أن تمضي نحو الأرض الجميلة لترى كل الأشياء الطيبة والحسنة لأن الإيريمو كان في الطريق) .

- متى ستخبرهم ؟

- الليلة .

تملكه يأس جارف وفكر قائلا لنفسه : يجب أن أذهب للكلية في الأسبوع القادم فهل أستطيع إغراءها بالانتظار حتى أعود فتكون العاصفة قد هدأت والخوف قد تلاشى ؟ وماذا لو تراجعت الحكومة عن المنحة ؟

أصبح خائفا وانتابته رغبة حزينة في استئناف الحديث فاتجه ناحيتها وقال بصوت خفيض ومتردد : انظري " واموهو " ... كم من الوقت ؟ أقصد متى ؟ أعني ...

ـ قلت لك مراراً إننى سأكون هكذا ثلاثة أشهر وبعدها ستثور الشكوك من حولى ٠٠ لقد قالت أمى بالأمس إننى أتنفس مثل المرأة الحامل ٠

ـ أتعتقدين أن بإمكانك الانتظار ثلاثة أسابيع أخرى ؟

ضحكت وقالت لنفسها : هاهو الساحر الصغير يقوم بخداعى ٠

كانت ضحكاتها تثير فيه دائمًا التأثر والانفعال فقال : إذن ٠٠ امنحينى فرصة حتى الغد فقط ؛ فسوف أفكر فى شىء ما ، غدا ستعرفين كل شىء ٠

ـ موافقة ٠٠ غدا فقط ولن أستطيع الانتظار أكثر من ذلك إلا إذا قررت أن تتزوجنى ٠

سأل نفسه : لماذا لا تتزوجها ، إنها فاتنة وجميلة ، لماذا لا تتزوجها ؟ هل أحبها أو لا ؟

مضت " وامـوهو " تاركة إياه ؛ فشعر " جون " إنها تتعمد تهديده ، ولم يعد يقوى على حمل ساقيه وفقد قدرته على الحركة ، ثم سقط متكومًا على الأرض ٠٠ سال العرق غزيراً تحت خديه ووجنتيه ، كما لو أنه كان يجرى بسرعة تحت الشمس الحارقة ، غير أنه كان عرقا بارداً ٠٠ رقد فوق الحشيش ولم يشأ أن يفكر فى شىء ٠

أوه ، لا ، لن يستطيع مواجهه أبيه أو أمه أو حتى " توماس كارستون " الذى يثق فيه كثيراً ويؤمن به ٠٠ أدرك " جون " أن أى

شخص آخر أكثر أمانًا منه بالرغم من كونه متعلمًا، وعرف أيضًا بأنه ليس أفضل من " واموهو " ؛ فتساءل بينه وبين نفسه : لماذا لا أتزوجها ؟ إننى حقا لا أعرف فلقد نشأت وكبرت تحت رعاية أب متعصب دينيا وتعلمت تحت إشراف ناظر متعصب فى الإرسالية المختصة بالتبشير . لقد حاولت أن أصلى ولكن إلى من أتوجه بصلاتى ؟ هل أتوجه بها إلى إله " كارستون " ؟ إن ذلك زيف ويبدو نوعًا من الكفر والتجديف فهل أصلى إذن لإله القبيلة ؟

لقد سحقه إحساسه بالذنب وحين استيقظ سأل نفسه : أين أكون ؟

أدرك أن " واموهو " قد غادرته فنهض من فوق الحشيش وهو فى حال أفضل ، ثم بدأ فى العودة إلى المنزل بتكاسل وضعف ومن حسن حظه أن الظلام كان كثيفا ؛ فلم يستطع أحد أن يراه .. كان بمقدوره أثناء العودة أن يسمع بعض الضحكات والمحادثات الساخنة والمشاجرات الصادرة من مختلف الأكواخ ، كما أمكنه بسهولة رؤية النار الحمراء وهى تتلألأ عبر الأبواب المفتوحة .

فكر " جون " قائلا لنفسه : النجوم .. نجوم القرية .

ثم رفع عينيه فكانت نجوم السماء بعيدة وغير مشرقة حتى خيل إليه أن النجوم تنظر إليه .. كان من اليسير سماع ضحكات وصيحات الأولاد من جهات مختلفة فلم تزل الحياة بالنسبة لهم بسيطة لم يعكر صفاءها شىء فراح يعزى نفسه قائلا : سيأتى يوم يعرفون فيه أن الحياة ليست كذلك وحتمًا ستختفى ضحكاتهم .

كان " جون " مرتجفًا .. لماذا .. لماذا .. لماذا لا يقدر أن يتحدى كل توقعات المستقبل ويتزوج الفتاة ؟ لا ، لا .. إن ذلك مستحيل لأن أباها والكنيسة لن يوافقا على مثل ذلك الزواج فهى غير متعلمة ؛ حيث توقفت عند المستوى الرابع ، وقد يكون الزواج منها عائقًا أمام الفرص المتاحة له وأيضًا أمام ذهابه إلى الجامعة .

حاول أن يتحرك برشاقة ونشاط بعد أن استعاد قوته وسرح بأفكاره وتخيلاته محاولا شرح فعلته قبل أن يتهم العالم كما يفعل دائمًا وظل يتساءل عما يستطيع أن يفعله خاصة وأن الفتاة قد أسرته بجمالها ؛ إذ إنها رشيقة القوام وذات ابتسامة ساحرة تأخذ بالعقول ولا تضارعها فتاة أخرى ، كما أن أية واحدة لا تستطيع الادعاء بأنها متعلمة لأن تعليم الفتيات نادر جدا ؛ مما يجعل الكثير من الأفارقة يرحلون بعيداً ويتزوجون هناك مثلما يتمنى " جون " أن يرحل خاصة لو رحل بالطائرة العملاقة إلى أمريكا .

قال : ليت " واموهو " تعلمت ولم تكن قد قامت بعملية الختان .. يجب على أن أتمرد .

كان كوخ أمه مضاء ؛ فتردد " جون " فى الدخول لتأدية صلاة الليل وسرعان ما رفض الفكرة ؛ إذ ربما لم يكن قويًا بما يكفى لمواجهة والديه .. أطفأ الضوء فى كوخه وتمنى ألا ينتبه والده لذلك .

استيقظ فى الصباح مبكرًا وهو خائف ومرتعد ورغم عدم إيمانه الدائم بالخرافات إلا أنه لا يزال يحب أحلام الليل فقد نشأ وسط

سلوكيات القبيلة .. لقد حلم بالختان وشخص ما لم يستطع أن يتبين شكله قاده فى الحلم إلى أرض غريبة ، ثم ما لبث أن وجد نفسه وحيدا .. اختفى وتلاشى ذلك الشخص فأبصر شبحًا - كشبح المنزل - جذبه إلى الخلف ، ثم جاء شبح آخر هو شبح الأرض التى كان مضطرا أن يلجأ إليها وجذبه إلى الأمام حتى تشاجر الشبحان ؛ وعندئذ ظهرت أشباح أخرى من كل الجهات وراحت تشده من كل ناحية إلى أن تمزق جسده إلى عدة أجزاء ولم يكن بمقدوره رؤية الأشباح أو الإمساك بأى منها .. لقد كانوا فقط يشدونه حتى أصبح لا شىء ، لا شىء .. وقف بعيداً ولم يعد كما هو ، لكنه كان ينظر إلى الفتاة التى وردت فى الحكاية والتى لم تكن تملك مكانًا تأوى إليه ، وفكر فى الذهاب إليها لمساعدتها كى ترى الطريق ، لكنه عندما ذهب إليها لم يتعرف على الطريق .. لقد أصبح وحيداً واجتاحته أحاسيس قاتلة .. كان " جون " خربًا ومهدما ولحظة استيقاظه كان متشيئا بالعرق .

إن الحلم بالختان ليس بالشىء الطيب ؛ فهو يجلب الشؤم ، لكنه نسى الحلم وراح يضحك .. فتح الشباك فأبصر البلدة كلها غارقة فى الضباب ، إنه طقس شهر يوليو دائما فى (ليمورو) .. التلال والأخاديد والوديان والسهول التى كانت تحيط القرية اختفت فى الضباب فبدت البلدة كمكان غريب ، لكنها أبدا لم تفقد فتنتها وسحرها .. (ليمورو) أرض المتناقضات التى تستدعى أحاسيس متباينة فى أوقات مختلفة حتى إن " جون " كان مفتونا بها ذات مرة واشتاق لملامسة الأرض واحتضانها والتمرغ فوق أعشابها ، بينما راح فى وقت آخر يقاوم التراب

والشـمس القـوية والطرق المثـقـوبة ، ولو أن مـعـاناته كانت فـقط بسـبب التراب والضباب والشمس والأمطار لشعر عندئذ بالسرور ، ولما فكر فى يوم من الأيام أن يموت أو يدفن فى أى مكان آخـر غـيـر (ليـمـورو) ، لكنـهـا عـيـوب الإنسـان ورزائـلـه وخـيـانـاتـه المتـجسـدة فى كـل القـرى الجديدة القبيحة .

عـاودته حـادثة الليلة الماضـيـة حـتـى تدفقت فـى رأسه كـالفـيضـان فشـعـر مـرة أخـرى بالضـعف ، ثم رفع البطانية من فـوقـه وخـرج ، وكـان ينبـغى أن يذهـب اليـوم للدكـان ، لكنه مـتـضـايق ، بالإضـافـة إلى ذلك الإحسـاس الغريب الذى لا يفارقه بأن عـلاقتـه بأبيه عـلاقة غير طبيعية ، غير أنه مالبث أن استنكر ذلك الإحسـاس .

ارتجف وهو يفكر : ستكون الليلة هى يوم الحساب .. لسوء الحظ أن ذلك يحـدث فى حـيـاتى فى الوقت الذى أوشك فـيـه على الذهـاب إلى (ماكيريرى) ، ولكن ربما أتقرب قليلا من أبى .

ذهب مع أبيه إلى السوق وظل هادئا طوال اليوم ، وكانا يتحركان من دكـان إلى آخـر لشـراء الأشـيـاء من التـجـار الهنود دون أن يتـوقف "جـون" عــن الإحسـاس بمخــاوفه الشـديـدة مــن أبيه .. لـقـد كـبـر بمـا يكفى للتغلب على ذلك الخوف والارتعـاش الذى يصـيبه كلمـا تكلم أبوه أو أصدر أمراً .

لم يكن " جون " وحـده الذى يخاف وإنما " ستـانلى" أيضـا الذى يعمل فى الوعظ والتبشير بهمة ونشاط حتى أثناء الطوارئ متحديا بذلك

بوابات الجحيم ٠٠ كان دائما فى وعظه يزجر وينهى ويصدر أحكام الإدانة معلنًا أن كل مرتكبى الخطايا مصيرهم الجحيم رغم معرفته أن كل ملاحظاته الأخلاقية العظيمة لا تحمل إلا قدراً ضئيلاً من الحقيقة فى جوهرها وقدراً لا بأس به من الظاهرية فى طبيعتها ، لكن أحداً لم يلحظ ذلك ولا حتى الأغنام التى يرعاها ٠

كان الطرد أو الحرمان من الكنيسة هو المصير المحتوم لكل من يحطم القواعد ، وكانت رؤية الشباب والشابات واقفين معا بطريقة تضر بالكنيسة وأخلاقيات الرب تعنى حرمانهم من الكنيسة وطردهم ؛ مما جعل كثيرا من الشباب الذين يطمعون فى الدين والدنيا معا يكتفون برؤية فتياتهم فى الليل والذهاب إلى الكنيسة فى النهار بدلا من الذهاب معا ٠

كان " ستانلى " يقوم بدور الأب الرءوف تجاه كل الناس فى القرية ، وكان دائما يردد : يجب أن تكون دقيقا وصارما مع أسرتك ٠٠ وهكذا أراد لمنزله أن يكون مثالا طيبا ، وتمنى أن ينشأ ابنه بالطريقة التى يراها صحيحة ، لكن الباعث وراء العديد من أفعال الإنسان قد يكون مختلفًا ؛ إذ إنه لا يستطيع أبدا نسيان وقوعه فى الخطأ قبل الزواج ، لكنه على أية حال كان يمارس نفوذه الجديد ببراعة نتيجة لانحلال القبيلة ٠

استغرقت عملية التسوق وقتًا طويلاً ولاحظ الأب ذلك الصمت السائد بينهما ليس بالكلام فقط وإنما بالإيماءات أيضا ، وعندما وصلا إلى المنزل اعتقد " جون " أن كل شىء على ما يرام ، غير أن أباه ما لبث أن قال : " جون " ٠

ـ نعم يا أبى .

ـ لماذا تخلفت عن الصلاة ليلة البارحة ؟

ـ نسيت .

ـ أين كنت ؟

أجابه " جون " ولكن بينه وبين نفسه : لماذا تسألني ؟ هل من حقك أن تعرف ؟ في يوم ما سأثور ضدك .

وسرعان ما أدرك " جون " أن شيئا ما يكمن وراء تمرده هذا ولم يكن حدوث شيء ما هو الذى دفعه لذلك التمرد فقال لأبيه متلعثما : أ ... أ ... أنا أعنى .. إنني كنت ......

ـ لا يجب أن تنام قبل أن تفرغ من الصلاة وتذكر ألا تتخلف الليلة .

ـ سوف أفعل .

شيء ما كان في صوت الولد جعل الأب يتوقف عن الحديث فذهب " جون " بعيدا وكأنه أزاح عبئا ثقيلاً عن كاهله ؛ وعندئذ شعر أن كل شيء على ما يرام ، وعندما حل الظلام ارتدى " جون " ملابس الليلة الماضية نفسها ومشى بخطوات مضطربة نحو المكان المحتوم .. لقد جاء وقت الحساب ، ولم يعد يفكر في شيء .. سيعرفون جميعًا بعد هذه الليلة بما فيهم " توماس كارستون " الذى قال له آخر مرة : أنت مقبل على العالم ، والعالم ينتظر كالأسد الجائع لابتلاعك وإبادتك ؛ وإذن عليك أن تحترس من العالم .

تذكر كلمات السيد " كارستون " الأخيرة ، ولم يكن راغبا فى تذكرها .. كان من الأفضل ألا يتذكرها ، لكنها كانت تقفز إلى ذاكرته رغما عنه وكأنها مكتوبة بوضوح فى الهواء أو مطبوعة فى ظلام رأسه .

شعر " جون " بالألم يسرى فى جسده حين تذكر هذه الكلمات وراح يفكر فى السقطة القادمة .. نعم ! إنه " جون " الذى سيسقط من بوابات السماء إلى بوابات الجحيم المنتظرة المفتوحة ، آه .. ماذا سيقولون ؟ سوف يتجنبون جميعا صحبته وينظرون إليه نظرات غريبة وزائغة تقول الكثير .. لم يكن يعنيه ذلك كثيراً وإنما كانت متاعبه تتمثل فى اعتقاده أن السقوط من مرتفعات الصلاح والطيبة شىء غير عادل وأن الخوف من الناس والنتائج المترتبة على ما يمكن حدوثه هى ما يجعله يفكر فى السقوط بمثل هذا الرعب .

فكر " جون " فى كل أنواع العقاب التى ستحل به ، ثم خطرت بباله فكرة الهرب ، وكانت الفكرة شيقة لكنها مستحيلة .. إنه يخاف من أبيه ، كما أن الناس تحبه ، بالإضافة إلى عدم تأكده من حقيقة مشاعره تجاه الفتاة التى لا يعرف ماذا يقول لها .

- انظرى يا " واموهو " .. سأعطيك نقوداً وتقولين إن شخصا آخر هو المسئول كما تفعل فتيات أخريات .. نعم إن كثيراً من الفتيات يفعلن ذلك وربما يتزوجك ذلك الشخص ، أما بالنسبة لى فذلك مستحيل وأنت تعرفين ذلك .

- لا .. لا أستطيع ذلك فكيف تستطيع أنت .. أنت .....

ـ سأعطيك مائتين من الشلنات ٠

ـ لا ٠

ـ ثلاثمائه ٠

ـ لا !!

ظلت تبكى وقد تألمت كثيرا من جراء ما تسمع وترى ٠

ـ أربعمائة ٠٠ خمسمائة ٠٠ ستمائة !!

بدأ هادئا وما لبث أن ارتفع صوته شيئًا فشيئًا ٠٠ تملكه اليأس والقلق فهل كان يعرف ما يقول ؟

راح يتحدث بسرعة وبأنفاس لاهثة وكأنه فى عجلة من أمره وظل صوته يرتفع : تسعة آلاف ٠٠ عشرة آلاف ٠٠ عشرون ألفا ٠

أصابه الجنون وكان يتحرك فى الظلام كالزبد ، ثم اتجه ناحية الفتاة ووضع ذراعيه فوق كتفها ، وبصوت أجش راح يتوسل إليها بشدة ٠

شيء ما كان يتصارع بداخله وكان من المخيف فعلا أن يفكر فى غضب أبيه وأن تتحكم القرية فى أفكاره ٠٠ هزّ " وامـوهو " بعنف معتقداً أنه يربت فوق كتفها برقة ونعومة ٠٠ لقد أصابه الجنون وفقد السيطرة على عقله ٠

ـ خمسون ألفا من الشلنات ٠٠ ستون ٠٠

أصابها الذعر ؛ فانتزعت نفسها منه وهى تقول : المجنون ، ابن القس المتدين ، الابن المتعلم ٠

ثم فرّت بعيداً ، لكنه جرى وراءها حتى أمسك بها ، وبدأ يحدثها بود ، لكنه كان يهزها ويهزها حتى ضغط عليها وحاول احتضانها ؛ فأطلقت صرخة مدوية وسقطت على الأرض .

توقف " چون " عن زيادة الشلنات ووقف مرتعشا كأوراق الشجر في يوم عاصف ، وفي غمرة الخوف هرع إلى المنزل حيث كانوا جميعا يعرفون .

موجومو

چيمس نجوجى

كينيا

توقفت "موكامى" أمام الباب ، ثم أدارت رأسها ببطء وأسى وتوجهت ببصرها صوب دخان الموقد الكثيف وذلك المقعد الصغير بجانب البيت ؛ فترددت قليلاً لكنها قالت لنفسها : لا ، لقد قررت ولا بد أن أرحل .

اندفعت فى الظلام الموحش بثوبها الرقيق الملطخ بالزيت والمشدود بإحكام فوق رأسها العارى .. كان الثوب متدليًا فوق كتفيها الرقيقتين الناعمتين ، وكان الهواء مشبعًا بالسحر والهدوء ، وما هى إلا لحظات حتى أصابها الفزع من ذلك الظلام ؛ فلم تعد تبصر شيئًا ؛ وفقدت قدرتها على الإحساس بأى شىء ، وعندئذ راحت تتحرك بحذر نحو الفناء الذى تعرفه جيداً خشية أن يسمعها أحد .

الفناء وأربعة أكواخ وظلال كوخ زوجها ، شعرت أن كل شىء يدينها إدانة صامتة ويتوسل لها فى هدوء ممتزج بالازدراء والشفقة : أتغادرين زوجك ؟ ارجعى !

عبرت الفناء بجرأة وبدون تردد ، ثم اتجهت يساراً نحو الطريق المؤدية إلى البوابة ، فتحت البوابة وسرعان ما أغلقتها ببطء ثم توقفت لحظة ، أدركت "موكامى" خلالها أن إغلاق البوابة إنما يعنى إغلاق جزء من وجودها ؛ فأوشكت على البكاء ، لكنها أدارت ظهرها بقلب مثقل وبدأت فى التحرك .

لم تكن تعرف أية طريق ستسلك ، ولم يكن يهمها ذلك الأمر كثيراً فهى تريد فقط أن تهرب وتمضى إلى أى مكان ، (ماسيلاند) مثلاً أو (أوكامبانى) .. إنها تريد أن تبتعد عن المدفأة والفناء والأكواخ والناس وتمضى بعيداً عن كل شىء يجعلها تتذكر جبل (موهوروينى) وسكانه .. لقد قررت ألا تعود أبداً ، ولكن زوجها ! لا ، إنه ليس زوجها وإنما هو الرجل الذى كاد أن يقتلها ويسحق روحها .. لا ، لم يعد ممكناً أن يظل زوجها رغم أنه الشخص نفسه الذى أعجبت به كثيراً ذات يوم ، فكيف إذن تكرهه الآن ؟ .

فكرت كثيراً فى حياتها معه ، زوجها "موثوجا" الرجل العصامى المتزوج من أربع سيدات يعرف الجميع أنه يعاملهن بقسوة .. تذكرت عدم ثقة والدها بذلك الرجل وعدم ارتياحه لفكرة أن تعيش ابنته معه وبين زوجاته الأخريات ، غير أنها – فى ذلك الوقت – لم تبد اهتماماً بكلام أبيها ؛ فقد فتنها "موثوجا" حتى إنها كثيراً ما رغبت فى الزواج منه والانضمام إلى حاشية زوجاته وأولاده .. لقد أثار "موثوجا" اهتمامها ومشاعرها وإعجابها بطريقته فى المشى والرقص بالإضافة إلى صوته الجهير وأصابعه الرياضية ، وذلك الغموض وتلك القوة التى كان يتمتع بها

تذكرت "موكامى" أيضًا كيف كان يغازل كلاهما الآخر بطريقة غريبة ، كما أنها ما تزال تذكر نبضات قلبها وابتسامته العريضة ، وذلك العقد الصدفى الذى قبلته بعد تردد كتذكار للزواج واحتساء البيرة ، ومهر العروس المعتاد ٠٠ عادت بذاكرتها للوراء وفكرت فى أولئك الناس الذين لم يصدقوا قبولها الزواج من "موثوجا" خاصة بعد أن رفضت كثيراً من الشباب ، وكانوا ينظرون إليها باستياء مرددين : آه ! أيحظى رجل عجوز بمثل ذلك الشباب والجمال ؟ !

كانوا يتهامسون فيما بينهم أنها لابد قد وقعت تحت تأثير السحر ويبدو أن ذلك ما حدث بالفعل فلقد أحبته كثيراً ، وفى يوم زفافها أصابتها الدهشة وهى فى طريقها إلى (شامبا) حين اقترب منها ثلاثةِ رجال فجأة وحملوها إلى كوخ الرجل الذى تم تشييده خصيصاً لها ٠٠ ها هى الآن تتذكر كل شىء ٠٠ لقد شدّها الرجال الثلاثة بقوة من الأرض فانتابها الخوف لحظة قصيرة وحاولت بكل قوتها أن تتخلّص من أياديهم الرقيقة وهى فوق أكتافهم ، لكنهم لم يهتموا بمقاومتها ، وقام أحدهم بقرصها فى وجنتيها حتى تكف عن محاولة الخلاص وتلتزم الهدوء ؛ فما كان منها إلا الاستسلام لتلك المداعبة الغريبة والجميلة جداً والتوقف عن المقاومة ، وحينئذ شعرت بأن أصابع الرجال المشبعة ببذور الذرة الناعمة تداعب قدميها وجانبيها فانتابتها سعادة حقيقية لم تستطع معها أن تتوقف عن البكاء طوال الطريق إلى بيت زوجها ٠

لم يمض وقت طويل حتى تلاشى حبها الكبير وفقدت اهتمامها بكل شىء ؛ فلقد كان شبابها وجمالها سببًا فى اشتعال غيرة الزوجات

الأخريات اللاّتى كن يفعلن كل ما فى وسعهن للوقوف دون استمتاعها بحب الرجل كما حدث معهن طوال سنوات ·· تذكرت ذلك اليوم الذى نالت فيه الزوجة الكبرى عقاباً بالضرب عندما رفضت تقديم الوقود لها من كوخها ، وأشياء أخرى كثيرة جعلتها تكره الزوجات الأخريات اللاّتى لم يتوقفن عن محاولة كسب تعاطف القرية كلها ، غير أنها لم تعد تهتم بغطرستهن وعدم اهتمامهن بها ، وقالت لنفسها : لماذا ينبغى أن أهتم ؟ ألم يتحقق حلمى وطموحى وكل شىء فى هذا الرجل ؟

مضت أيام كثيرة وحين أوشك العام الثالث على الانتهاء بدأ العالم الذى تعرفه "موكامى" يتغير خاصة وإنها لم تنجب أطفالاً ·· امرأة عاقر !

ليس من طفل يؤكّد الرابطة بينه وبينها !

ليس من طفل يكرّس العناق واللّوم !

ليس من طفل يخلّد أرواح أجداد زوجها ودم أبيها !

كانوا يبتسمون ويتهامسون ؛ فشعرت بالهزيمة ·· أوه ، كيف تسللت إليها ابتسامات الناس الغريبة الوقحة ؟!

همست لنفسها : أنا لا أملك شيئًا يدعونى للخوف فليشعروا بالانتصار والبهجة كما يشاءون لأننى مازلت أملك زوجى ·

لقد استطاعت "موكامى" أن تشفى قلبه المتحجر بعض الوقت ، لكنه بدأ يضربها وبدأت هى بدورها تتغير وتشعر بالاستياء ·· "موثوجا"

المجاهد والفلاح والراقص لم يكن يجد مخرجا لكل غضبه المتراكم وضيقه وإحباطاته إلا فى ضربها مثلما حدث عندما شاهدها تتشاجر مع الزوجة الكبرى ؛ فراح يضربها أمام الجميع دون أن يتحرك أحد للمساعدة ؛ وهكذا بدأت رحلة العذاب والشقاء .. كان يطلبها فى الصباح الباكر ليضربها بشدة دون أى تحذير أو تفسير ، لكنها لم تكن تصرخ مثل الزوجات الأخريات اللاتى كن يتوسلن ويطلبن الرحمة .. كانت "موكامى" ترفض بشدة أن يقهر ذلك الضرب إرادتها ، وقررت أن تتفوق على كل آلامها ؛ إذ لم يكن لها مكان آخر تلجأ إليه ، كما لم يعد ممكنًا أن تعود إلى بيت أبيها العجوز فلن تقدر على مواجهته ، بالإضافة إلى الخجل الذى ستشعر به فى حالة عودتها .

كان نسيم الليل باردًا فتدفقت الدموع من عينيها إلى خدّيها ، وانتابها إحساس بالقمع وهى تشق طريقها إلى أسفل الوادى حيث الشجرة الكثيفة ذات الأشواك .. جلست بجوار جدول الماء ، وكانت الأشجار الهادئة تذكّرها بالقرية وبدا كل شىء كأنه متعاطف معها غير أن إحساسا ما لم يفارقها بأن كل شىء كان يستنكر فى هدوء محاولتها فى الهرب .

ظلّت تمشى بمحاذاة جدول الماء حتى عبرته من مكان منخفض بأن وضعت قدميها فوق الأحجار الثلاثة المتراصة ، وكانت ما تزال غاضبة وحزينة جدا حتى إنها لم تشعر بالأخطار التى تحيط بها وهى تفكر : هل هذا هو المكان الذى يلقون فيه بالموتى ؟ وهل هذا هو المكان الذى ترفرف فيه أرواح الموتى مع الهواء والأشجار لتضايق الغرباء

والمتطفلين ؟ كانت غاضبة من العالم ومن زوجها ، لكن غضبها من نفسها كان أكثر حدّة ؛ فراحت تسأل نفسها : هل أنا دائما مخطئة ؟ وهل لابد أن أدفع ثمنا باهظا لانتزاع نفسى من ذلك الرجل الذى ضحيت بشبابى وجمالى من أجله ؟

شعرت بضيق شديد وأصبحت الدموع المتدفقة من عينيها أكثر غزارة .

أوه ، يا أرواح الموتى .. تعالى من أجلى !

أوه ، مورونجو ، يا إله جيكويو وإله مومبى ..

يا من يقطن مرتفعات كيرينياجا ولا يزال فى كل مكان ..

لماذا لا تخلّصنى من ذلك الشقاء ؟

أمى ، الأرض الغالية .. لماذا لا تنفتحين وتبتلعيننى

كما ابتلعنى جومبا الذى اختفى تحت جذور ميكونجو ؟

هكذا كانت تتوسل وتبتهل إلى أرواح الموتى والأحياء كى تأتى وتنقلها بالقوة إلى حيث يصبح من المتعذر رؤيتها مرة أخرى ، ثم فجأة - وكأنها استجابة لتوسلاتها- سمعت من بعيد صوتا حزينا وشجيا .. هبّت الرياح بقوة وتلاشت النجمة الوحيدة فى السماء فأصبحت وحيدة وسط غموض الغابة ؛ وعندئذ شعرت بشىء ما يلمسها ، شىء ما بارد ولا حياة فيه فقفزت من مكانها وراحت تصرخ بقوة ، وكان صدى صرخاتها يتردد عبر الغابة كلها .

تملّكها خوف جارف وظلّ كل جسدها يرتجف ، وما هى إلا لحظة قصيرة حتى أدركت بأنها ليست وحيدة ، فها هى آلاف الأعين تتوهج وتتلألأ مع صرخاتها وبعض أيادٍ كثيرة لا يمكن رؤيتها كانت تدفعها للأمام وللخلف ؛ فأيقنت على الفور بأنها موجودة الآن فى أرض الأشباح وحيدة وبعيدة عن الوطن فتسلّلت القشعريرة إلى جسدها ، ولم تستطع أن تحس شيئًا أو تفكر فى شىء ، كما فقدت قدرتها على الصراخ ٠٠ لابد أنه القدر ، إنها إرادة مورونجو ٠٠ فقدت مقاومتها المتبقية وشعرت بالنهاية تقترب ، نهاية أحلامها وطموحاتها ٠٠ إن ذلك يدعو فعلاً للسخرية ، فهى لم تشأ أن تموت وإنما كانت فقط تتطلّع إلى فرصة أخرى تبدأ معها حياة جديدة مليئة بالعطاء ، ولا تتسم بالأخذ فقط ٠

رقدت فوق الأرض دون أن يفارقها إحساسها بالبؤس والشقاء وكانت تسمع من بعيد صرخات الضبع ونعيق البومة مع استمرار هبوب الرياح ، كما بدأت الأمطار تتساقط فشعرت وكأن الأرض تتشقق من تحتها ، ثم أبصرت فجأة – من خلال البرق والرعد – شجرة بعيدة وضخمة ذات أوراق كثيفة تتمايل حول جذعها ٠٠ عرفت "موكامى" أنها شجرة موجومو المقدسة فقالت : ها هو المكان المقدس ، ها هو الملاذ !

بدأت تجرى دون أى اكتراث بالأمطار أو الرعد أو الأشباح وقد تلاشى زوجها من ذاكرتها وكذلك جبال موهوروينى ، وذلك العبء الذى تحمله فى قلبها ٠٠ ظلّت تجرى عبر الدغل الشائك وهى تتخبط فى الأشجار ثم تسقط على الأرض وتسارع بالنهوض ٠٠ لم تعد عاجزة

أو قلقة ولم يكن يشغلها شيء سوى الوصول إلى الشجرة فقط ، إنها مسألة حياة أو موت ، هى معركة من أجل البقاء ، فقد تجد هناك تحت شجرة موجومو المقدسة الحماية والملجأ والسلام ٠٠ هناك قد تقابل ربها وإله شعبها مورونجو ٠٠ كانت تجرى برغم جسدها الهزيل ، ثم شعرت فجأة بسخونة داخل رحمها ٠

أصبحت قريبة من المكان المقدس ، قريبة من الهيكل ، قريبة من الخلاص ؛ فسارعت بالهرولة نحو الهيكل وكأنها تطير أو كأن روحها تحلّق فشعرت بأنها خفيفة وحين وصلت كانت تلهث بقوة ولا تقدر على التنفس ٠

لم تتوقف الأمطار عن السقوط ، لكن "موكامى" لم تكن تشعر بشيء وكانت نائمة تحت شجرة الإله ذات الأوراق الباعثة على الحماية ، وقد انتابتها نوبة أخرى من السحر ٠

استيقظت وقد اعتراها إحساس جديد ٠٠ ماذا ؟ لا شيء ، لا أحد ! لا بد أنها مومبى الواقفة إلى جوار زوجها جيكويا هى التى لمستها برفق ، لمسة حانية تسللّت إلى كل جسدها أو أنها كانت تحلم ٠٠ قالت مومبى : إننى أم الشعب ٠٠ ياله من حلم غريب وجميل ٠

نظرت "موكامى" حولها فعرفت أن المكان لا يزال غارقًا فى الظلام ، لكنها أبصرت الشجرة القديمة الصامدة القوية والتى لا يمكن التنبؤ بعمرها فهمست لنفسها : كم من الأسرار تختزنها تلك الشجرة ؟

شعرت بأنها إنسانة جديدة وراضية مفعمة بالأمل فقالت : يجب أن أعود إلى بيتى وزوجى وأهلى ٠

ثم راحت تنام من جديد .. إنها نوبة السحر !

بدأت الشمس ، ترسل خطوطها الصفراء المتلألئة عبر الغابة من اتجاه الشرق بينما كانت "موكامي" مستندة إلى الشجرة ، وحين لامست جسدها خطوط الضوء الشاردة شعرت بجسدها كله يهتز وبالدم يذوب في عروقها .. أوه ، لقد شعرت بدفء شديد ، وسعادة غامرة ، كما أحست بأنها تحلّق وأن روحها ترقص ، بينما كان رحمها يتحدث لغة جديدة فعرفت بأنها حامل .

نهضت من رقدتها استعدادًا للذهاب وراحت تحلّق في الفضاء بعيون دامعة دون أن ترى شيئًا ، إنها دموع العرفان بالجميل واليأس هي التي تتدفق فوق وجهها وهناك فيما وراء الغابة وفيما وراء جدول الماء بدت عيناها وكأنهما تبصران شيئًا ، شيئًا غامضًا ومختفيًا في المستقبل البعيد .. أبصرت شعب موهورويني ولاح أمامها زوجها قويًا لا تبدو عليه ملامح الكبر وهو واقف بين شعبه ؛ فهمست لنفسها قائلة : ذلك هو مكاني العادل ، هناك إلى جوار زوجي وبين الزوجات الأخريات .. يجب أن نتوحد لنخلق حياة جديدة .

ثمة بقرة كانت تخور هناك بعيدًا استيقظت "موكامي" على إثرها من حلم يقظتها ، وبدأت تتحرك قائلة : لا بد أن أذهب !

بينما كانت شجرة موجومو الضخمة لا تزال سامقة وصامتة ومليئة بالأسرار .

سارزان (*)

بيراجو ديوب

السنغال

تعلم " إسماعيل بيراجو ديوب " بمدارس الليسيه في السنغال ، ثم درس الطب البيطرى في جامعة تولوز بفرنسا ، وبعد عودته لأفريقيا عمل بيطرياً لعدة سنوات في (أواجادوجو) التي هي الآن جزء من فولتا العليا .. كتب ثلاث مجموعات قصصية ، وقصة (سارزان) هي إحدى قصص المجموعة الأولى .

غادرت كل العائلات " دوجوبا " كما تفر حبات الذرة من ضربات المدقة أو كما تتساقط الفاكهة الناضجة من فروعها المليئة بعصارة النبات ؛ حيث رحل بعض الشباب للعمل في " سيجو " و " باماكو " و " داكار " ، بينما اتجه آخرون للعمل في حقول الفول السوداني السنغالية ، وكانوا يعودون في موسم الحصاد فقط بعد أن تصعد المنتجات للسفينة ؛ فهم يعرفون جيداً أن جذور حياتهم لا تزال في "دوجوبا" المقيدة بتعاليم الأجداد والتقاليد القديمة ؛ مما جعلهم

(*) سارزان SARZAN : لفظ سنغالي يعني الرقيب (المترجم) .

غير قادرين على الابتعاد عنها طويلا . لكن (تيمو كيتا) استجاب للمغامرة أكثر من الآخرين ؛ حيث ذهب إلى " كاتى "و " داكار " ومنها إلى " الرباط " ، ثم إلى " فريجوس " و " دمشق " ، وكان قد تلقى تدريبه فى السنغال وحارب فى المغرب وعمل حارسا فى فرنسا ودورياً فى لبنان ، ثم عاد إلى " دوجوبا " رقيبا فى قافلتى الطبية بعد أن التقيت به أثناء جولاتى البيطرية فى السودان داخل مكتب المدير المحلى عندما كان يطلب تسجيل اسمه فى الشرطة أو العمل كمترجم .

قال له الحكمدار : لا .. من الأفضل أن تعود إلى قريتك لأنك سافرت كثيرا وتتمتع بخبرة كبيرة ؛ وهكذا فإنك تستطيع أن تعلم أهلك شيئا عن حياة الرجل الأبيض ، وتساعد فى تحضرهم بعض الشىء .

ثم خاطبنى الحكمدار قائلا : دكتور .. هل من الممكن اصطحاب (كيتا) معك ؟ أعتقد أن عودته معك فى الطريق بعد غياب خمسة عشر عاما سيخفف عنه كثيرا وسيحميه من البكاء والتمزق .

جلست أنا والرقيب فى مقعد الشاحنة الأمامى بجوار السائق واحتل مساعد السائق والحارس المدنى مكانا صغيراً بالقرب من الأمصال ومواد التلقيح ، بينما وضعوا الطعام والأدوات الطبية فى الخلف ، وما هى إلا لحظات قليلة حتى بدأ الرقيب يسرد لى حياته ، جنديًا حتى أصبح رقيبًا متقاعداً ، وحين راح يحدثنى عن "مارسيليا " و "تولون" و " فريجوس " و " بيروت " كان واضحا أن (كيتا) شارد الذهن .

كان الطريق متعرجًا ومؤطرا بألواح خشبية مغطاة بالطين وقد تحولت بفعل الحرارة الشديدة إلى تراب ملوث بالزيت والشحم ؛

مما حجب عنا رؤية القردة التى تقفز علينا أثناء السير ٠٠ اكتست وجوهنا بالتراب فبدت كالقناع الأصفر وأحاط بنا الضباب الخانق ؛ وعندئذ أبصر (كيتا) زحام مرسيليا والبحر الأزرق وبنايات فرنسا الجميلة ، وعند الظهيرة وصلنا إلى نهاية الطريق حيث مدينة " مادوجو " ، ثم واصلنا مسيرتنا فوق الجياد أملاً فى الوصول إلى " دوجوبا " قبل الغروب ٠

قال (كيتا) : سأبدأ غدا فى إصلاح هذا الطريق حتى تتمكن فى المرة القادمة من قطع الطريق كله بالسيارة إلى " دوجوبا " ٠

أعلنت دقات الطبول الخفية عن اقترابنا من القرية وقبالة السماء الرمادية الشاحبة لاحت فى الأفق أكواخ وعشش كثيرة ذات لون رمادى معتم تحيطها ثلاث شجرات من النخيل ، كما امتزجت نغمات الفلوت الحادة بأصوات الطريق المتهالك عندما وصلنا إلى " دوجوبا " ، وعندئذ سألت عن عمدة القرية ٠

- دوجوتيجى ٠٠ ها هو ابنك الرقيب (كيتا) ٠

توقفت دقات الطبول وقفز (كيتا) من فوق حصانه ؛ فاستقبله العمدة العجوز بكلتا يديه وقام باحتضانه بينما راح الرجال الكبار يتحسسون ذراعيه وكتفيه ، وقامت بعض النسوة العجائز برفع اللفافة من فوق ركبته ، ثم تدفقت الدموع بغزارة فوق الوجوه السوداء المليئة بالتجاعيد والندوب ، بينما راحوا جميعا يصيحون : كيتا ٠٠ كيتا ٠٠ كيتا ٠

قال العجوز مرتجفًا : إنهم حقا رجال طيبون وكرماء ، أولئك الذين جاءوا بك اليوم ٠

كان يومًا غريبا في " دوجوبا " ولا يشبه أي يوم آخر ٠٠ إنه يوم كوتيبا أو يوم الاختبار الذى يعنى عودة شخص ما بعد أن رحل بمتاعبه وتجول بها ثم أعادها لشخص آخر .

جلس (كيتا) وسط دائرة متحركة من الناس وهو يلهث من ضربات السياط التى يختلط صوتها بنغمات الفلوت الحادة ودقات الطبول الصاخبة ، وكانت النار تضيء جسده الأسود ويصعد بريقها إلى قمة أشجار النخيل المتأرجحة بفعل رياح المساء ٠٠ إنه يوم كوتيبا أو اختبار قوة الاحتمال ومدى الإحساس بالألم ؛ فالطفل الذى يصرخ عندما يؤذى نفسه ليس سوى طفل صغير ، أما الذى يصرخ عندما يصاب بأذى فإنه لن يكون رجلاً ٠

إنها وسائل البدائيين المتوحشين نفسها التى جعلت من (تيمو كيتا) وأمثاله يواصلون السير طوال يوم كامل وهم محملّون بأعباء ثقيلة فوق رءوسهم دونما توقف حتى أصبحوا قادرين على خوض المعارك بشجاعة ٠

كنت أعتقد أننا تحررنا من هذه البدائية ، لكن شباب قريتنا لا يزال مؤمنا بالأحجية والألغاز والضرب فوق الظهور وأطراف الأصابع ، كما أن الذكريات القديمة وكلمات الأغانى التى سمعناها فى الليالى المظلمة لا تزال تحتل مكانا بارزا فى رءوسهم ٠٠ أدركت عندئذ أننا لم نحقق شيئا وتمنيت لو استطعنا التخلى عن هذه الأساليب والعادات القديمة ٠٠ دخلت الكوخ الذى أعدّوه لى ، فشممت رائحة البانكو

والصلصال والقش المتعفن الذى يقى الكوخ من الأمطار .. كانوا يدفنون موتاهم فى تلك الأكواخ ويشيرون إليهم بقرون الحيوانات المثبتة فوق الحائط ، وهكذا تسللت إلى أنفى أيضا رائحة الموتى الثلاثة المشار إليهم .

فى الصباح الباكر سارعت بالرحيل حين كانت " دوجوبا " لا تزال نائمة ومخمورة من التعب وطاسات البيرة التى كانوا يتبادلونها طوال الليل .

قال (كيتا) : إلى لقاء ، وأعدك بأن يكون الطريق ممهدة حين تعود فى المرة القادمة .

أعاقنى العمل فى القطاعات والمواقع الأخرى عن العودة إلى "دوجوبا" قبل عام كامل .. كان الوقت متأخراً والهواء ساخنا ولزجا ؛ فاخترقنا الطريق بصعوبة ووصلنا بعد رحلة شاقة غير أن الرقيب (كيتا) التزم بوعده ومهّد الطريق حتى " دوجوبا " .. احتشد الأطفال حول العربة صائحين كما يحدث فى كل القرى ؛ حتى اكتست أجسادهم الصغيرة بالتراب وتلونت بلون أبيض رمادى وبجانبهم كانت تسير الكلاب بعظامها البارزة وآذانها المقصوصة ، وكان أحد الرجال يتوسطهم مشيرا بإحدى يديه وملوحاً بذيل البقرة فى يده الأخرى .

توقفت العربة فلم أخطىء فى التعرف عليه .. إنه الرقيب (كيتا) .. نعم ، إنه (كيتا) وقد ارتدى سترة قديمة بدون أزرار وذات لون شاحب وبنطالا قطنيا قصيرا كاكى اللون يصل إلى ركبتيه ، وكان حافى القدمين يلف ساقيه ببعض الخرق القديمة ، ويضع فوق رأسه قبعة عسكرية .

– كيتا ..

تبعثر الأطفال كالعصافير صائحين : آيى .. آيى ..

لم يصافحنى (تيموكيتا) ، لكنه نظر إلى وجهى وبدا كأنه لا يعرفنى أو كأنه لم يشاهدنى من قبل ، ثم راح يحدق إلى لا شىء وسارع فجأة فى تحريك ذيل البقرة وهو يصيح بصوت أجش :

استمع إلى الأشياء

إلى صوت الحريق

استمع إلى خرير المياه

استمع إلى تأوهات الأشجار مع الرياح

إنهم الأجداد يتنفسون

قال السائق : إنه مجنون .

أصدرت له بإشارة منى أمراً بالسكوت ؛ فبدأ الرقيب يغنى بصوت غريب :

أولئك الموتى لن يذهبوا أبدا

إنهم فى الظلام الذى يجلب الضوء

وفى الظلام الباعث على الغموض

إنهم ليسوا تحت الأرض

إنهم فى ارتعاشة الأشجار

فى تأوهات الأخشاب

فى الماء الجارى

وفى الماء الساكن

إنهم فى الكوخ .. فى الزحام

الموتى ليسوا بموتى .. لم يذهبوا أبدا

إنهم بين أثداء المرأة

وفى بكاء الطفل واحتراق الأخشاب

فى أنين الصخرة ونواح العشب

إنهم فى الغابة والبيت

إن الأجداد يتنفسون ونحن مجبرون على الالتزام بقوانينهم

عاد الأطفال وتجمعوا فى دائرة حول العمدة العجوز وكبار رجال القرية .. قدمت التحية ثم سألت عما حدث للرقيب (كيتا) .

أجاب الرجال : آيى .. آيى ..

وردد الأطفال : آيى .. آيى ..

ثم قال الأب العجوز : إنه الآن ليس (كيتا) وإنما هو سارزان الذى أساء للموتى والأرواح فعاقبوه ونالوا منه .

عرفت أن والد (كيتا) أراد أن يقدم قربانًا عبارة عن دجاجة بيضاء امتنانا منه للأسلاف الذين أعادوا إليه ابنه ، لكن (كيتا) قال يومئذ : لقد عدت لأننى كنت مضطرا للعودة ، ولا شأن للأسلاف بعودتى .

كما أضاف : دع الموتى جانبا لأنهم لا يستطيعون فعل أى شىء للأحياء .

لكن العمدة العجوز لم يهتم بما سمع وقدم القربان ، فقال (كيتا) أثناء الذبح : لا فائدة من ذلك ، كما أنه من الغباء أن نقتل الدجاج ونصب دمه فى أركان الساحة .

ثم استطرد قائلا : إن الذرة والقمح والفول السودانى والبطاطا سوف تنمو وتثمر بشكل أفضل لو استخدم الفلاحون المحراث الذى أرسله لهم المدير المحلى .

عرفت أيضا أن (كيتا) قطع فروع الشجرة المقدسة وأحرقها .. تلك الشجرة التى كانوا يذبحون عندها القرابين ويعتبرونها حامية القرية والأرض المزروعة ، كما أنه فى يوم ختان الأولاد والبنات هرع الرقيب (كيتا) إلى من يقوم بعملية الختان وانتزع من تحت رأسه ريش القنفذ وذلك الريش الذى يخفى به جسده وهو يقول : وسائل البدائيين ..

أبصر فى يوم الكرنفال تلك الأقنعة المخيفة المضحكة فتذكر أن البيض يرتدون الأقنعة من أجل المتعة واللهو ، وليس من أجل تعليم أبنائهم

حكمة القدماء . وحين توجه إلى كوخه انتزع حقيبته الصغيرة المعلقة - التى تمثل بالنسبة لهم روح العائلة - وألقى بها فى الفناء بينما اتجه فى يوم آخر ناحية الخشب المقدس وحطم أوانى الذرة المغلى واللبن الحامض ، وكسر التماثيل واقتلع الأوتاد الملوثة بالدم المتجمد وريش الدجاج وهو يكرر : وسائل البدائيين .

كانت الشمس فى طريقها للغروب حين انحنى (كيتا) فوق جذع الشجرة وراح يتحدث عن العراف الذى ذبح الكلاب وقدمها قربانًا فى الصباح ، وواصل حديثه عن الكبار الذين لم يتجرأوا على سماعه وعن الصغار السائرين فى ركب الكبار وما زالوا يستمعون إليهم حتى شعر - أثناء الحديث - فجأة بوخزة فى كتفه الأيسر ؛ فمالت رأسه وزاغت عيناه وهو ينظر إلى مستمعيه ، وحين بدأ يتحدث من جديد امتلأ ركن فمه برغوة بيضاء ولم تعد الكلمات هى الكلمات نفسها .

سلبت الأرواح عقله فصاحوا بفزع : ليلة سوداء .. ليلة سوداء .

ارتعش الأطفال والنساء فى أكواخهم وقالوا مرددين : ليلة سوداء .. ليلة سوداء .

لم أستطع النوم قبل الفجر وفى الكوخ حيث يعيش الأموات ، كنت أستمع للرقيب (كيتا) وهو يروح ويجىء طوال الليل باكيا ومغنيا :

اللبن الحامض فى الطاسة

أعواد النبات الخائفة فى الكوخ

ليلة سوداء .. ليلة سوداء

أرواح متذبذبة .. تائهة ومتأوهة

تتمتم بكلمات مفقودة

كلمات تجلب الفزع

ليلة سوداء .. ليلة سوداء

النهر اليتيم يصرخ ويستنجد

بخوف الناس التائهون بلا جدوى

الخوف متربص فى الكوخ

فى المصباح المشتعل

فى النهر اليتيم

فى الغابة المتعبة

فى قلق الأشجار الشاحبة

فى الأخشاب المظلمة

ليلة سوداء .. ليلة سوداء

لم يعد يناديه أحد باسمه ؛ فلقد نالت منه الأرواح وصنع منه الأجداد رجلا آخر .. كان (تيموكيتا) قرويًا مولعا بالقرويين ، أما الذى رحل فهو سارزان .. سارزان المجنون .

فتاة سوداء

سيمبن عثمان

السنغال

كـاتـب ومـخـرج سينمـائى ، ولـد فـى السنغـال عام ١٩٢٣ .. عمل صيادا وسمكريًا وبنّاءً وميكانيكيًا قبل أن يصبح عامـلاً بأحد الموانئ ثم رئيسًا لاتحـاد العمـال .. .. كـتـب (Le Docher Noir) عـام ١٩٥٦ ، ومن أهـم أعـمـاله القـصـصـيـة والروائيـة (God´s Bits of wood) ، و (Tribal scars) ، و (The money order) ، و (The Isst of the em- pire) ، و (Xala) ، كـمـا قـام بإخـراج العديد من الأفـلام .

فى مدينة (أنتيب) عبر الريڤيرا وعند الطريق المؤدية إلى (يرمـيتاج) وقفت سيارتان خرج منهما عدد من الرجال اندفعوا إلى أسـفل الرمال ، واتجهوا صوب منزل يحمل لافته تقول (فيللا السعادة الخضراء) .

كـان أحدهم ضـابط شـرطـة والآخر طـبـيـبـًا شـرعـيًا ، ورجـلان من مـفتشى البوليس يرتديان زى الشـرطة ، ولم يـكن ثمة شىء أخضر حـول فيللا السـعـادة الخضراء سـوى اسـمـهـا لكن حـديقـة كـانت مرتبـة على الطريقة الفرنسية .

اقتـرب الضـابط من المنزل وظل يتنقل بنظراته فى كل اتجـاه حتى توقفت عيناه عند الشباك الثالث ذى الزجاج المكسور والذى يتدلى منه أحـد السلالم ، بينمـا دخل مـفـتش الشـرطة وأحـد المصـورين إلى داخل المنزل وظلوا يحـدقون بانبـهار ودهشـة إلى التمـاثيل الأفـريقيـة والأقنعة وجلود الحيوانات وبيض النعام المتناثر فوق الحائط .

امرأتان كـانتـا تبكيـان وتشبـه إحداهمـا الأخرى إلى حد كـبير .. الجبـهة المستقيمة نفسـها والأنف المنحنى ودوائر سوداء حـول العين صار لونهـا أحـمـر من البكـاء .. قـالت ذات الرداء الشـاحب : غـفـوت قليـلاً ثم مضيت إلى الحمام ؛ فوجدت الباب مغلقًا من الداخل .

استطردت وهـى تحـرك أنفـهـا : قلت لنفسـى لابد أن الخـادمـة تأخذ حـمـامًـا .. أوه ، لقـد قلت الخـادمـة رغم أننا دائمًـا كـمـا نناديهـا بـاسـمـهـا "ديوانا" .. انتظرت سـاعـة وأكـثـر لكنهـا لم تخـرج ؛ فـعـدت إلى الخلف وظللت أنادى ثـم طرقت البـاب دون جدوى ؛ فـسـارعت بـاسـتدعـاء جـارنا القبطان البـحرى .

توقفت عن الحديث ومسحت أنفها ، ثم بدأت تبكى من جديد ، بينما كانت أختها الصغرى ذات الشعر القصير جالسة ورأسها معلقٌ بيدها .

– هل أنت الذى اكتشف الجثة ؟

– نعم ، إنه أنا وذلك حين استدعتنى مـدام "بوشيـه" وأخـبـرتنى أن البنت السـوداء أغلقت على نفسـهـا الحمـام ؛ فـاعتقدت فى البداية أنها نكتة ، لكننى أحضرت السلم معى .

– أنت إذن الذى أحضرت السلّم ؟ !

– لا ، إن الآنسة "دوبوا" أخت المدام هى صاحبة الفكرة ، وما إن وصلت إلى الشباك حتى رأيت الفتاة السوداء غرقة فى الدم .

– أين مفتاح الباب ؟

قال المفتش : ها هو يا سيدى .

– أردت فقط أن أراه .

قال المفتش الآخر : لقد تفحصت الشباك .

وقال رجل البحرية المتقاعد : أنا الذى فتحته بعد أن كسرت الزجاج .

– أى زجاج تقصد ؟

أجابت الأخت : الثانى من أعلى .

لفو الجثة فى بطانية ووضعوها فوق النقالة ، وكانت قطرات من الدم تتساقط من الجثة ، وحين رفع الضابط البطانية قليلاً أصابه العبوس لما شاهد رقبة الفتاة السوداء مقطوعة من أحد أذنيها إلى الأخرى .

قال أحدهم من فوق السلالم : بهذه السكين .. سكين المطبخ .

– هل جاءت معكم من أفريقيا أو أنكم استأجرتموها هنا ؟

- جاءت معنا عندما عدنا فى أبريل الماضى ، لكنها حضرت بطريق البحر ؛ لأن زوجى يعمل فى البحرية الجوية فى داكار والشركة لا تدفع تذاكر الطيران إلا للعائلة .. لقد عملت عندنا فى داكار لمدة عامين ونصف وربما ثلاثة أعوام .

- كم عمرها ؟

- لا أعرف بالضبط .

- يقول جواز سفرها إنها من مواليد ....

- أوه .. إن الأفارقة لا يعرفون متى يولدون .

تقدم الضابط البحرى ويداه فى جيبه ثم قال : لا أعرف سببًا لقتل نفسها فقد كنا نعاملها معاملة حسنة ، وكانت تشاركنا الطعام نفسه ، الحجرات نفسها ، تمامًا مثل أولادى .

- أين زوجك ؟

- ذهب إلى باريس أول أمس .

قال المفتش وهو يتطلّع إلى الحلى الصغيرة : ولماذا تعتقدون أنها حالة انتحار ؟

أجاب الضابط المتقاعد : لماذا نعتقد ؟ ! .. كيف لأحد أن يحاول قتل فتاة زنجية ؟ إنها لا تخرج أبدًا ولا تعرف أحدًا سوى أطفال المدام

شعروا بأن الأمر لا يستدعى كل ذلك ؛ فأصابهم الملل ؛ إذ إن انتحار خادمة لا يعادل كومة من الفول .

– لا بد أنه حنين العودة للوطن فقد أصبحت تصرفاتها فى الأيام الأخيرة غريبة جداً على غير العادة .

صعد الضابط السلالم بصحبة أحد المفتشين ، وقاما بفحص الحمام والشباك .

قال المفتش : شىء ما فى هذه الحكاية .

كان الآخرون ينتظرون فى حجرة المعيشة وبعد ساعة من الوصول خرج المفتش مع الضابط وقال : سنخبرك بنتيجة التحقيق .

انطلقوا بسياراتهم وفى فيللا السعادة الخضراء ظلت المرأتان وضابط البحرية المتقاعد فى حالة من الصمت بينما راحت مدام "بوشيه" تتذكر فيللتها الأنيقة فى أفريقيا و "ديوانا" وهى تدفع البوابة الحديدية مشيرة إلى راعى الغنم الألمانى أن يتوقف عن الصياح .. هناك فى أفريقيا حيث بدأ كل شىء حين كانت "ديوانا" تسير ستة كيلو مترات على قدميها ثلاث مرات فى الأسبوع ، وكانت تفعل ذلك فى الشهر الأخير بسعادة وقلبها يدق وكأنها أسيرة حب ما للمرة الأولى حتى إن المسافة أصبحت قصيرة بالنسبة لها حين أعلنت المدام نبأ سفرها إلى فرنسا .

– فرنسا !! .. هكذا صاحت "ديوانا" فأصبح كل ما حولها قبيحًا بما في ذلك تلك الفيللات الرائعة التي كانت تثير أعجابها .. أصبح لزامًا عليها أن تستخرج بطاقة شخصية فجمعت كل مدخراتها الزهيدة لهذا الغرض وهي تفكر قائلة : إنني في طريقي إلى فرنسا !

كانت المدام واقفة تحمل بين يديها قائمة جرد الأمتعة حين قالت : أترغبين في رؤية والديك ؟ وهل تعتقدين أنهما سيفرحان ؟

– نعم مدام ، كل العائلة وافقت .. لقد أخبرت ماما بنفسي وأيضًا بابا "بوتوبا" .

كان وجهها متلالئا بالسعادة ومثبتا باتجاه الحوائط الفارغة ، ثم بدا عليها الذبول فجأة واضطربت ضربات قلبها وهي تقول : لو غيرت المدام رأيها لأصابني المرض ، لكنني سأتوسل إليها كثيراً .

أصبح وجه "ديوانا" الأسود الأبنوسي كئيبًا وهي تخفض عينيها فقالت المدام : هل ستغيرين رأيك في اللحظة الأخيرة ؟

– لا ، مدام إني ذاهبة .

كانت "ديوانا" تحلم برؤية فرنسا ذلك البلد الجميل الغني ومشاهدة متع الحياة التي كثيراً ما سمعت عنها ، ثم العودة إلى بلدها منتصرة ومعها الكثير من النقود والهدايا لكل شخص .. كانت "ديوانا" تحلم بحرية الذهاب إلى حيث تريد دون اضطرار للعمل الشاق ؛ ولذلك فإن المرض سيصيبها حتمًا إذا تراجعت المدام عن رأيها ، لكن المدام تذكرت الإجازات الثلاثة الماضية التي أنجبت خلالها طفلين حيث راتب الخادمة

فى فرنسا مرتفع ، كما أن الخادمة فى فرنسا ترد على المدام واحد بواحدة ولا تستطيع البقاء طويلاً ؛ مما جعل المدام تقوم بدور الأم ؛ ولم تستطع بالتالى أن تقضى إجازة حقيقية فلجأت إلى إغراء زوجها بالعودة إلى أفريقيا ؛ حيث نشرت إعلانا فى كل الصحف ووقع اختيارها على "ديوانا" القادمة لتوها من بلدها والتى استمرت فى عملها ثلاث سنوات أنجبت المدام خلالها طفلين آخرين .

عندما فكرت المدام فى إجازتها القادمة راحت تغنى ، ثم نظرت إلى "ديوانا" وقالت لها : هل قدمت بطاقتك للسيد ؟

– نعم ، مدام .

– عودى إلى عملك وأخبرى الطباخ أن يقدم لكم وجبة جيدة .

– شكراً مدام .

انطلقت "ديوانا" إلى المطبخ بينما ظلت المدام تعيد ترتيب وجرد الأشياء .

أثناء وقت الظهيرة أعلن نباح الكلب عن قدوم السيد الذى هبط من سيارته البيجو ، فسألته المدام بعصبية : ألم يأت رجال العفش بعد ؟

– سيأتون فى الثانية إلا ربعا .. ماذا عن "ديوانا" ؟

ذهب أكبر الأطفال لاستدعائها فجاءت مسرعة وقالت : نعم ، مدام .

– إن السيد هو الذى يريدك .

– شىء جميل ، ها هى تذكرتك وبطاقتك .

مدت "ديوانا" يدها لتناول التذكرة والبطاقة ، لكن السيد قال لها : احتفظى بالبطاقة فقط وسأعتنى أنا بالتذكرة .. إن الدوبن يعودن فى السفينة نفسها وسوف يهتمون بك ، فهل أنت سعيدة بالذهاب إلى فرنسا ؟

– نعم ، سيدى .

– أين حقائبك إذن ؟

– فى شارع اسكارفيه يا سيدى .

– بعد أن أتناول غذائى سأذهب بالسيارة لإحضار حقائبك .

قالت المدام : احضرى الأطفال من الخارج يا "ديوانا" ؛ فقد حان وقت راحتهم .

– حاضر ، مدام .

لم تكن "ديوانا" جائعة ، وكان مساعد الطباخ الذى يصغرها بعامين حزينًا لأنه سيفقد عمله برحيلهم ؛ مما جعله يشعر باستياء شديد نحو الخادمة التى كانت مستندة إلى الشباك الكبير المؤدى للبحر تراقب الطيور المحلّقة فى المدى الفسيح من اللون الأزرق .

ظلت "ديوانا" تقلّب بطاقتها من جهة إلى أخرى وهى تبتسم فى هدوء ، ولم تكن سعيدة بعدم جمال الصورة ، لكنها قالت : لا يهم .. إننى مسافرة .

قال السيد للطباخ : إن الطعام فاخر اليوم ، لقد تفوقت على نفسك ، والمدام مسرورة بك جداً .

وقف مساعد الطباخ مشدوداً فى انتباه وراح "سامبا" الطباخ يسوى من قبعته البيضاء ويقول وهو يحاول أن يبتسم : أشكرك جداً سيدى وأنا أيضاً مسرور جداً مادام السيد والمدام سعيدين .. أنت سيد لطيف جداً لكن عائلتى كبيرة وغير سعيدة ، وعندما ترحل يا سيدى لن أجد عملاً آخر .

– سنعود أيها الرجل الطيب ، كما أنك قادر بموهبتك أن تجد عملاً آخر فى وقت قصير .

ذهب السيد والسيدة فسارع "سامبا" يصفع "ديوانا" التى بادلته بصفعة أخرى وهى غاضبة ؛ فقال "سامبا" : ستسافرون اليوم ولن نتشاجر مرة أخرى .

قالت "ديوانا" : لكن ذلك مؤلم .

كان "سامبا" يشك بوجود علاقة سرية بين الخادمة وسيدها فقال : والسيد ! .. ألا يؤلمك أيضاً ؟ هيا اذهبى فهم ينادون عليك ، كما أننى أسمع محرك السيارة .

غادرت "ديوانا" دون وداع ، ثم انطلقت السيارة فى الطريق السريع فأثارت نظرات "ديوانا" إعجاب المارة لكنها لم تجرؤ على التلويح بيديها أو الصياح قائلة : إننى فى طريقى إلى فرنسا !! نعم ، فرنسا !!

توقفت السيارة فى شارع اسكارفيه أمام مقهى مشبوه مجاور لمنزلها المتواضع ، وكان بعض الزبائن جالسين يتحدثون فوق الرصيف .

قال "تايف كوريا" : هل سترحلين اليوم أيتها الصغيرة ؟

كانت ملابسه بالية وقد حاول أن يتماسك وهو يزحزح قدميه ويمسك بالزجاجة من عنقها ، فلم تجد "ديوانا" ما تقوله لذلك المخمور الذى عاد إلى وطنه بعد عشرين عامًا أمضاها فى أوروبا .. كان "تايف كوريا" شابًا متألقًا وطموحًا عندما رحل من بلده ، لكنه عاد مهزمًا وخربًا ولا يملك شيئًا سوى حبه للشراب .

عندما سألته "ديوانا" النصيحة أجابها بعدم جدوى سفرها وتنبأ لها بسوء الحظ وعدم التوفيق ثم تقدم بضع خطوات ناحية السيد وهو ممسك بالزجاجة بين يديه وخاطبه قائلاً : هل حقًا سترحل " ديوانا" معك ؟

لم يجب السيد وأشعل سيجارة ظل ينفث دخانها من باب السيارة وهو يحدق فى "تايف كوريا" من رأسة إلى أصابع قدميه قائلاً لنفسه : ياله من سكير متشرد بملابس متشحمة ورائحة نبيذ كريهة .

انحنى "كوريا" ووضع يديه فوق باب السيارة ثم قال بفخر : لقد كنت هناك وعشت عشرين عامًا فى فرنسا .. نعم ، فأنا أعرف فرنسا أكثر مما تعرفها أنت رغم ما ترانى عليه ، لقد عشت فى تولون أثناء الحرب وأنا لا أريدها أن تذهب معك .

أجاب السيد بجفاف : لم يجبرها أحد على الذهاب وإنما هى التى تريد .

– بالتأكيد لأن كل شاب أفريقى يحلم بالذهاب إلى فرنسا ، لكنهم سرعان ما يضيقون بالحياة هناك لأنهم يعملون كخدم .. أنتم تقولون إن الضوء هو الذى يجذب الفراشة ، لكننا هنا فى بلدى (كازامانس) نقول إن الظلام هو الذى يغرى الفراشة .

عادت "ديوانا" وحولها عدد من النسوة كن يغنين وكل واحدة منهن تتوسل إليها فى طلب تذكار صغير فقالت إحداهن : تذكرى فستانى .

– وأحذية الأطفال ، لقد أعطيتك المقاسات .. تذكرى أيضاً ماكينة الخياطة الأزرار الكبيرة مقاس ٤٤.

– لا تنس إرسال بعض النقود إلى أمك فى (بوتويا) .

هكذا انهالت عليها الطلبات ، وكان وجهها مشعًا فتناول "كوريا" الحقيبة ووضعها فى السيارة بهدوء ، ثم قال : اتركنها تذهب يا بنات ؛ فهل تعتقدن أن النقود تنمو فوق الأشجار فى فرنسا ؟ على أية حال سوف تخبركم بالكثير بعد عودتها .

ثم خاطب "ديوانا" قائلاً : وداعا يا ابنة العم الصغيرة ، اهتمى بنفسك واكتبى لابن عمك فى تولون فور وصولك كى يساعدك ، تعالى وقبلينى .

شعر السيد بالملل فأدار محرك السيارة ، وفى الميناء كان الأقارب والأصدقاء أيضًا يحومون حولها حتى ركبت "ديوانا" السفينة تحت رعاية السيد .

كانت حصيرة من الماء تحيط السفينة من كل اتجاه ، وكان السيد فى انتظارها بعد مضى أسبوع فى عرض البحر وبعد انتهاء الإجراءات مضوا فى طريقهم مسرعين .

أصابت "ديوانا" الدهشة وهى تحدّق فى كل شىء وأبصرت كل الأشياء جميلة ؛ حتى غدت أفريقيا فى نظرها قطعة أرض قذرة بالنسبة ما ترى .. المدن ، الأتوبيسات ، القطارات وعربات النقل .

- هل كانت الرحلة بعربات النقل ؟

- نعم ، سيدى . (هكذا كانت ستجيب إذا سألها السيد) .

وصلوا إلى (أنتيب) بعد ساعتين داخل السيارة ، ومضت الأيام والأسابيع والشهر الأول والثانى ، لكن "ديوانا" لم تعد هى تلك الفتاة الصغيرة المرحة ذات الابتسامة العذبة المتدفقة بالحياة ، بدأت عيناها تتقعران وأصبحت نظراتها خالية من الاشتياق واليقظة حتى إنها لم تعد تلحظ التفاصيل أو تهتم بها ، فلقد أصبح لزامًا عليها أن تقوم بأعمال أكثر مما كانت تقوم به فى أفريقيا ؛ وهكذا لم تعرف فرنسا الجميلة ولم تر شيئًا منها سوى بعض المشاهدات السريعة كالحدائق الفرنسية وأسوار الفيلّلات الأخرى وقمم الأسطح التى يمكن رؤيتها من فوق الأشجار الخضراء .

كانت المدام عند خروجها مع السيد تقول : اهتمى جيداً بالأطفال واعملى على سعادتهم .

وكان الأطفال الأربعة يلعبون معها لعبة المافيا ويتفننون فى اضطهادها ، حتى إن الولد الكبير صفعها ذات مرة بعد أن سمع كثيراً من الجمل والعبارات عن الضرر العنصرى خلال محادثات ماما وبابا والجيران العائدين من أفريقيا ، كما بالغ الولد فى ملاحظاته إلى أقرانه حتى أصبحوا يغنون قائلين : بنت سوداء .. بنت سوداء .. سوداء كمنتصف الليل .

تلاشت أحلام "ديوانا" القديمة وتعبت كثيراً من العمل الشاق المتلاحق ؛ فأصبحت تنام فى الليل مثل الخشب لا تكاد تحس شيئًا .

امتلأ قلبها بالحقد وأصابها الملل ، فأين هى فرنسا وأين تلك المدن الجميلة التى تشاهدها على شاشة السينما فى (داكار) ؟ أين الطعام النادر وذلك الزحام المثير ؟ .. لم تعد فرنسا بالنسبة لها سوى السيد والمدام وأخت المدام ، وأصبحت المدينة بأسرها ليست سوى ما يحيط بالفيلا ، بالإضافة إلى شعورها بالرعب من لون بشرتها الأسود الذى جعلها تتقهقر بخجل داخل نفسها ، كما لم تجد "ديوانا" من تتبادل معه الأفكار والحكايات ؛ فأصبحت وحيدة تماماً تثرثر مع نفسها .

قالت لها المدام ذات يوم : سنذهب غداً إلى (كان) أى إن أبى وأمى يرغبان فى تذوق الطعام الأفريقى .. سوف تصنعين لنا يا "ديوانا" ذلك الطعام الأفريقى الجميل .

- نعم ، مدام .

- أرسلت فى طلب بعض الأرز ودجاجتين ، يجب ألا تكثرى من التوابل .

(نعم ، مدام .. نعم ، مدام) هكذا كانت دائمًا تجيب دون زيادة أو نقصان فقد كان قلبها متحجراً .. كانت هذه هى إحدى المرات الكثيرة جداً التى تنتقل فيها من فيللا إلى أخرى ومن منزل إلى آخر دون أن تتوقف من عمل كل شىء وأى شىء .

- هذه المرة فى منزل أبى وأمى يجب أن تتفوقى على نفسك .

- نعم ، مدام .

عادت "ديوانا" للمطبخ وهى تفكر فى تظاهر المدام بالطيبة والرقة فسئمت كل شىء ، وراحت تستعيد أيامها فى (داكار) حين كانت تجمع مخلفات السيد والمدام وتذهب بها إلى منزلها فى شارع (اسكارفيه) وحين كانت تتباهى بعملها مع البيض ، أما الآن فهى وحيدة تماماً .. وحيدة وقانطة وتشعر بالرغبة فى القىء من طعامهم ، ولم تعد تربطها بهم أية علاقة سوى تلك التى تخص طبيعة العمل .

- "ديوانا" هل ستقومين بالغسيل اليوم ؟

- نعم ، مدام .

- لاحظى أنك لم تقومى بتنظيف قمصانى الداخلية جيداً فى المرة السابقة ، كما أنك أتلفت ياقات قمصان السيد ؛ لأن المكواة كانت ساخنة جداً .

- نعم ، مدام .

- أوه ، نسيت أن أخبرك أن قمصان السيد وبنطلوناته القصيرة بها بعض الأزرار الناقصة .

كانت "ديوانا" تفعل كل شيء وفجأة تقوقعت داخل نفسها واختارت نوعًا من الحبس الانفرادى ، وبعد لحظات طويلة من التأمل الفريد عرفت أنها ليست سوى كائن مفيد للآخرين .

كانت تسمع السيد أو المدام فى الحفلات وهما يبديان ملاحظاتهما حول سيكولوجية تلك الشعوب وأبناء البلد منهم ، وكانا يتخذان من "ديوانا" مثالاً فيضيف بعض الضيوف : إنها بنت سوداء ذات جراب مثل بعض الحيوانات .

بدأ الشهر الرابع وكان كل شيء يشير إلى الأسوأ ، وراحت "ديوانا" تتساءل عن فرنسا الجميلة التى لم تعرفها حتى الآن وتقول لنفسها : إننى أقوم بطهى الطعام وأعمال التمريض والغسيل والكّى وترتيب الحجرات مقابل ثلاثة آلاف فرنك فى الشهر فقط .. إننى أخدم ستة أفراد .. ما هذا الذى أفعله هنا ؟

غرقت "ديوانا" فى ذكرياتها وعقدت مقاونة بين شجيرات بلدها وتلك الشجيرات الميتة وبين ما تراه هنا وما تراه فى وطنها (كازامانس) ، ثم فقدت تدريجيًا كل صلة بالآخرين وأطبقت شفتيها أسفا على اليوم الذى جاءت فيه ، ومضت تسبح فى شريط من الذكريات ؛ حتى انهالت فوق رأسها آلاف من التفاصيل الأخرى .

ذات مساء كان السيد جالسًا يشاهد التليفزيون فطافت بشفتيها ابتسامة خفيفة وقررت التمتع بالمشاهدة ، لكنها أبصرت المدام إلى جوار السيد ؛ فسارعت بمغادرة الحجرة وهى تردد : باع .. باع .. اشترى .. اشترى ، لقد قاموا بشرائى مقابل ثلاثة ألف من الفرنكات .. لقد غرروا بى وقيدونى بهم وها أنذا كالعبيد .

فتحت "ديوانا" حقيبتها وألقت نظرة إلى الأشياء بداخلها ، ثم بكت لكن أحدًا لم يتهم بها ، وكذا لم تشأ هى أن توضح شيئًا عن مشاعرها للآخرين .

اعتادت أخت المدام أن تنادى عليها دائمًا نحو مزيد من الطلبات فتزداد "ديوانا" غضبًا لأنها أكثر كسلاً من المدام .

– تعالى وابعدى هذا من هنا ، لديك كثير من العمل يا دونا .. لماذا لم تفعلى هذا يا دونا ؟ عليك من الآن فصاعدًا أن تجرفى الحديقة .

كانت "ديوانا" تجيب بنظرة غاضبة متعمدة من عينيها .

سألها السيد ذات يوم بعد أن تقدمت المدام إليه بالشكوى منها : ماذا حدث لك يا "ديوانا" ؟ هل أنت مريضة أو أنك تعانين شيئًا ما ؟

لكن "ديوانا" لم تعد تفتح فمها .

– هل ترغبين فى الذهاب إلى تولون ؟ إن وقتى لم يكن يسمح بذلك لكننى غدًا سأصحبك إلى هناك .

بعد ثلاثة أيام وبعد عودة "ديوانا" من جولة السوق الصباحية اتجهت للحمّام وكلمات مدام "بوشيه" تخترق أذنيها : "ديوانا" .. "ديوانا" ، أنت قذرة رغم كل شيء .. يجب أن تنظفى الحمام بعد الانتهاء منه .

– لست أنا مدام .. إنهم الأطفال .

– الأطفال يتمتعون بالنظافة ، لكنك أنت التى سئمت منهم ، ولتعرفى أننى لا أحتمل أن تكذبى مثل أولاد بلدك فأنا لا أحب الكذابين وأنت كاذبة !!

ظلت "يوانا" صامتة لكن شفتيها كانتا ترتعشان ، ثم صعدت السلالم إلى الحمام وخلعت ملابسها حيث وجدوها ميتة .

أعلن المحققون : حالة انتحار !!

ثم حفظت القضية !

فى اليوم التالى وفى العمود السادس من الصفحة الرابعة من الجريدة كان العنوان صغيراً ومن العسير ملاحظته : (فتاة أفريقية يغمرها شوق العودة إلى وطنها تقطع رقبتها فى مدينة أنتيب) .

المرأة المتزوجة حقًّا

أبيوسيه نيقول

سيراليون

ولد أبيوسيه نيقول فى سيراليون ، وتلقى تعليمه فى نيچيريا و إنجلترا ، درس الطب فى جامعات لندن وكامبريدج ، وعمل سفيراً لبلاده فى الأمم المتحدة ، يلقبونه فى دوائر الأدب الأفريقى بصانع القصة القصيرة الماهر .. نشر العديد من المقالات والقصص القصيرة فى طبعات أفريقية وإنجليزية وأمريكية ، وفى العام ١٩٥٢ حصل على ميدالية وجائزة مارجريت فى الأدب الأفريقى .

تحرك " أجايى " قليلا ثم نهض مصوبا بصره باتجاه الساعة الرخيصة فوق المقعد المجاور للسرير.. كانت تمام السادسة والربع والضوء قد بدأ يتسلل من الخارج كما بدأت المدينة الأفريقية فى الاستيقاظ ببطء لمواجهة الحياة وبداية يوم جديد .. صاحت الديكة فنهض حراس الليل من نومهم ، وراحوا يدقون فوق أقفال المخازن والمنازل لتأكيد وجودهم وكفاءتهم لمستخدميهم إذا ما كانوا بالقرب منهم .

كانت نساء القرية فى طريقهن إلى السوق عبر الشوارع حاملات بضائعهن وهن يتبادلن الأحاديث .

تناول " أجايى " فنجان الشاى الصباحى الذى كان خفيفا وحلوا وبدون حليب كما يفضله دائما ، ثم نهض بصعوبة نحو الشباك حيث توقف ليأخذ نفسا عميقا ست مرات متتالية كما يفعل كل يوم تجنبا لمرض السل ، وبعد ذلك مشى فوق الأرض المتداعية قاصدا الحوض الخارجى لتناول حمام سريع .. صب الماء فوق رأسه بعلبة كان يجرف بها الماء من الدلو بينما كانت زوجته " آيو " - فى الوقت نفسه - تعد له الإفطار بصعوبة .

كان يقول لأصدقائه المقربين إن " آيو " سيدة طيبة .. عاشا معا اثنى عشر عاما أنجبت له خلالها ثلاثة أطفال ، وهى امرأة صبورة وجميلة ذات عينين واسعتين وبشرة سوداء وأسنان ناصعة البياض ، ودائما ما تضفر شعرها بعناية .

لجأت إليه " آيو " أول الأمر وهى ساخطة من أهلها فعقد العزم على الزواج منها فور أن تبين علامات الرضا ، وفى العام الأول كتبت له عن تفاصيل احتفالات الزواج العظيمة التى تتصف بالبذخ وعن زواج صديقاتها ، وأنها تتطلع إليه بعيون ملؤها الأمل ، لكنه لعن ذلك البذخ وحب التظاهر وما هو إلا وقت قليل حتى توقفت عن محاولاتها وغادرت المنزل لتعيش مع " أجايى " فانقطعت صلتها بأبيها الذى لم يتحدث إليها أبدا ، غير أن أمها ظلت تزورها سرا ، ولم تنس أبدا حضور طقوس تعميد أطفالها الثلاثة .

طالبت الكنيسة بمزيد من الردع لأولئك الآباء والأمهات الذين ينجبون أطفالا غير شرعيين ؛ فقررت غرامة قدرها دولارين بدلا من خمسين سنتا ، ولم يعترض أحد فقد كان القس يعظ الناس ويحرضهم بشدة ضد الفسق والزنا وتعدد الزوجات وأولئك الذين يعيشون معا دون زواج ، وكان كل من " أجايي " و " آيو " من المترددين على الكنيسة بانتظام ، لكنهما كانا يجلسان متباعدين ، وكان الأصدقاء متعاطفين معهما ومع الحالات الأخرى المشابهة .

تذمر الأعضاء الذكور من المصلين وحين اجتمعوا عرفوا أن متاعب الكنيسة تتجلى فى انحرافها عن الأخذ بتعاليم الإنجيل وتدخلها فى حياة الناس الخاصة ، فانقطع " أجايي " عن الذهاب للكنيسة لأسابيع قليلة ، لكنه عاد مرة أخرى يتردد عليها دون انقطاع ؛ لأنه يحب التراتيل ويعرف بينه وبين نفسه أن القس على حق .

كانت " آيو " سيدة طيبة وكان والدها يحلم بزواجها من أحد المدرسين فى المدارس العليا أو أحد الصيادلة ، لكنها ارتبطت بكاتب الحكومة الأقل شأنًا والذى تحبه وتشعر بسعادة معه ؛ فهى تجهز له الطعام وتنجب له الأطفال ، كما أنها تملك الوقت لشراء حاجاتها وزيارة الأصدقاء والثرثرة مع جارتها " أومو " فى الباب المجاور .

مضى " أجايي " مسرعا نحو حجرة النوم والفوطة حول خصره وراح يجفف نفسه بسرعة ، ثم ارتدى بذلته القرنفلية بعناية وهو يتناول جرعة من الدواء الذى أوصى به صديقه الموظف فى مخزن العقاقير ..

كان " أجايى " يعتقد فى أثر هذا الدواء فأصبح لزاما عليه تناول بعض الجرعات منه ؛ خاصة بعد أن قرأ النشرة وعرف أنه يجلب الشفاء لعشرين حالة مختلفة من حالات المرض إذا واظب المريض على تناوله كل يوم ٠

فكر" أجايى " فى الأمراض التى يعانى منها أو على وشك الإصابة بها : صداع الرأس ، وآلام العضلات ، والضعف العام ، والحمى ، ومرض اليرقان والرعشة الشللية ، ثم استبعد – بذكاء وشجاعة – تلك الأمراض المتعلقة بالنساء مثل الهزال العصبى وآلام المثانة ، ولأنه لا يتذكر وجوب تناول ما يعادل ملعقة شاى من الدواء ثلاث مرات يوميا كما تقول النشرة ؛ فقد قرر أن يتناول جرعة كبيرة تعادل المرات الثلاث . رشف رشفتين كبيرتين وكان الدواء قابضا ؛ فتغيرت ملامح وجهه ، غير أنه كان راضيا وهو يقول لنفسه : من الواضح أنه دواء جيد وقوى وإلا لما كان مرا هكذا ٠

جلس لتناول الإفطار وراح يلتهم الذرة والعصيدة والفول المحمر والكاكاو وسرعان ما أجهز على كل شىء ، ثم توجه ناحية ابنه الكبير ذى العشرة أعوام وقام بجلده جلدات قوية لأنه بلّل فراشه الليلة الفائتة ٠٠ هرع الولد إلى الفناء الخلفى وهو يصرخ فجاءت " آيو " وقالت : أنت تضرب هذا الولد كثيرا ٠

أجاب : يجب أن يكف عن التبول وهو نائم ٠٠ إنه ولد كبير ، وأعتقد أنه لا يحق لأحد أن يدلنى على الطريقة التى أعامل بها ابنى ٠

قالت " آيو " : إنه أيضاً ابنى ٠

(لم تكن تعترضه إلا إذا كانت تشعر بقوة ما تعترض بشأنه)

ثم استطردت : إن ضربه كل مرة لن يجعله يكف عن ذلك الفعل ؛ ففى الحقيقة أنه يتبول الآن أكثر وأكثر ، وأعتقد أنك لو توقفت عن جلده سيكون أفضل ٠

سأل " أجايى " : وهل أجلده ليفعلها من جديد ؟

- لا ٠

- وهل سيكف عن التبول إذا توقفت عن ضربه ؟

- إن " بيمبولا " إحدى نساء مدينتنا والعائدة توا من إنجلترا وأمريكا – حيث درست التمريض – أخبرتنا فى اجتماع النساء أنه من الخطأ معاقبة الأطفال على مثل هذه الأفعال ٠

قال وهو يلتقط خوزة الشمس : حسنا ، سوف أرى ٠

ظل طوال اليوم فى المكتب يفكر فى اجتماع النساء وأشياء أخرى ٠٠ إن " آيو " تحضر اجتماعات النساء ، أوه ، ماذا تعرف ؟ لابد أنها تهرع بعد ذلك إلى مجلس المدينة ٠٠ يا لها من امرأة خبيثة !! إنها تنظر بهدوء ووداعة ، ثم تستشهد بنظريات حديثة مما يقوله أطباء ما وراء البحار ٠٠ ابتسم بفخر وقال لنفسه : إن " آيو " – فى الحقيقة – شىء نافع ، فقد يكون من الخطأ ضرب الولد ٠

قرر ألا يضربه مرة ثانية .

قبل انتهاء العمل بقليل أرسل رئيس الكتبة فى طلبه فتساءل بينه وبين نفسه عن الخطأ الذى ارتكبه فى ذلك اليوم أو عن المهمة التى سيكلفونه بها ، ثم أسرع إلى المكتب الأمامى فإذا بثلاثة من الرجال البيض جالسين فوق مقاعدهم بجوار الرئيس الأفريقى الذى كان جالساً باحترام زائد عن الحد .

بدأ قلب " أجايى " يدق بشدة وفكر قائلاً : الشرطة !! ياالله .. ماذا فعلت ؟

قال الرئيس بطريقة رسمية : السيد " أجايى " ، هؤلاء السادة يسألون عنك .

بدأ الرجل الطويل بالقول : سعداء بلقائك يا سيد " أجايى " ، نحن نمثل الاتحاد العالمى للمدافعين عن الإنجيل ؛ أى أننا جماعة المبشرين من (مينيسوتا) .. اسمى " جوناثان أولن " .

تقدم " أجايى " للمصافحة ، وقام الاثنان الآخران بتعريف أنفسهما .

ـ لقد عبرت عن رغبتك فى الانضمام إلينا منذ عام مضى ، ولأننا لا ننسى فقد فكرنا – ونحن فى طريقنا للهند – أن نعيد النظر بشأنك .

(قيل إن أولئك المبشرين الثلاثة كانوا فى طريقهم حين توقفت سفينتهم فى أفريقيا لساعات قليلة من أجل التزود بالوقود) .

نظر رئيس الكتبة إلى " أجايي " باحترام غير عادى بينما كان " أجايي " يحاول جاهدا أن يتذكر الصلة التى تربطه بجماعة المبشرين هذه ، وما هى إلا لحظات قليلة حتى تذكر فجأة أنه قد حصل منذ مدة طويلة على مجلة من شخص ما يعمل فى هيئة الاستعلامات الأمريكية وقطع منها قسيمة ثم أرسلها إلى جماعة المبشرين سائلاً إياهم عن بعض المعلومات وتمنى لو أرسلو له بعض الأناجيل المزينة بالصور ؛ إذ يمكنه أن يقدمها هدية أو يقوم ببيعها ، كما تمنى أن يرسلوا له - على الأقل - تلك الصور الكبيرة ذات الإطارات ليزين بها الردهة أو يلصقها فوق حائط حجرة النوم ، لكن شيئا من ذلك لم يحدث ؛ فنسى الموضوع تماماً .

قام بدعوتهم إلى منزله بصحبة الرئيس لتناول شراب بارد فوافقوا جميعا ، ثم قال محذرا : إن منزلى متواضع .

أجاب " أولسن " : ليس متواضعاً ، إنه مضىء بحب المسيحية .

قال رئيس الكتبة بجفاف : إنه كذلك بالفعل.. فلتطمئنوا .

اقترح " أولسن " أن يذهبوا بالسيارة ، لكن " أجايي " اعترض بلباقة ، وقال : إن الطريق غير ممهدة .

ثم همس بسرعة لأحد الكتبة التابعين له أن يسرع بالذهاب إلى المنزل على الدراجة لإخبار " آيو " أنه قادم مع بعض الرجال البيض خلال نصف ساعة ، وعليها أن تقوم بتنظيف المنزل وتجهيز عصير الفاكهة .

ارتبكت " آيو " لمضمون الرسالة فهى تعرف عن يقين أن كل الرجال البيض لا يشربون سوى الويسكى والبيرة المثلجة ، لكن الرسول أزاح عنها ارتباكها حين أخبرها أنهم نوع من الناس لا تربطهم أية صداقة ، وتبدو على هيئتهم مظاهر التقوى والورع ؛ مما جعله يشك أنهم جماعة من المبشرين ، وكان سيرهم على الأقدام بدلا من ركوب السيارة هو ما أكد لديه هذا الإحساس ٠٠ فهمت " آيو " وبدأت على الفور فى العمل ٠

كان " أوجو " قد انتهى من فضيحة التبول الصباحية فوضعت "آيو" السلة فوق رأسه وأرسلته لشراء بعض المشروبات الخفيفة ، ثم راحت تنظف الحائط وتنزع الرزنامة المليئة بالصور ، وتثبت صور الأسرة التى سقطت فوق المائدة ، وتذكرت ضرورة أن تبعد عن مرمى النظر تلك الروايات الغريبة والمجلات الرومانسية التى تملأ الصالة وحرصت على إظهار نشرة الحج وكتاب الصلاة وهى تفكر أن ذلك يضيف قدراً من الثقافة ذا لمحة دينية إلى الديكور ٠٠ تذكرت كئوس الخمر ومفارش إعلانات البيرة فسارعت بإخفائها تحت الأريكة وفكرت أنه الوقت المناسب لارتداء فستان يوم الأحد ، وعندما يصل " أجايى " والضيوف يمكنها استعارة خاتم الزفاف من جارتها ٠

لم يستطع رئيس الكتبة إخفاء دهشته عندما شاهد ذلك التغيير فى الحجرة التى زارها من قبل ، ولما أبصر فستان " آيو " وخاتمها حاول إخفاء شعوره بسرعة ٠٠ تقدمت " آيو " وتعرفت عليهم ثم تبادلوا حديثا قليلا بالإنجليزية ؛ مما بعث السرور فى نفس " أجايى " ٠٠ ارتدى

الأطفال ثياب يوم الأحد ، وكانت وجوههم نظيفة وشعورهم مصففة ؛ فشعر " أولسن " بالسرور وأصر على التقاط بعض الصور لصحيفة التبشير .

كانت " آيو " تقدم الشراب ثم تتراجع بتواضع تاركة الرجال يتناقشون فى الأمور المهمة ، وكان " أولسن " يتحدث بحماس عن القدوم الوشيك للمسيح الثانى وعن محاولة تقديم " أجايى " وتعيينه فى الكنيسة .

انتهت الزيارة وسارع المبشرون بالرحيل للحاق بسفينتهم ، وبعد ذلك توقف الرئيس عن توجيه الأوامر إلى " أجايى " ، والتى كانت تزداد مع الوقت .

فى اليوم التالى توجه " أجايى " إلى مكتب الرئيس حاملا بين يديه زجاجة من البيرة كهدية لمساعدة الرئيس له فى هذه المناسبة خاصة وأنهما تناقشا بود وفى جو من التكافؤ ؛ حتى إنهما أثارا اهتمام الرجال البيض .

بعد ذلك الحدث واحتجاج " آيو " على ضرب الولد ظل يفكر بجدية طوال أسبوع كامل ، ثم قرر فى النهاية أن يتزوج " آيو " ، وكانت الصور التى التقطها " أولسن " لمجلته عاملا مساعدا فى اتخاذ قراره .. يجب أن يتزوج " آيو " فقد أكد له " أولسن " أن ملايين من الأمريكيين سيشاهدون صورهم باعتبارهم أسرة أفريقية سعيدة .

ذات مساء وبعد تناول عشاء جيد انتهز " أجايى " فرصة من الصفاء والرضا والهدوء فأخبر " آيو " بعزمه على الزواج منها ، لكن "آيو"

اضطربت فى الحال ونظرت إليه بقلق وهى تتساءل : هل يعانى من مرض ما ؟ هل ثمة متاعب فى العمل أو أن أحداً قد تسبب فى إهانته ؟!

هكذا سألت نفسها ثم أجابت : لا ، لا شىء فليس ثمة خطأ فى أن يطلب الزواج .

ثم ضحكت وقالت له : كما تشاء ، فلنتزوج ولكن لا تقل إننى أجبرتك على ذلك .

تناقشا فى شئون العرس واقترح " أجايى " فستاناً أبيض للزفاف وحجاب وزهرة برتقالية ، لكن " آيو " اعترضت وتم الاتفاق أخيرا على اللون الرمادى ، كما اقترحت ضرورة أن ترتدى مشدا للوسط كى تدارى وتطوق تلك البدانة عند الوسط ؛ فوافق " أجايى " على طلبها وربت فوق ذقنها بلطف قائلا : أنت امرأة مزهوة بنفسها .

لم يكن قادرا على مجرد التفكير فى شهر العسل بتكاليفه الباهظة ، كما تسببت فكرة النفقة فى تعكير صفوه فقال لها : إن هذا السرير بحالة جيدة ومثله مثل أى سرير جديد .

استسلمت " آيو " موافقة .

ظل " أجايى " طيلة ذلك المساء لا يفكر فى شىء سوى فكرة الزواج وإجراءات الزفاف ، وبينما كانا راقدين فوق السرير انتابته رغبة ملحة فى ممارسة الحب معها ؛ فراح يداعبها ويقبلها ، لكن " آيو " دفعته إلى الخلف برقة وقالت : لا .. انتظر بعد الزواج .

قبل " أجايى " رغبتها رغم اندهاشه ثم سألها : لماذا ؟

أجابت " آيو " بحدة وتصميم : لأنه مهما كان الأمر فلن يكون ذلك صحيحاً .

سمع والد " آيو " بفكرة الزواج ، لكنه لم يتراجع عن رأيه وإنما ازداد إصرارا على مقاطعتها قائلا : حتى لو عادت بكل ممتلكاتها .

ذهب الأطفال إلى أخت " آيو " المتزوجة ، وكانت أسرة " أجايى " فرحة بذلك القرار ما عدا أخته التى لم توافق إلا من أجل تحسين وضعه الاجتماعى ، لكنها نصحته أن يذهب أولا للعرّاف كما فعلت " آيو " حين تناقشت مع الأصدقاء فى سوق يوم السبت وذهبت للعرّاف ، ثم اتخذت قرارها .

فى الليل ذهب " أجايى " مع أخته إلى العرّاف الذى كان مشغولاً بالتكهن بالغيب ، وإيحاء زوّاره بالسعادة والمستقبل المشرق .

كان كل شىء موفقا بالنسبة إلى " آيو " باستثناء جارتها " أومو " التى كانت تعيرها - دائما - خاتم الزفاف فى المناسبات المهمة ، والتى تشعر الآن تجاهها بالبرود بعد أن عرفت بهدايا الزفاف التى ينوى " أجايى " أن يقدمها لها ، حتى إنها قدمت لها قمصان النايلون المهلهلة بإحساس ممتزج بالحسد والغضب وهى تسألها : هل يعنى ذلك أنك سترتدين هذه القمصان ؟

أجابت " آيو " ببساطة : نعم .

اعترضت " أومو" قائلة : لكن البرد سيصيبك إذا ما ارتديت هذه القمصان يا أختى كما لو أنك أصبت فى حادثة ، وقام الأطباء برفع ملابسك فى المستشفى فلا شك أنهم سيشاهدون كل شىء ·

قالت " آيو " : لن تصيبنى حادثة ·

ثم أضافت : يقول " أجايى " إن ممثلات السينما فى هوليود يرتدين مثلها ·· انظرى ، هوليود ماركة مسجلة .

قالت الجارة الغيور وهى تلقى بالملابس إلى الخلف فى غضب : إن ذلك شىء فاضح ، إنه لا يخفى أى شىء ومن الفجور الشديد ارتداء مثل هذه الملابس ·

شعرت " آيو " بالانتصار فقالت بهدوء : ولماذا ينبغى إخفاء مفاتنى عن زوجى ؟

عادت " آيو " إلى المطبخ وهى سعيدة لزواج " أجايى " منها ، وكان ينتابها شعور قوى بمستقبل آمن ·

حاول " أجايى " – بصعوبة – أن يتخلص من روتينه اليومى وبخاصة فنجان الشاى الصباحى الذى افتقده كثيراً ، كما استدان كثيراً من الأموال من أجل المهر وتكاليف الموسيقى الراقصة ومراسم الاحتفال وفساتين " آيو " وقريباتها التى يجب ارتداؤها بعد الانتهاء من مراسم الزفاف ، وكان على " آيو " أن تسرع بتجهيز نفسها والانتهاء من مشدات الوسط ·

ذهب عم " أجايي " وبعض أقربائه إلى والد " أيو " حاملين معهم الكتاب المقدس وخاتم الخطوبة طالبين يدها للزواج ، وهكذا تمت الخطوبة في هدوء ، وفي اليوم السابق ليوم الزفاف اصطحبوا معهم فتاتين صغيرتين تحملان فوق رأسيهما زجاجات كبيرة مجوفة بداخلها بعض الدبابيس والعملات الإنجليزية الصغيرة والفاكهة وبذور الكولا ، والفستان كهدية رمزية من العريس إلى العروس تجنبا لأي نزاع في المستقبل يمكن أن يقال فيه : لم يقدم لي هذا الوغد منذ زواجنا دبابيس أو عملات .

اقترب الموكب الصغير من منزل والد " أيو " ولعدم تأكدهم منه فقد تجاوزوه ، ثم عادوا إليه مرة أخرى .. طرق عم " أجايي " الباب عدة طرقات فانطلقت الأصوات صائحة من الداخل مطالبة بالاسم واسم الجد والمهمة التي جاء من أجلها ؛ فتبادل الجانبان الشتائم ، وبعد أن تفحصوا أوراق الأسرة بدقة ساورت الشكوك كلا الجانبين ، ثم بدأ عم "أجايي" في التملق والمداهنة وكانت نصف ساعة من المتعة والدهشة والانتظار فتح بعدها والد " أيو " الباب وسأل متجهمًا : أية مهمة جئت من أجلها ؟

أجاب عم " أجايي " بهدوء وتواضع : جئنا لكي نقطف الوردة الحمراء التي تنمو في حديقتك الجميلة والتي لم يقطفها أحد من قبل .. إنها أجمل من أية وردة أخرى .

سأل أحد أقرباء " أيو " الذكور : هل تستطيعون تهذيب وردتنا الجميلة ؟

أجابت أسرة " أجايى " : سوف نحسن تهذيب وردتكم الجميلة .

اتفق الجميع وراحوا يتبادلون الهدايا ويتناولون الشراب ويقيمون الصلوات ، ثم بدأوا يتناقشون حوالى نصف الساعة حول ما يمكن تصوره وما يمكن أن يفعلوه لإنهاء كل شيء على أكمل وجه .

كانت " أيو " وأخواتها البنات وبعض قريباتها الشابات يختبئن فى حجرة النوم المجاورة حين قال والدها مخاطبا عم " أجايى " : فى هذا المنزل توجد فتاة عذراء طاهرة ، وهى جميلة ومطيعة ومعروفة لدى الجميع باسم " أيو " ، وأنت تبحث عن هذه الفتاة العذراء لتصبح زوجة لقريبك " أجايى " .

ثم فتح باب حجرة النوم وجاء بأخت " أيو " الرابعة وقال : هل هى هذه ؟

أجابوا بعد أن تفحصوها جيدا : لا ، ليست هى .. إنها أقصر من " أيو " .

جاءت بنت العم فقال والد " أيو " : هل هى هذه ؟

ـ لا ، هذه بدينة جدا .

شاهدوا عشر فتيات غير أن واحدة منهن لم تكن هى المطلوبة فهذه قصيرة جداً وتلك بدينة جداً أو متوسطة جدا ؛ مما جعل عم "أجايى" يضرب فوق فخذه وقد تأكد من شكوكه ؛ وعندئذ سارع إلى مجموعته وأخبرهم بضرورة أن يشاهدوا العروس بأنفسهم فأشاروا برءوسهم موافقين .

قال والد " آيو " : حسنا ، ليس ثمة ما يدعو للقلق ٠٠ كنت أبغى التأكد من أنكم تعرفون ما تريدون ٠

ثم وقف أمام باب حجرة النوم فى مواجهة الجميع وأشار إلى "آيو" الجالسة فوق السرير ، وكان من اليسير رؤية الدموع المتدفقة من عينيه . قبلّها برقة فوق جبهتها كى تصفح عنه لمقاطعتها كل تلك السنوات ، ثم أمسك يدها وقادها متجهًا صوب الحاضرين وقال : هل هذه هى الفتاة التى تريدونها ؟

أجاب عم " أجايى " بفرح : نعم ، هى بالتأكيد ٠

وعندئذ راح الجميع يصيحون : (هيب٠٠ هيب ٠٠ هوراى) ٠

أحاطوا " آيو " من كل اتجاه وظلوا يلوحون بالمناديل البيضاء فوق رأسها وتناول الموسيقيون قيثاراتهم ، ثم بدأوا فى العزف بينما راح شخص ما يصدر أنغامًا متناسقة بزجاجة خمر فارغة ، وبعد الانتهاء من الزغاريد التمهيدية ارتفع صوت الفلوت بلحن عذب فسارع الجميع بالرقص حول " آيو " حتى أصبحت فى المنتصف تمامًا ٠٠ ها هى "آيو" فى منتصف الثلاثينيات من عمرها بشعرها المخطط باللون الرمادى تشهد مراسم الحفاوة والتكريم الخاصة بها ، تلك الاحتفالات التى غالبًا ما شهدت عليها دون أن تكون طرفًا فيها ٠٠ راحت تبكى بفرح ٠

فى الصباح التالى كانت تستحم بمساعدة امرأة عجوز من أفراد أسرتها ، وبعد أن ارتدت ملابسها أمام أمها سارع أبوها بزفها إلى الكنيسة ٠٠ كان زفافا هادئا يتكون من ستين ضيفا أو نحو ذلك ، وقد

بدا " أجايى " متماسكا فى سترته المليئة بالأزرار والتى كان يرتديها فقط فى المناسبات الخاصة ‥ اتجهوا بعد ذلك إلى منزل أسرة " آيو " لتناول غذاء الزفاف ، وعند الباب التقوا بواحدة أخرى من عمات " آيو " العجائز التى كانت تمسك كوبا من الماء أشارت به إلى شفاههم ليرشفوا منه على التوالى على أن يكون " أجايى " أولهم ‥ تجمع الضيوف فى الخارج خلف الزوجين فيما كانت العمة تلقى خطابا طويلا بطريقة مرحة وقالت محذرة " آيو " : ليس من الصواب أن تكونى لطيفة جدا مع النساء الأخريات حين يلاطفن زوجك ، ويجب أن تعيشا فى سلام وألا تجعلا الشمس تغرب بينكما حين ينشأ خلاف ما ٠

أضافت العمة مخاطبة " أجايى " بومضة سريعة من عينيها : بإمكان الزوجة أن تكون هادئة ومسلية وسيدة ، وأتمنى ألا تستخدم العنف مع ابنتنا التى هى زوجتك ٠

اتخذوا من الجانب الغربى مكانًا لممارسة طقوس الاحتفال وراحوا يقطعون كعكة الزفاف التى صنعتها " آيو " بنفسها ، وبدأ كل منهم يلقى خطابًا ، ثم رحل " أجايى " إلى منزله حيث كان فى انتظاره حفل آخر ؛ فقام بتغيير ملابسه ببذلة أخرى طويلة وسارع باستدعاء " آيو " التى رحبت بالاستدعاء ، غير أن أهلها بدأوا فى البكاء ، لأنها ذاهبة فى رحلة طويلة ، وكان من اليسير رؤية الدموع فى عينى أمها وهى تقول : وداعًا ؛ خاصة وأنها لن تشهد شرف عذرية ابنتها فى اليوم التالى ٠

عادا إلى منزلهما فى النهاية بعد أن ظلا يتنقلان بين الأقارب من الأسرتين فبدت " آيو " مختلفة فى عين " أجايى " ؛ إذ لم يكن ينظر إليها بإمعان من قبل ، لاحظ أن رأسها منتصبة برشاقة وأن رقبتها ذات الأخاديد الثلاثة الطبيعية الأفقية بجمالها الكلاسيكى ليست سوى نموذجًا رائعًا من نماذج الجمال وكذلك كتفاها الرقيقان ؛ فقام باحتضانها برقة لم يعهدها من قبل .

فى صباح اليوم التالى نهض " أجايى " متأخرا على غير العادة ، ثم راح ينظر حوله بحثًا عن فنجان الشاى ، لكنه لم يجده ؛ فقفز من مكانه وراح ينظر فى كل اتجاه دون أن يرى شيئًا ، أرهف السمع بحثًا عن خطوات " آيو " فى المطبخ ، لكنه أيضًا لم يسمع شيئا وحين نظر إلى جواره كانت " آيو " راقدة وقد أثار ظهرها الأبنوسى المكشوف رجولته ففكر قائلاً لنفسه : ربما تكون مريضة فلقد أرهقتها أحداث الليلة الماضية .

هتف قائلا : " آيو " .. " آيو " .. هل أنت مريضة ؟

استدارت بجسدها فى بطء حتى أصبحت فى مواجهته ، ثم قرصت إصبع قدمها فى دلال وكبرياء تحت الغطاء القطنى وربتت فوق نهديها بنعومة وبطء وأجابت بهدوء يثير الدهشة والفزع : لا ، " أجايى " . لست مريضة .

ثم سألته : هل أنت كذلك ؟

وأضافت : هل قدماك مشلولتان ؟

ارتبك كثيرًا وفكر أن عقلها أيضًا قد أصابه التشوش من كثرة الإجهاد فأجابها قائلا : لا .

قالت : " أجايي " ، أنت زوجي منذ اثني عشر عامًا وأنا أستيقظ كل صباح في الخامسة كي أصنع لك الشاي والإفطار ؛ لكنني الآن امرأة متزوجة حقًا ؛ فيجب أن تعاملني بمزيد من الاحترام ؛ إذ إنك الآن زوج ولست عاشقًا ، هيا انهض إذن واصنع لنفسك كوبًا من الشاي .

الفائز

باربارا كيمنى

أوغندا

كاتبة صحفية معروفة فى شرق أفريقية وهى أوغندية الأصل ·· أصدرت مجموعتين قصصيتين فى العام ١٩٨٥·

أصبح " بيوس داولا " أكثر الناس شعبية فى (بوجندا) بعد أن فاز برهان كرة القدم حيث تدفق الأقرباء نحوه من جهات المملكة الأربع ·· أولاد العم ، وأبناء الإخوة والأخوات ، والأعمام ·· كلهم جاءوا فجأة إلى (كالاسندا) – رغم عدم حضورهم من قبل للسؤال عنه – وراحوا يفكرون فى استثمار أموال الجائزة لأعمالهم الخاصة ·

حول كوخ " بيوس " الطينى المتواضع كان الصحفيون متربصين وبعضهم يحمل آلات التصوير ، بينما توقف العاملون بإذاعة أوغندا لتسجيل سرور وفرحة " بيوس " وحظه المدهش فى محاولة للترفيه عن المستمعين ·

لم يكن " بيوس " يغادر كوخه إلا نادراً ، وكان يتحرك مستنداً على عصا قوية وهو يترنح ويتمايل مثل رجل أعمى أو أعرج ، وعند رؤيته كان ينتاب القرية إحساس بأنه لم يغادر القرية منذ سنوات كما لم يكن من السهل التعرف عليه .

عندما بدأت آلات التصوير عملها جاهدت " مانتوندو " لتجلس إلى جوار " بيوس " ، وفى صباح اليوم التالى كانت كل صحف أوغندا تنشر فى الصفحة الأولى صورة السيد " بيوس " وزوجته السعيدة .. تفرست " مانتوندو " الصورة بفرح وراحت تطوف بها على كل الزوار ، وقد تملكها إحساس شديد بالفخر .

- أخبرنا يا سيد " داولا " ماذا ستفعل بكل هذه النقود التى ربحتها ؟

- أخبرنا يا سيد " داولا " كيف كنت تملأ كوبونات الرهان ؟

- أخبرنا .. أخبرنا .. أخبرنا ..

كادت رأس " بيوس " أن تنفجر من تلك الأسئلة الكثيرة وكان " سالونجو " وكيل مقبرة (سابالانجيرا) وصديقه الوحيد يهمس له بألا يقول شيئاً فى الوقت نفسه الذى كان فيه الأقرباء يصيحون ويدفعون ناحيته بأطفالهم ؛ مما أصابه بالاضطراب وعدم القدرة على التفكير ؛ إذ لم يكن من اليسير أن يتحول فجأة من عالم النسيان والتجاهل الكامل طوال خمسة وستين عاماً إلى عالم الشهرة .

لم يكن " بيوس " يملك مطبخا نظيفا فراحوا يصنعون الشاى فى الأباريق خلف الكوخ ، بينما عدد كبير من بنات العم كن يعملن بجد ونشاط فى إعداد عناقيد الماتوك لتجهيز الطعام لكل شخص .

قدمت إحدى النساء نفسها على أنها ابنة العم " سارا " ، وكانت تصيح وتتحرك بحرية تامة حتى إنها اكتشفت الموز المخبأ وقدمته للحاضرين فى أطباق ، لكن " بيوس " لم تعجبه طريقتها تلك وحدثته نفسه بأن يحذر منها كما قال له " سالونجو " منبها : يجب مراقبتها !

انتشر الخبر بسرعة فى أفريقيا قبل أن تصل البرقية إلى " بيوس " فالصحافة على اتصال دائم بمكاتب الرهان .. توافدت أفواج الزائرين لرؤية "بيوس " والاطلاع على البرقية التى تفيد بفوزه ، لكنه كان غارقًا فى أفكاره الخاصة المتمثلة فى عجزه عن إدراك ما يحدث حوله ؛ حيث إنه قد افتقد رؤية كثير من أولئك الناس منذ سنوات كثيرة ؛ حتى إنه كان يتعرف عليهم بصعوبة .

كانت العائلة تنعم بالسرور ، وكان الجميع من حوله يهتف بفرح : ابن العم " بيوس " .. ابن العم " بيوس " .

قال بعضهم : " بيوس " يا ابن العم ، لماذا لم تأت لزيارتنا كل هذا الوقت ؟

شعر " بيوس " بالسرور لرؤية أقربائه وأحبابه وهم يتجمعون حوله ، فها هو يجد نفسه وسط عائلته من جديد .. لقد ملأوا قلبه العجوز

بالدفء ؛ فراح يرحب بهم كثيرا غير أن ثمة جموداً واضحاً كان بادياً عند البعض منهم .

أصبح المنزل مليئا بالناس ودخان السجائر ، وظلت البرقية الثمينة تنتقل من يد إلى أخرى .

قال الرجل الصغير : والآن يا سيد " داولا " نحن مستعدون للتسجيل ، سوف أسألك بعضا من الأسئلة ، وعليك أن تجيب ببساطة وبصوتك الطبيعى وطريقتك العادية .

نظر " بيوس " إلى الصندوق الجلدى ذى البكرتين الدائرتين ، ثم لعق شفتيه دون أن يقول شيئًا .

همس " سالونجو " بصوت أجش ، لكن الرجل الصغير لم ينتبه له وتوجه إلى " بيوس " قائلا : سيد " داولا " ، أهنئك – قبل كل شيء – على فوزك بالرهان والآن أخبرنا عن شعورك عندما أصبحت غنيا فجأة .

كان " بيوس " يحدق فى الفراغ وكأنه تحت تأثير التنويم المغناطيسى ؛ مما جعل الرجل الصغير يسأله مرة أخرى : أعنى .. هل لديك خطط للمستقبل ؟

ابتلع " بيوس " ريقه بصوت مسموع ، ثم فتح فمه ليقول شيئا لكنه سرعان ما أغلقه عندما اعترض " سالونجو " قائلا : لا تخبره بأى شيء .

أدار الرجل الصغير آلة التسجيل وهز رأسه بغضب وهو يقول : انظر هنا يا سيدى ، كل ما أريده أن تقول شيئًا فأنا لا أسألك أن تلقى خطابًا ، والآن سأشرح لك ٠٠ سوف أسألك عن شعورك عندما أصبحت غنيًا فجأة ، فتجيب مثلا وتقول بأنها مفاجأة مدهشة وإنك – بطبيعة الحال – تشعر بالابتهاج ٠٠ والآن هل تطلب من أصدقائك عدم المقاطعة ؟

دارت الآلة مرة ثانية وكان السؤال واضحا : سيد " داولا " ، ما هو شعورك بالفوز ؟

أجاب " بيوس " : إنها مفاجأة مدهشة ، وبطبيعة الحال فإننى أشعر بالابتهاج ، وهل تطلب من أصدقائك عدم المقاطعة !!

كاد الرجل أن يبكى فقد كانت أول أيام عمله كمقدم للبرامج الإذاعية وأصبح واضحا أنها آخر أيامه ؛ فسارع بإغلاق آلة التسجيل ، وانتابه الحزن على مستقبله ، ثم راح يتأوه ٠

كانت " سارا " تراقب ما يحدث فانتهزت الفرصة وقالت : ربما أستطيع مساعدتك ، إننى بنت عم " بيوس " ٠

قالت ذلك بطريقة توحى بأن " بيوس " ليس له أحد آخر غيرها ؛ فأشرق وجه الرجل الصغير وقال : حسنًا مدام ، سأكون ممتنًا إذا استطعت أن تخبرينى شيئًا عن خطط السيد " داولا " ٠

أطبقت " سارا " ذراعيها أمام وجهها المهيب ، عندما بدأت الآلة فى التسجيل قالت : نعم ، إن السيد " داولا " سعيد جداً بالنقود

ولا أعتقد أن لديه خططًا محددة فى كيفية استثمارها لأنه – ببساطة– لا يستطيع أن يفكر وسط كل هؤلاء الناس ... نعم ، إن السيد " داولا " يعيش وحيداً وأنا التى أجيء من وقت لآخر للعناية به ومساعدته ٠

نظرت النسوة الأخريات إلى بعضهن نظرات تعنى الكثير ورحن يطرقعن أسنانهن فى الحجرة ، وظل " بيوس " يتعجب من تلك الثقة التى تتحدث بها ، بينما دفعه " سالونجو " برفق وهمس له : هل تتذكر ما قلته لك ؟ يجب مراقبتها ، احترس منها ٠

فى الثالثة من بعد الظهر تم إعداد الشاى وبعض أوراق موز الجنة وثلاثة أطباق مختلفة ، فتناول " بيوس " قليلا من الطعام وراح يستمتع بالشاى ٠٠ كان البعض يتناول الشاى فى علب من الصفيح أو فى قوارير قديمة لعدم وجود عدد كاف من الفناجين ٠٠ شعر " بيوس " بألم فى ذراعه من كثرة المصافحة وأصابه التعب من الثرثرة وكل أولئك القادمين والذاهبين ، وبلغت متاعبه أقصاها من بنت العم " سارا " التى كانت تعامله كضعيف معتوه دون أن تتوقف عن محاولاتها فى إبعاد الآخرين ٠

مع بداية المساء بدأ الأقرباء فى الرحيل مع وعد بالحضور غداً وأثناء ذلك جاء كل من " يوسيفو موكاسا " و " كيبوكا " فأبصرا ذلك الإجهاد الواضح فوق وجه " بيوس " العجوز الذى كان منهكا وفوق بشرته الرمادية تتجلى بوضوح علامات الإرهاق الشديد ٠٠ تراجع كلا الرجلين إلى الخلف عندما تقدمت بنت العم " سارا " التى أجبرتهما

على تناول الشاى ، والتى كانت تتصرف باحترام بالغ يوحى بأنها سيدة البيت .

خاطبت " يوسيفو " قائلة : أعتقد أن زوجى الأخير يعرفك جيدا يا سيدى ، إنه " كيفومبى " الذى كان رئيس الميروكا فى مقاطعة (بوياجا) .

أجاب " يوسيفو " : آه ، نعم .. لقد تذكرت " كيفومبى " جيداً ، كنا نصطاد معا على الدوام ، ولقد تأثرت جداً بنبأ وفاته .. كان رجلاً طيبًا .

هزت " سارا " كتفيها وقالت : نعم ، كان رجلا طيبًا ، وإنما هكذا هى الحياة .. لقد رحل بعيدا .

استطاع " بيوس " عندئذ أن يعرف صلة القرابة بينه وبين " سارا " التى لم يكن لها فى الحقيقة وجود ؛ حيث إن " كيفومبى " هو ابن لزوجة أحد أبناء عم " بيوس " .

علّق " كيبوكا " : يبدو أن خبطة الحظ هذه قد أرهقتك يا "بيوس" !

كان " كيبوكا " و "يوسيفو " جالسين فوق المقاعد الخشبية التى أحضرتها " سارا " ، أما " سالونجو " فقد كان يحدق فى كل شىء وهو يجيب : بالطبع هو مرهق للغاية لأنهم جميعًا يرغبون فى تجميع عظامه .

دفعه " بيوس " كما يدفع طفلا : لا ، لا ، " سالونجو " ٠٠ إنه لمن الطبيعي أن تتجمع العائلة حولي في مثل هذا الوقت ، وأنا لست منزعجا إلا أنني عجوز بعض الشيء ولا أقدر على مثل هذه الإثارة ٠

بصق " سالونجو " باتجاه المدخل المفتوح بعيدا عن مجموعة الضيوف وقال : هذه المرأة لا تدري أنه رجل عجوز وتريد الإمساك به ٠٠ لقد رأيت مثلها في مكان آخر ٠

تعجب " يوسيفو " ٠٠ مكان آخر !! هذا يعني مقبرة (سابالانجيرا) التي كان يحرسها " سالونجو " في سنوات شبابه ٠

ثم قال : حسنا ، إنها امرأة طيبة ٠٠ أرجوك يا " بيوس " أن تفهمني ، من الأفضل أن تقضي معنا هذي الليلة في (موتوندا) وسوف تسعد " ميريامو " كثيراً لوجودك معنا ، كما أنك في حاجة لقضاء ليلة طيبة ومريحة لن تتوفر لك هنا ؛ حيث الأقرباء يعدُّون أنفسهم بالخارج لإشعال النار استعدادا للرقص طوال الليل ٠

قالت " سارا " وهي تزيح فناجين الشاي : أعتقد أنها فكرة جيدة فلتذهب يا ابن العم مع السيد " موكاسا " حتى تنعم بوضع أفضل ولا تقلق بشأن منزلك لأنني سأبقى هنا وأعتني بكل شيء ٠

تردد " بيوس " قائلا : نعم ، ذلك شيء طيب غير أنني سأكون بخير هنا على ما أعتقد ، كما أنني لا أرغب في إلقاء مزيد من الأعباء فوق كاهل " ميريامو " ٠

قال له " سالونجو " هامسا : اذهب مع " يوسيفو " ؛ فمن الخطأ أن تبقى وحيدا مع هذه المرأة التى لا نعرف شيئا عما يمكن أن تفعله .

صوبت " سارا " نظرات عنيفة نحو " سالونجو " وقبل أن يتفوه أحد بشيء آخر قالت بطريقة نهائية : سأحزم لك بعض الأشياء القليلة يا " بيوس " .

استقلوا سيارة " يوسيفو " ومضوا فى طريقهم نحو (موتوندا) ؛ فانتاب " بيوس " إحساس غامر بالسرور والابتهاج لأن أحدا لن يضايقه ، بينما ذهب " سالونجو " إلى المقبرة وابتسامة غير منتظمة كانت تطفو فوق وجهه الذابل العجوز وهو يتذكر وعد " بيوس " له بالمساعدة فى بناء منزل جديد للسابالا نجيرا ، وأنه كان يوما جميلا بالنسبة له بالرغم من بنت العم " سارا " .

أمضى " بيوس " مساءً ممتعًا مع (الموكاساس) الذين أجادوا صنع العشاء والذى أعقبه كوب من البيرة المثلجة .. كانوا جالسين يستمعون إلى الأخبار المحلية من الراديو ، وكان " بيوس " فى حالة من الاسترخاء حين أخبرهم – بتواضع – أن لقاء قد تم بينه وبين راديو أوغندا هذا الصباح ، فراحوا ينصتون بشغف إلى نشرة الأخبار لسماع صوته ، لكنه كان صوت " سارا " عبر الأثير .. كان الرجل العجوز قد نسى تمامًا واقعة التسجيل مثلما نسى " سارا " ، لكنهم اقتربوا منه وهم خائفين وقالوا : إن " سالونجو " على حق ؛ فتلك المرأة تبغى الاستفادة منك ويجب معرفة ما وراءها .

كانت الفكرة تبعث على القلق لكن " بيوس " نام كالطفل وكأن لاشيء فى العالم يهمّه ، وفى الصباح شعر بالانتعاش فأصرّت "ميريامو" على بقائه يومًا آخر فى (موتوندا) وقالت له : لقد فرحت بالأمس حين رأيتك وها أنت تبدو فى وضع أحسن مما جئت عليه ؛ ومن هنا أرى أن قضاء إجازة صغيرة معنا سيجعلك أفضل كثيرا ·· يمكنك الذهاب إلى منزلك غداً حين يكون بعض أقربائك قد رحلوا ؛ فيصير الزحام أقل مما هو عليه الآن ·

بعد الغذاء مباشرة توجه " بيوس " إلى الشرفة وراح يغفو قليلاً فوق الكرسى وما هى إلا لحظات قليلة حتى جاء " موسيسى " فى السيارة اللاندروفر وكانت " سارا " إلى جواره فتقدمت " ميريامو " لتحيتهما ، وقد بذلت جهداً كبيراً فى التنكّر لفضولها تجاه هذه المرأة التي سمعت عنها كثيراً ، ثم جلست إلى جوارها وقررت كل منهما أن تصبح صديقة للأخرى ·

اقترب " موسيسى " فى اللحظة نفسها من العجوز " بيوس " الذى أشار له إلى المقعد قائلاً : اجلس يا بنى ، لقد أطعمتنى " ميريامو " جيداً وهاأنذا يقظ وفى أحسن حال ·

قال " موسيسى " وهو يتلمس جيب سترته : وأنا سعيد لراحتك يا سيدى ، لكننى أحمل برقية لك فهل أقرأها ؟

وقف الرجل العجوز مترقباً وقال : سأكون ممتنًا إذا فعلت ·

قرأ " موسيسى " البرقية فى صمت ، ثم نظر إلى " بيوس " وقال معلقًا : أخشى أن تكون أخباراً سيئة يا سيدى .

رد " بيوس " : أخبار سيئة ؟ هل مات أحد ؟

ابتسم " موسيسى " وأجاب : لا ، ليست بهذا السوء وإنما كل ما فى الأمر أن شركة الرهان نسيت أن تضيف إلى البرقية الأولى أن الجائزة موزعة على ثلاثمائة شخص آخر .

أصابت " بيوس " الدهشة وفقد توازنه ، ثم تمتم : أخبرنى ، كم من النقود سوف أحصل عليها ؟

ـ سبعة عشر ألفا من الجنيهات موزعة على ثلاثمائة شخص يعنى أنك ستحصل على أكثر من ألف شلن .

تعجب " موسيسى " كثيراً حين جلس " بيوس " ، وهو يضحك ضحكا مكتوما ويقول : أكثر من ألف شلن ، لماذا ؟ إنه مبلغ كبير من المال .

ـ ليس كبيرا وخاصة أنك كنت متوقعا أكثر من ذلك .

ـ نعم ، لكننى ماذا كنت سأفعل بكل هذه الآلاف من الجنيهات يا بنى ؟ لقد تجاوزت العمر الذى يحتاج فيه المرء لكل هذه الأموال .

أحضرت " ميريامو " حصيرة إلى الشرفة وجلست مع " سارا " بالقرب من الرجال ، ثم صاحت : يا لها من خيبة أمل .

لكن " سارا " تنشقت وقالت : أنا أوافق ابن العم " بيوس " ، لأنه لن يحسن التصرف مع سبعة عشر ألفا من الجنيهات ، كما أن العائلة بكل أفرادها ستتعلق برقبته إلى الأبد .

تجهَّم " موسيسى " على ذكر عائلة " بيوس " وقال : كان يجب أن أحذرك يا سيدى من أولئك الأقرباء ، وها هى مدام " كيفومبى " (قالها وهو يشير إلى " سارا ") ثم توقف لحظة وأضاف : حان الوقت لإيقافهم عن اقتلاع أرضك .

قالت " سارا " : نعم يا " بيوس " ، يعوزنا بعض الوقت لإعادة كل شىء إلى مكانه .

علّق " بيوس " بوهن : أوه ، يا عزيزى .. إنها أخبار مخيفة .

- لا تقلق لأنهم سيسارعون بالاختفاء فور إخبارهم بعدم وجود نقود ؛ وعندئذ سأرسل فى طلب اثنين من أبنائى الكبار لمساعدتنا فى الزرع .

بادرت " سارا " بالانصراف ، ثم نهض " موسيسى " من مقعده قائلا : إننى خائف ولا أستطيع البقاء هنا طويلاً .. سأذهب الآن مع "سارا" لمساعدتها فى توضيح الأمر لتلك الجموع المحتشدة فى منزلك على أن أعود غداً لأصطحابك فى طريق العودة .

صعد هو و"سارا " إلى السيارة اللاندروفر وظلت " سارا " تلوح بيديها بقوة حتى اختفت السيارة عن الأنظار .

قالت " ميريامو " مخاطبة " بيوس " : إن بنت عمك امرأة لطيفة .

شعر " بيوس " أن هذه الملاحظة النسائية خاصة به .

عاد " بيوس " مع " موسيسى " إلى منزله فى اليوم التالى وكان كل شىء هادئًا وطبيعيًا .. قدمت له " سارا " كوزًا من الشاى المغلى ، ثم جلست فوق الحصيرة تحت قدميه وراحت تشرح له - بطريقة متشائمة - كيفية إصلاح الأشياء ، بينما راح هو بدوره يخبرها عن خططه التى ينوى تنفيذها بنقود الجائزة حتى قال : وبالطبع فإننى لن أقدر على عمل كل شىء الآن خاصة وأننى وعدت " سالونجو " بعمل شىء فى المقبرة .

صبّت " سارا " مزيداً من الشاى وقالت : أوه ، شىء جميل ، لكننى أعتقد أن السقف أكثر أهمية فلقد لاحظت بالأمس أن به فجوات كثيرة ، كما أن بناء حجرة أخرى ومطبخ صغير بالخارج تبدو فكرة جيدة خاصة وأن الطين رخيص جداً وكذلك الأغصان ، وبذلك يستوى المكان وتستطيع - عندئذ - أن تتحرك كما تشاء ، وأيضًا بالنسبة للدجاج فأنا أملك ست دجاجات من النوع الجيد وديوكا صغيرة وبعض الفراخ ، وسوف أحضرهم إلى هنا .

تطلّع إليها " بيوس " بإمعان مدة طويلة فأبصرها جميلة ، ثم فكر قائلا لنفسه : ولكن لماذا كل هذا الاهتمام ؟

ثم حاول بصعوبة أن يتحدث بطريقة عفوية حين قال : أنت تتحدثين وكأنك ستقيمين هنا .

وقفت " سارا " أمامه وأجابت : ابن العم " بيوس " ، دعنى أكون صريحة جداً معك .. لقد تزوج ابنى الصغير منذ ستة شهور وجاء

بزوجته لتعيش معى وهـــى فتاة تفيض جمـالاً ولطفًا ، لكننى بطـريقـة أو بأخرى لم أتعود وجود امـرأة ثانية فـى المنزل ، كمـا أن ولدى الآخر يعيش فى كـامـبـالا وهو يرحب بقـدومى فى أى وقت ، لكنه أيضًـا لديه زوجتـه وثلاثة أطفـال ؛ وإذن فلن تكون الحـال أفـضل إذا ذهبت إليـه ؛ وهكذا عندما رأيت إعلانًا صغيرًا عنك فى الصحف تذكرت فجأة كيف أنك كنت تساعد كل الناس فى يوم زفافى ؛ ففكرت بينى وبين نفسى أنك فى حـاجـة لمربية جيدة للمنزل تحـفظ لك الأشيـاء وتعمل على تـرتيبـها ؛ وعندئذ سـارعت بـالمجىء لرؤيتك ، وأعـتـقـد أننى فـعلـت الصـواب لأنـك فعـلاً تحتاجنى .

ترددت لحظة ثم استطردت : ربما تفضل أن تبقى وحيداً !

قال " بيوس " : أنت امرأة متهورة جداً .

وكان هذا كل ما استطاع أن يقوله .

بعـد أسـبـوع كـان " بيـوس " يتـجـول خـارج المقـبـرة حين شـاهـد "سـالونجو" من بعيد مشـغولا بتلميع أسلحـة (سـابـالانجيرا) ، وعندمـا اقترب منه قـال الحـارس متذمراً : فكرت أنك فارقت الحيـاة فقد مضـى وقت طويل منذ مجيئك إلى هنا آخر مرة ، وعلى أية حال فإن هذه المقبرة يا عزيزى تحترف الإهمـال ولا أحد يهتم بأن واحداً من أبناء (بوجندا) يرقد هنا .

قال " بيوس " بصوت خفيض : كنت مشغولاً بعض الشىء ، لكننى أتذكـر وعـدى لك ولذلك أحـضـرت لك مـائة من الشلنات ، أو ليـتنى اسـتطعت إحـضـار المزيد ، لكن مـائة شلن تسـاهـم - على الأقل - فى شراء قليل من الأسمنت .

تناول " سالونجو " النقود ونظر إليها فبدت وكأن القمل يزحف عليها ثم قدَّم له الشكر بطريقة حاقدة وقال : من الطبيعى أن تزيد تكاليف الحياة الآن بعد احتفاظك بامرأة فى منزلك .

ابتسم " بيوس " بخجل : أعتقد أن " مانتوندو " أخبرتك !

أجاب الحارس : وهل يهم من الذى أخبرنى ؟ على أية حال لا تقل بأننى لم أحذرك ، ولا تنسى أنها ستطلب خاتم الزواج فى المرة القادمة .

ضحك " بيوس ".ضحكة غريبة وقال : فى الحقيقة إن أحد الأسباب التى جئت هنا من أجلها هى دعوتك لحفل الزفاف فى الشهر القادم .

ألقى " سالونجو " بالرمح الذى ينظفه وراح يحدِّق فى صديقه وكأنه أصبح - فجأة - شخصًا آخر ثم قال : ياك من أحمق !! كنت أعرف أن شيئًا ما سيحدث .. فى مثل عمرك هذا كان يجب أن تتمتع بمزيد من الإحساس .. شىء طيب ، لكننى لا أستطيع أن أنصحك بشىء سوى أن الفرصة مازالت بين يديك .

سادت لحظات قليلة ساورت فيها " بيوس " الشكوك فقال محدثًا نفسه : هل تصرفت بحماقة بعد كل شىء ؟!

ظل يفكر فى " سارا " والأعمال العظيمة التى قامت بها فى منزله أثناء تلك المدة القصيرة التى قضياها معًا ؛ فشعر باطمئنان وقال لصديقه الحارس : سوف أتزوجها وأتوقع رؤيتك فى الكنيسة ، وفى المنزل ، أما إذا لم تأت فإنه يحق لى معرفة السبب .

وكان مسرورا بينه وبين نفسه لتلك النبرة الحادة فى صوته ٠

اكتسى وجه " سالونجو " بالدهشة وقال : نعم ، سوف أجىء ، وقبل أن تنصرف يجب أن تقطع عنقودا من الموز ، وقد تجد بعض الكرنب فى الخلف لأجل زوجتك الطيبة ؛ لأنها الفائزة الحقيقية ٠

المترجم فى سطور

سمير عبد ربه

- من مواليد أغسطس ١٩٥٠ .
- كاتب ومترجم ، عضو اتحاد الكتاب .

من أهم إصداراته :

- مجموعة قصصية بعنوان (سماء لا تشرب الشاى) - دار البيادر - القاهرة ، (١٩٩٠) .

- (آكيه) رواية للكاتب النيچيرى " وول سوينكا " - مكتبة مدبولى - القاهرة ، (١٩٩١) .

- (سهم الله) رواية للكاتب النيچيرى " تشينوا أتشيبى " - الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٢) .

- (الياقوتة) مجموعة قصصية للكاتبة " نادين جورديمر " من جنوب أفريقيا - دار الهلال (١٩٩٢) .

- (الحب والأسى) مسرحية للكاتبة الصينية " باى فنجكسى " - الهيئة العامة لقصور الثقافة (٢٠٠٢) .

بالإضافة إلى العديد من القصص والمقالات المتفرقة فى الصحف والمجلات المصرية والعربية .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١	اللغة العليا	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣	التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠	خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١	مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥	الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	ت: بإشراف أحمد عتمان
١٧	مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩	الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧	التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨	رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنة
٢٩	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢	الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤	الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥	الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
٣٦	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم

٣٨	نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩	الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠	قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢	عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥	التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بياتوريا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥	ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢	لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت . عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧	مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
٧٢	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣	نقد استجابة القارئ	چين . ب . تومبكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش

٧٦	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣	مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤	موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦	طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧	نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠	وسم السيف	ميجل دى ثربانتس	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤	الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد عبد اللطيف
٩٦	ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٩٩	تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١	النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢	السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣	قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤	أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥	مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرا متى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١	المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣	راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان

١١٤	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥	غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩	النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت بإشراف: رءوف عباس
١٢٠	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١	الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢	نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل ألكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤	الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥	التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحة الخولى
١٢٦	فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧	إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١	مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣	الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦	فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩	پارسيڤال	ريشارد ڤاجنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤	صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان
١٤٥	موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦	الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبدالرءوف البمبى
١٤٧	خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبدالغفار مكاوى
١٤٨	القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم منوفى
١٤٩	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢	عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابى

١٥٣	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبدالله محمود
١٥٤	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦	المدارس الجمالية الكبرى	جي أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧	خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبدالعزيز بقوش
١٥٨	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعى
١٥٩	الإيديولوچية	ديفيد هوكس	ت: إبراهيم فتحى
١٦٠	آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت: حسين بيومى
١٦١	من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت: زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢	تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣	موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤	شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت: نبيل سعد
١٦٥	حكايات الثعلب	أ. ن أفاناسيفا	ت: سهير المصادفة
١٦٦	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت: محمد محمود أبو غدير
١٦٧	فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت: شكرى محمد عياد
١٦٨	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت: شكرى محمد عياد
١٦٩	إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت: شكرى محمد عياد
١٧٠	الطريق	ميغيل دليبيس	ت: بسام ياسين رشيد
١٧١	وضع حد	فرانك بيجو	ت: هدى حسين
١٧٢	حجر الشمس	مختارات	ت: محمد محمد الخطابى
١٧٣	معنى الجمال	والتر ت. ستيس	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤	صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت: أحمد محمود
١٧٥	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت: وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
١٧٧	أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت: حصة إبراهيم المنيف
١٧٨	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت: محمد حمدى إبراهيم
١٧٩	حكايات أيسوب	أيسوب	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠	قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت: سليم عبد الأمير حمدان
١٨١	النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت ب. ليتش	ت: محمد يحيى
١٨٢	العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ت: ياسين طه حافظ
١٨٣	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت: فتحى العشرى
١٨٤	القاهرة... حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت: دسوقى سعيد
١٨٥	أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت: عبد الوهاب علوب
١٨٦	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧	الأرضة	بُزرج علوى	ت:محمد علاء الدين منصور
١٨٨	موت الأدب	ألفين كرنان	ت:بدر الديب
١٨٩	العمى والبصيرة	پول دى مان	ت:سعيد الغانمى
١٩٠	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت:محسن سيد فرجانى
١٩١	الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت: مصطفى حجازى السيد

١٩٢	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	ت:محمود سلامة علاوى
١٩٣	عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت:محمد عبد الواحد محمد
١٩٤	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت: ماهر شفيق فريد
١٩٥	شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت:محمد علاء الدين منصور
١٩٦	المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	ت:أشرف الصباغ
١٩٧	الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
١٩٨	الاتصال الجماهيرى	ادوين إمرى وآخرون	ت:إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت: جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠	ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت: فخرى لبيب
٢٠١	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٢٠٢	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت: جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت: أحمد محمود هويدى
٢٠٥	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	ت: أحمد مستجير
٢٠٦	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت: على يوسف على
٢٠٧	ليل أفريقى	رامون خوتاسندير	ت: محمد أبو العطا
٢٠٨	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت: محمد أحمد صالح
٢٠٩	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٠	مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت: محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢	قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	ت: سيد أحمد على الناصرى
٢١٤	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت: محمد محمود محى الدين
٢١٥	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	ت. محمود سلامة علاوى
٢١٦	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٧	مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	ت: نادية البنهاوى
٢١٨	لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	ت: على إبراهيم منوفى
٢١٩	بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت. طلعت الشايب
٢٢٠	الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت: على يوسف على
٢٢١	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت: رفعت سلام
٢٢٢	فرانز كافكا	رونالد جراى	ت: نسيم مجلى
٢٢٣	العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت: السيد محمد نفادى
٢٢٤	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت: منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥	حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت: السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت: طاهر محمد على البربرى
٢٢٧	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريديا ديف بوركى	ت: السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت:مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	ت: أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت: مصطفى إبراهيم فهمى

٢٣١ الدرافيل | خايمى سالوم بيدال | ت: جمال عبدالرحمن
٢٣٢ ما بعد المعلومات | توم ستينر | ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ فكرة الاضمحلال | آرثر هومان | ت: طلعت الشايب
٢٣٤ الإسلام فى السودان | ج. سبنسر تريمنجهام | ت: فؤاد محمد عكود
٢٣٥ ديوان شمس تبريزى (جـ١) | مولانا جلال الدين الرومى | ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ الولاية | ميشيل تود | ت: أحمد الطيب
٢٣٧ مصر أرض الوادى | روبين فيدين | ت: عنايات حسين طلعت
٢٣٨ العولمة والتحرير | الانكتاد | ت: ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ العربى فى الأدب الإسرائيلى | جيلارافر - رايوخ | ت: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ الإسلام والغرب وإمكانية الحوار | كامى حافظ | ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١ فى انتظار البرابرة | ج . م كويتز | ت: ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢ سبعة أنماط من الغموض | وليام إمبسون | ت: صبرى محمد حسن عبدالنبى
٢٤٣ تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١) | ليفى بروفنسال | ت: على عبدالرءوف البمبى
٢٤٤ الغليان | لاورا إسكيبيل | ت: نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ نساء مقاتلات | إليزابيتا أديس | ت: توفيق على منصور
٢٤٦ مختارات قصصية | جابرييل جارثيا ماركث | ت: على إبراهيم منوفى
٢٤٧ الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر | والتر إرمبريست | ت: محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨ حقول عدن الخضراء | أنطونيو جالا | ت: عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩ لغة التمزق | دراجو شتامبوك | ت: رفعت سلام
٢٥٠ علم اجتماع العلوم | دومنيك فينيك | ت: ماجدة محسن أباظة
٢٥١ موسوعة علم الاجتماع (جـ٢) | جوردن مارشال | ت: بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢ رائدات الحركة النسوية المصرية | مارجو بدران | ت: على بدران
٢٥٣ تاريخ مصر الفاطمية | ل. أ. سيمينوڤا | ت: حسن بيومى
٢٥٤ الفلسفة | ديف روبنسون وجودى جروفز | ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ أفلاطون | ديف روبنسون وجودى جروفز | ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦ ديكارت | ديف روبنسون وكريس جرات | ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ تاريخ الفلسفة الحديثة | وليم كلى رايت | ت: محمود سيد أحمد
٢٥٨ الغجر | سير أنجوس فريزر | ت: عُبادة كُحيلة
٢٥٩ مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور | أقلام مختلفة | ت: فاروجان كازانجيان
٢٦٠ موسوعة علم الاجتماع (جـ٣) | جوردن مارشال | ت بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١ رحلة فى فكر زكى نجيب محمود | زكى نجيب محمود | ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ مدينة المعجزات | إدوارد مندوثا | ت: محمد أبو العطا
٢٦٣ الكشف عن حافة الزمن | چون جريبين | ت: على يوسف على
٢٦٤ إبداعات شعرية مترجمة | هوراس وشلى | ت: لويس عوض
٢٦٥ روايات مترجمة | أوسكار وايلد وصموئيل جونسون | ت: لويس عوض
٢٦٦ مدير المدرسة | جلال آل أحمد | ت: عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧ فن الرواية | ميلان كونديرا | ت: بدر الدين عرودكى
٢٦٨ ديوان شمس تبريزى (جـ٢) | مولانا جلال الدين الرومى | ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١) | وليم چيفور بالجريف | ت: صبرى محمد حسن

٢٧٠	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن
٢٧١	الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	ت: شوقى جلال
٢٧٢	الأديرة الأثرية فى مصر	س. س والترز	ت: إبراهيم سلامة
٢٧٣	الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	ت: عنان الشهاوى
٢٧٤	السيدة باربارا	رومولو جالاجوس	ت: محمود على مكى
٢٧٥	ت. س إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت: ماهر شفيق فريد
٢٧٦	فنون السينما	فرانك جوتيران	ت: عبد القادر التلمسانى
٢٧٧	الجينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت: أحمد فوزى
٢٧٨	البدايات	إسحق عظيموف	ت: ظريف عبدالله
٢٧٩	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	ت: طلعت الشايب
٢٨٠	من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت. سمير عبدالحميد
٢٨١	الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت: جلال الحفناوى
٢٨٢	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت: سمير حنا صادق
٢٨٣	السهل يحترق	خوان رولفو	ت: على البمبى
٢٨٤	هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت: أحمد عتمان
٢٨٥	رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت: سمير عبد الحميد
٢٨٦	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢٨٧	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	ت: محمد يحيى وآخرون
٢٨٨	الفن الروائى	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطى
٢٨٩	ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت: أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٢	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٣	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	ت: نخبة من المترجمين
٢٩٤	فن الشعر	بوالو	ت: رجاء ياقوت صالح
٢٩٥	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت: بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦	مكبث	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بدوى
٢٩٧	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوانى	ت: ماجدة محمد أنور
٢٩٨	مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت: مصطفى حجازى السيد
٢٩٩	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت: هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢	فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣	بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤	ماركس	ريوس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥	الجلد	كروزيو مالابارته	ت: صلاح عبد الصبور
٣٠٦	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	ت: نبيل سعد
٣٠٧	الشعور	ديفيد بابينو	ت: محمود محمد أحمد
٣٠٨	علم الوراثة	ستيف جونز	ت: ممدوح عبد المنعم أحمد

٣٠٩ الذهن والمخ	أنجوس چيلاتى	ت: جمال الجزيرى
٣١٠ يونج	تاجى هيد	ت: محيى الدين محمد حسن
٣١١ مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت: فاطمة إسماعيل
٣١٢ روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت:أسعد حليم
٣١٣ أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت: عبدالله الجعيدى
٣١٤ الفن كعدم	جينس مينيك	ت: هويدا السباعى
٣١٥ جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت: كاميليا صبحى
٣١٦ محاكمة سقراط	آ.ف. ستون	ت: نسيم مجلى
٣١٧ بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	ت: أشرف الصباغ
٣١٨ الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت: أشرف الصباغ
٣١٩ صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت: حسام نايل
٣٢٠ لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٢١ تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	ت: نخبة من المترجمين
٣٢٢ وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو بوجين كليتباور	ت: خالد مفلح حمزة
٣٢٣ فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت: هانم سليمان
٣٢٤ اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت: محمود سلامة علاوى
٣٢٥ عالم الآثار	فيليب بوسان	ت: كرستين يوسف
٣٢٦ المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت: حسن صقر
٣٢٧ مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	ت: توفيق على منصور
٣٢٨ يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٢٩ رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت: محمد عيد إبراهيم
٣٣٠ كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت: سامى صلاح
٣٣١ عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت: سامية دياب
٣٣٢ القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	ت: على إبراهيم منوفى
٣٣٣ الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت: بكر عباس
٣٣٤ لقطات من المستقبل	آرثر.س كلارك	ت: مصطفى فهمى
٣٣٥ عصر الشك	ناتالى ساروت	ت: فتحى العشرى
٣٣٦ متون الأهرام	نصوص قديمة	ت: حسن صابر
٣٣٧ فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٣٣٨ نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)	نخبة	ت: جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	على أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت: فخرى لبيب
٣٤١ قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت: حسن حلمى
٣٤٢ سلامان وأبسال	نور الدين عبدالرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٤٣ العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت: سمير عبد ربه
٣٤٤ الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت: سمير عبد ربه
٣٤٥ الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ سحر مصر	رشاد رشدى	ت: جمال الجزيرى
٣٤٧ الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت: بكر الحلو

٢٤٨ المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩ دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرون	ت: أحمد عمر شاهين
٢٥٠ بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت: عطية شحاتة
٢٥١ مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت: أحمد الانصارى
٢٥٢ قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت: نعيم عطية
٢٥٣ الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت: على إبراهيم منوفى
٢٥٤ الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت: على إبراهيم منوفى
٢٥٥ التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت: محمود سلامة علاوى
٢٥٦ الميراث المر	بول سالم	ت: بدر الرفاعى
٢٥٧ متون هيرميس	نصوص قديمة	ت: عمر الفاروق عمر
٢٥٨ أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت: مصطفى حجازى السيد
٢٥٩ محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت: حبيب الشارونى
٢٦٠ أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت: ليلى الشربينى
٢٦١ التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت: عاطف معتمد وآمال شاور
٢٦٢ تلميذ بابنبيرج	هاينرش شبورال	ت: سيد أحمد فتح الله
٢٦٣ حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	ت: صبرى محمد حسن
٢٦٤ حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت: نجلاء أبو عجاج
٢٦٥ سأم باريس	شارل بودلير	ت: محمد أحمد حمد
٢٦٦ نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت: مصطفى محمود محمد
٢٦٧ القلم الجرىء	نخبة	ت: البرّاق عبدالهادى رضا
٢٦٨ المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت: عابد خزندار
٢٦٩ المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت: فوزية العشماوى
٢٧٠ الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت: فاطمة عبدالله محمود
٢٧١ المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢ عاش الشباب	وانغ مينغ	ت: وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣ كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت: على إبراهيم منوفى
٢٧٤ اليوم السادس	أندريه شديد	ت: حمادة إبراهيم
٢٧٥ الخلود	ميلان كونديرا	ت: خالد أبو اليزيد
٢٧٦ الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت: إدوار الخراط
٢٧٧ تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	على أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٢٧٨ المسافر	محمد إقبال	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٢٧٩ ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت: جمال عبدالرحمن
٢٨٠ حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت: شيرين عبدالسلام
٢٨١ أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت: رانيا إبراهيم يوسف
٢٨٢ تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت: أحمد محمد نادى
٢٨٣ هدية الحجاز	محمد إقبال	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨٤ القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت: إيزابيل كمال
٢٨٥ مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٢٨٦ دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت: ريهام حسين إبراهيم

٣٨٧	أغنيات وسوناتات	جون دن	ت: بهاء چاهين
٣٨٨	مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٨٩	من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠	الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت: عثمان مصطفى عثمان
٣٩١	الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت: منى الدروبى
٣٩٢	مقامات ورسائل أندلسية	نخبة	ت: عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت: زينب محمود الخضيرى
٣٩٤	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت: هاشم أحمد محمد
٣٩٥	آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت: سليم حمدان
٣٩٦	السافاك	تقى نجارى راد	ت: محمود سلامة علاوى
٣٩٧	نيتشه	لورانس جين	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨	سارتر	فيليب تودى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩	كامى	ديفيد ميروفتس	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠	مومو	مشيائيل إنده	ت: باهر الجوهرى
٤٠١	الرياضيات	زيادون ساردر	ت: ممدوح عبد المنعم
٤٠٢	هوكنج	ج. ب. ماك ايفوى	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣	ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت: عماد حسن بكر
٤٠٤	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت: ظبية خميس
٤٠٥	إيزابيل	أندريه جيد	ت: حمادة إبراهيم
٤٠٦	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت: جمال عبد الرحمن
٤٠٧	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت: طلعت شاهين
٤٠٨	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت: عنان الشهاوى
٤٠٩	انتصار السعادة	برتراند راسل	ت: إلهامى عمارة
٤١٠	خلاصة القرن	كارل بوبر	ت: الزواوى بغورة
٤١١	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	ت: أحمد مستجير
٤١٢	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	ت: نخبة
٤١٣	أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت: محمد البخارى
٤١٤	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت: أمل الصبان
٤١٥	صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت: أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت: مصطفى بدوى
٤١٧	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت: عبد الرحمن الشيخ
٤١٩	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مايو	ت: نسيم مجلى
٤٢٠	مكرو ميجاس	فولتير	ت: الطيب بن رجب
٤٢١	الولاء والقيادة	رؤى متحدة	ت: أشرف محمد كيلانى
٤٢٢	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	نخبة	ت: عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت: وحيد النقاش
٤٢٤	لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبدالرحمن الجامى	ت: محمد علاء الدين منصور
٤٢٥	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	ت: محمودد سلامة علاوى

٤٢٦	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	ت: محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧	بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ت: ثريا شلبى
٤٢٨	الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت: محمد أمان صافى
٤٢٩	هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠	كانط	كرستوفر وانت وأندرزجى كليموفسكى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١	فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢	ماكياقللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣	جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت: حمدى الجابرى
٤٣٤	الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	ت: عصام حجازى
٤٣٥	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ت: ناجى رشوان
٤٣٦	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧	رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت: عايدة سيف الدولة
٤٣٩	موت المرابى	صدر الدين عينى	ت: محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠	قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت: محمد طارق الشرقاوى
٤٤١	رب الأشياء الصغيرة	أرونداتى روى	ت: فخرى لبيب
٤٤٢	حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت: ماهر جويجاتى
٤٤٣	اللغة العربية	كيس فرستيغ	ت: محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت: صالح علمانى
٤٤٥	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	ت: محمد محمد يونس
٤٤٦	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	ت: أحمد محمود
٤٤٧	نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨	علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩	الحركة النسائية	نخبة	ت: جمال الجزيرى
٤٥٠	ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا وربيبكا رايت	ت: جمال الجزيرى
٤٥١	الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢	لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجناتزى وأوسكار زاريت	ت: محيى الدين مزيد
٤٥٣	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت: حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت: سوزان خليل
٤٥٥	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	ت: محمود سيد أحمد
٤٥٦	لا تنسنى	مريم جعفرى	ت: هويدا عزت محمد
٤٥٧	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر أوكين	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨	الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت: جمال عبد الرحمن
٤٥٩	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
٤٦٠	الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١	لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	ت: عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣	الدولة المارقة	وليام بلوم	ت: كمال السيد
٤٦٤	ديمقراطية القلة	ميكائيل بارنتى	ت: حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥	قصص اليهود	لويس جنزبرج	ت: جمال الرفاعى
٤٦٦	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت: فاطمة محمود

٤٦٧	التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ت: ربيع وهبة
٤٦٨	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٤٦٩	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت: مجدى عبدالرازق
٤٧٠	الأراضى والجودة البيئية	نخبة	ت: محمد السيد النتة
٤٧١	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	نخبة	ت: عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت: سليمان العطار
٤٧٣	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت: سليمان العطار
٤٧٤	الأدب والنسوية	بام موريس	ت: سهام عبدالسلام
٤٧٥	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت: عادل هلال عنانى
٤٧٦	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	ت: سحر توفيق
٤٧٧	تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت: أشرف كيلانى
٤٧٨	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	ت: عبد العزيز حمدى
٤٧٩	المقهـــى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت: عبد العزيز حمدى
٤٨٠	تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت: عبد العزيز حمدى
٤٨١	عباءة النبى	روى متحدة	ت: رضوان السيد
٤٨٢	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت: فاطمة محمود
٤٨٣	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	ت: أحمد الشامى
٤٨٤	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	ت: رشيد بنحدو
٤٨٥	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت: عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩	هُسًرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسًرل	ت: محمود رجب
٤٩٠	أسمار الببغاء	محمد قادرى	ت. عبد الوهاب علوب
٤٩١	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	ت: سمير عبد ربه

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٩٠٢٩/ ٢٠٠٢





هذه ترجمة لمجموعة من القصص القصيرة فى الأدب الأفريقى؛ إذ تتنوع شمالاً وجنوبًا فى القارة السمراء، من جنوب أفريقيا إلى كينيا والسنغال وسيراليون وأوغندا،... إلخ.

هذه المجموعة القصصية ليست إلا محاولة للإشارة إلى ما حدث من تطور للشكل الفنى للقصة القصيرة الأفريقية. وتعد قصص هذه المجموعة وغالبية أشكال الكتابة الأفريقية الأخرى نوعًا من الهجين الأدبى؛ أى أنها ترتكز على خلفيتين ثقافيتين مختلفتين كل الاختلاف (أفريقيا والغرب)، وهنا يمكن القول إن أفريقيا والغرب هما الموضوع الغالب على مع
قصص هذه المجموعة، ذلك الموضوع الذى ي
تصادم الحضارتين، الموضوع الأكثر شيوعًا فى الأ
الأفريقى بمختلف أشكاله.